

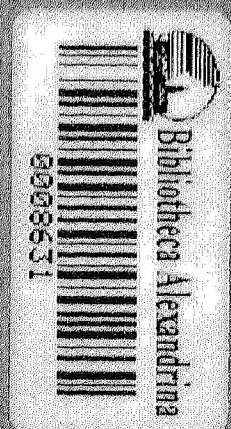
# عبد الرحمن الرافعي

## شعراء الوطنيات ومصر

تراجمهم وشعرهم الوطني  
والمناسبات التي نظموا فيها قصائدهم



دار المعارف





# شعراء الوطنيت ومصر

تراجمهم وشعرهم الوطني  
والمناسبات التي نظموا فيها قصائدهم

بقلم

عبد الرحمن الرافعي

«أن في قيثاره الشعر سلوى للقلب»  
«وغيذاء للروح، وأنها لتوحى إلى النفوس»  
«أسمى معاني الانسانية، وما أجمل هذه»  
«القيثارة حينما تغرد للناس ألحان الوطنية»

الطبعة الثالثة



دار المعارف







عبد الرحمن الراجحي

ولد في ٨ من فبراير سنة ١٨٨٩ - وتوفي في ٣ من ديسمبر سنة ١٩٦٦



## مقدمة الطبعة الثالثة

هذه هي الطبعة الثالثة من كتاب المغفور له والدنا عن شعراء الوطنية في مصر  
تطابق تماما الطبعة الأولى التي ظهرت سنة ١٩٥٤ ، ولاشك أن جهد دار المعارف  
بأعضائها جميعا كان له أثره في ظهور الطبعة الثالثة التي هي الآن في متناول  
القارئ ..

والله ولى التوفيق ..

كريكات المؤلف

عبدالرحمن الرافعى

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

## مقدمة الطبعة الثانية

أقدم الطبعة الثانية لهذا الكتاب طبق الأصل للطبعة الأولى التي أخرجتها سنة ١٩٥٤ وهي ضمن ما أخرجته من سلسلة تاريخ حركتنا الوطنية - أحمد الله وأشكره على نعمائه، وكم كنت أتمنى أن أضيف إلى تراثنا الشعري الوطني ما جادت به قرائح شعرائنا الجدد في المناسبات الوطنية تمثيلاً مع روح الاشتراكية والتطور في عهدنا الحديث خاصة وقد لا يست الأمة المصرية ظروف وضحت فيها معالم القومية والوطنية والكفاح والجهاد، وليس أدل على ذلك مما ظهر عقب الاعتداء الثلاثي من قصائد لشعراء وطنيين وغير ذلك من المناسبات الوطنية المعروفة لولا - مرضى الذى منعى عن جمع وتسجيل قصائد هؤلاء الشعراء فلهم منى صادق اعتذارى.

والله ولى التوفيق..

عبد الرحمن الرافعى

يوليه سنة ١٩٦٦

## مقدمة

عندما أرخت الحركة القومية في أدوارها المتعاقبة، تبينت مبلغ ما للشعر الوطني من أثر عميق في التمهيد لها وبعثها، وإذكاء الروح الوطنية في نفوس المواطنين، وتسجيل الحوادث الهامة في تاريخ مصر القومي، ومن يومئذ وأنا تَوَاق إلى أن أخصص لشعراء الوطنية سفراً منفرداً، يجمع معظم ماجادت به قرائحهم من الشعر الوطني، مع التعريف بشخصياتهم، وذكر المناسبات التي أنشأوا فيها قصائدهم الوطنية.

ولقد كنت أرجو أن أضْمَن ما أخرجته من سلسلة تاريخ الحركة الوطنية قصائد أولئك الشعراء، وعنيت فعلاً بأن أقتبس في شتى المناسبات، ولكنني وجدت أن هذا الاقتباس لا يكفي للتنويه بفضلهم، وإبراز مبلغ مساهمتهم في غرس الشعور الوطني في نفوس الأجيال المتعاقبة، فواعدت نفسي أن أفرغ يوماً لإخراج كتاب خاص بهم وبأشعارهم الوطنية، وها أنذا أوفى بوعدى.

وإني لأشعر أنى باخراج هذا الكتاب، أودى واجبا نحو أولئك الشعراء، ونحو الحركة الوطنية ذاتها، فالشعراء الذين استلهموا وحى الوطنية في قصائدهم، واهتزت لها مشاعرهم، واستجابوا إلى نداء الوطن في عالم الشعر والفن والخيال، وتجاوبوا مع الحركة الوطنية، وكانوا مرآة صادقة لعصرهم، ومصدر إلهام وتوجيه لمواطنيهم، وترجمانا لهم في آمالهم وآلامهم، وأحاسيسهم وأهدافهم، هؤلاء خليقون جميعاً بتقدير الوطن وثنائه، وإن من أبسط علامات التقدير لهم أن تجمع قصائدهم في سجل واحد.

على أنى لا أقصد تقديراً لهم فحسب، بل أقصد إلى تغذية الروح الوطنية بمدد من شعرهم وإلهامهم، وإذا كان مما تعتمد إليه الأمم أن تغذى نفوس أبنائها بالأناشيد الوطنية، فأجدر بنا أن نشيع الشعر الوطنى ونجعله في متناول المواطنين جميعاً، رجالاً ونساء، شبيا وشباناً، فكلنا في حاجة إلى أن نستذكر تلك القصائد الغر التي تملأ النفوس وطنية وإيماناً، وتغرس فيها فضائل الصدق والإخلاص والشجاعة، والتفاني في أداء الواجب الوطنى، فلعلها تدفعنا إلى السير دائماً إلى الأمام، غير متوانين ولا متنازدين، مستمسكين بالمثل العليا في حياتنا القومية.

إن حياة هؤلاء الشعراء وقصائدهم الوطنية - إلى جانب أنها عماد للأدب وتاريخه - هي قطعة من تاريخ الحركة الوطنية، وعنصر من عناصر بعثها وتطورها، ولا غرو فالشعر فرع من دوحة الأدب، والأدب الوطنى له الأثر الذى لا ينكر في تكوين المواطن الصالح، والشعر بما

بطبع في نفس الشاعر من التحليق في سماء الخيال، والتطلع إلى المل العلياء، يمهّد للنهضات الوطنية وبعنها ويغذيها، إذ يهيب بالأمة أن تتمسك بالحرية والكرامة، ويستحها على النفور من الذل، وإباء الضيم، ويحبب إليها الثورة على الاستعمار والاستبداد، وسعراء الوطنية في مصر لهم في هذه الناحية فضل عظيم، فكم ناصروا الحركة الوطنية في مختلف عهودها، وغذوها بقصائدهم وروائع شعرهم، وسجلوا حوادثها الهامة، وأشادوا بمفاخر الشعب، وأهابوا به أن ينهض ويستعيد مجده القديم، وكم استصرخوا الإنسانية أن تهب لنصرته، وتتنصف له من المظالم التي حاقت به، وإن كبيراً من روائع الأدب التي جادت بها قرائع أولئك الشعراء كانت معالم للحركة الوطنية، وكان السباب يحفظها عن ظهر قلب، فتذكي في نفوسه روح الوطنية والإخلاص والإقدام والتضحية.

وكم من قصيدة أو بيت من الشعر قد حركت المشاعر في نفوس المواطنين وستحركها على الدوام، مهما تقادم عليها الأعوام، ألسنت ترى إلى نشيد المارسلين؟ كيف أنه رغم تقادم العهد على وضعه لا يزال يلهب شعور الفرنسيين ويتير في نفوسهم روح الجهاد والفداء، ويفدرون له قدسيته الفنية والوطنية.

ولعل في جمع عيون الشعر الوطني في كتاب واحد ما يبرز لنا فضل أولئك الشعراء في إمدادهم الروح الوطنية بغذاء معنوي يتجدد على تعاقب العهود والعصور، ولعلنا بذلك نكون أكثر عرفاناً لفضلهم، وتقديراً لذكرياتهم، وما أجمل وفاء الأمم للمجاهدين السابقين من بنبيها، في مختلف الميادين، ولا غرو فالحركة الوطنية ليست وليدة الجيل الحاضر، ولا هي وف عله، بل هي مرة الجهود المتواصلة التي يتوارثها المواطنون جيلاً بعد جيل، وما أضعف الروح الوطنية إذا حدد مولدها بجيل واحد، لأنها بذلك تكون رخوة البناء، مقفرة المعالم، أما الوطنية الوطيدة الأساس، العالية الذرى، فهي التي تجمع بين مجد الماضي، وجهاد الحاضر، وأمل المستقبل.

إن في قينارة الشعر سلوى للقلب، وغذاء للروح، وإنها لتوحى إلى النفوس أسمى معاني الإنسانية، وما أجمل هذه القيتارة حينما تغرد للناس ألحان الوطنية.

هذه المعاني والخواطر هي التي أهتمني إخراج هذا الكتاب، وكم يطيب لي أن أنسر فيه صفحات لشعراء تكاد أحداث الزمان تنسينا شعرهم، بل تنسينا أسماء بعضهم، في حين أن فضلهم لا يصح أن ينسى وآثارهم في بعث الوطنية لا تمحى، والأدب في حاجة إلى استذكار أسعارهم، فإنها حملاً عماد الأدب الرفيع وكيانه، وهذه الأسعار هي في ذاتها سبيل لنسر البقاة الوطنية بن أفراد السعب في مختلف طبقاته.



## من أين نبداً

لقد ساءلت نفسي قبل أن أرسم. خطوط الكتاب: من أين نبداً تاريخ الشعر الوطنى؟ أنبداه من يوم أن قرأنا قصائد سوفى وحافظ وسمعتها ووعيناها وكان لها صداها فى أحياء مساعرننا الوطنية؟ إننا إذ نحدد هذه البداية نكون قد اجتزأنا تاريخ الشعر الوطنى، وأغفلنا مرحلة سبقت سوفى وحافظ، وهذا ما لا يقره الحق والإنصاف ولا يرضاه تنوفى وحافظ، على علو كعبهما وبلوغهما الذروة بين شعراء الوطنية.

فلنبحث إذن عن بداية سابقة على سوفى وحافظ.

إننى عندما أرخت مصطفى كامل بحثت فى بداية الحركة الوطنية الحديثة، وتساءلت هل تبدأ هذه الحركة بظهور مصطفى كامل فيكون تاريخه تاريخاً لها، أم أن لها بداية سبقت ظهوره؟ وعلى أننى تلميذ لمصطفى كامل وكان تلميذى له هو من البواعث على إخراجى لتاريخه، كما نوهت إلى ذلك فى مقدمة كتابى عنه، فإنى قد وجدت من الإنصاف أن أبحث عن الأدوار التى تقدمت عصر مصطفى كامل، لأف فى عند حدّ يصح اعتباره مبدأ الحركة القومية الحديثة، وانتهى بى البحث إلى أن بدايتها - فى تاريخ مصر الحديث - ترجع إلى أواخر القرن الثامن عشر وأوائل التاسع عشر، وأن أول دور من أدوارها هو عصر المقاومة الأهلية التى اعترضت الحملة الفرنسية فى مصر، ومن ثم تطورت الفكرة عندى من تأريخ لمصطفى كامل إلى تأريخ للحركة القومية، وعلى هذا الأساس أخرجت سلسلة هذا التاريخ.

وأرانى فى تأريخ الشعر الوطنى أميل إلى سلوك مثل هذا المنهج، فرجعت فى بدايته إلى الماضى، ووجدت أن روح الوطنية - بمعناها الحديث - قد بدأت تدخل الشعر المصرى، وتبعث فيه من حياتها وبهائها، وتضفى عليه من جمالها، وجلالها منذ أوائل القرن التاسع عشر، وأول رائد لهذه النهضة هو رفاة رافع الطهطاوى، فالى هذا العهد يجب أن نرجع ظهور الشعر الوطنى فى مصر، وهكذا يبدو التقارب بين ظهور الحركة الوطنية وظهور الشعر الوطنى فى تاريخنا الحديث.

فلنبداً إذن برفاة رافع الطهطاوى ولندرس تطور الشعر الوطنى من بعده إلى وقتنا الحاضر. ويطيب لى فى صدد التنويه بشعراء الوطنية، أن أعتذر عما فاتنى من تأريخهم، وأعوزنى الحديث عنهم، فأنى أفصد من شاعر الوطنية من تغلب عليه النزعة الوطنية فى شعره، فإذا كان فاتنى أن أتحدث عن بعض الشعراء الممتازين، فالأمر لا يعدو أن يكون رأياً تقديرياً، وأن يكون شعرهم الوطنى قد بدا لى مغموراً فى بحر شعرهم الفياض، وهذا لا يغض بداهة من

منزلتهم في عالم الشعر والأدب، وحسبى عذرا لى أن رأى التقديرى فى تحيّر شعراء الوطنية كان نتيجة دراسات مستفيضة، عكفت عليها سنين عديدة، ولم أقتصر على ما وعته ذاكراتى من الشعر الوطنى فى مختلف المناسبات، ولا على دواوين الشعراء، بل ذهبت أستقصى الشعر الوطنى فى مجاميع الصحف والمجلات، عاما بعد عام، قرابة نصف قرن من الزمان، بحيث اكتملت لدى مجموعة من أشعار الوطنية، بعضها لم ينشر من قبل فى كتاب أو ديوان، ومع ذلك فإذا نبهنى القارئ الكريم إلى شاعر فاتنى الحديث عنه، ضمن شعراء الوطنية، فانى على أتم الاستعداد لتدارك هذا النقص فى الطبعة التالية من الكتاب، لأننى أود حقاً أن أستكمل أى نقص بدا منى فى هذه الناحية، وليس أحب إلى نفسى من أن أسجل فى كتابى كل قصيدة بل كل بيت من الشعر الوطنى.

والله أسأل أن يكون فى هذه الدراسة ما يعين على نشر الأدب الوطنى وإذاعته، وتعميمه بين المواطنين، والحمد لله أولاً وأخيراً.

لله سنة ١٩٥٤

عبد الرحمن الرافعى

## رفاعة رافع الطهطاوى

١٨٠١ - ١٨٧٣



مصري صميم، من أقصى الصعيد، ساء نشأة عادية، من أبوين فقيرين، قرأ القرآن، وبنى العلوم الدينية كما يتلقاها عامة طلبة العلم في عصره، ودخل الأزهر كما دخله غيره، وصار من علمائه كما صار الكثيرون، ولكنه بدأ الأقران، وتفرد بالسبق عليهم، وتسامت شخصيته إلى عليا المراتب، ذلك أنه كان يحمل بين جنبيه نفساً عالية، وروحاً متوثبة، وعزيمة ماضية، وذكاء حاداً، وشغفاً بالعلم، وإخلاصاً للوطن وبنيه، تهيأت له أسباب الجد والنو، فاستوفى علوم الأزهر في ذلك العصر، ثم صحب البعثة العلمية الأولى من بعثات محمد علي، وارتحل إلى معاهد

علم في باريس، واسنروح نسيم الثقافة الأوروبية، فزادت معارفه، واتسعت مداركه، ونفذت بصيرته، لكنه احتفظ بشخصيته، واستمسك بدينه وقوميته، فأخذ من المدنية الغربية أحسنها، ورجع إلى وطنه كامل الثقافة، مهذب الفؤاد، ماضى العزيمة، صحيح العقيدة، سليم الوجدان، عاد وقد اعتزم خدمة مصر من طريق العلم والتعليم، فبر بوعده، ووفى بعهده، واضطلع بالنهضة العلمية تأليفاً وترجمة، وتعليماً وتربية، فملأ البلاد بمؤلفاته ومعارفاته، وتخرج على يديه جيل من خيرة علماء مصر، وحمل مصباح العلم والعرفان يضيء به أرجاء البلاد، وينير به البصائر والأذهان، وظل يحمله نيلاً وأربعين سنة، وانتهت إليه الزعامة العلمية والأدبية في عصر محمد علي، وامتدت زعامته إلى عهد اسماعيل، ذلك هو رفاعة رافع الطهطاوى<sup>(١)</sup>.

ولد في طهطا بمديرية جرجا سنة ١٨٠١ (١٢١٦ هـ)، وبدأت عليه مخايل الذكاء والنباهة منذ صباه، ودخل الأزهر سنة ١٨١٧، ولم يمض عليه به بضع سنوات حتى صار من طبقة العلماء، وتولى التدريس فيه سنتين، وصنف وألف ودرس وهو في الحادية والعشرين من سنه، ثم عين واعظاً وإماماً في أحد أليات الجيش المصري، ولما جاء عهد البعثات العلمية كان من حسن

(١) عن ترجمته في كتابنا تاريخ الحركة القومية الجزء الثالث - عصر محمد علي.

التوفيق أن اختاره محمد على ضمن أعضاء البعثة الأولى التي سافرت إلى فرنسا سنة ١٨٢٦، فجمع إلى ثقافته الأزهرية ثقافة أوروبا وعلومها وآدابها، فاقببس منها الشيء الكثير، وازدهرت روحه الأدبية على ضوء الحضارة الغربية، ولما عاد إلى مصر سنة ١٨٣١ تولى عدة مناصب في التعليم، وأنشأ مدرسة الألسن سنة ١٨٣٦، وكانت أشبه ما تكون بكلية الآداب والحقوق في مصر، وكان رفاعة يتولى نظارتها ويلقى فيها دروسه على الطلبة، فكانت أكبر معهد لنشر الثقافة في مصر، وتنقل في المناصب العلمية، وكان لا يفتأ يؤلف ويخرج من حين لآخر مصنفاته ومعارفه في العلوم والآداب إلى أن أدركته الوفاة سنة ١٨٧٣<sup>(٢)</sup>.

وهو أول رائد ل نهضة العلم والأدب في النصف الأول من القرن التاسع عشر، كان شاعراً رقيقاً بالقياس إلى عصره، أشربت نفسه الوطنية منذ نعومة أظفاره، تلقاها من إيمانه الصادق (وحب الوطن من الإيمان)، ومن فطرته السليمة، وخلوص نيته، وقد استنار رحيله عن مصر إلى فرنسا. عاطفته الوطنية العميقة المتأصلة في نفسه الحساسة، فجادت قريحته وهو في باريس بقصيدة عبر فيها عن الحنين إلى الوطن وأهله، والإشادة بمفاخره، قال في مطلعها:

ناح الحمائم على غصون البانٍ فأباح شيمته مغرمٍ ولهان

وانتقل إلى التغني بمصر وذكر محاسنها وقال:

هذا لعمري إن فيها سادة قد زُينوا بالحسن والإحسان  
يا أيها الخافي عليك فخارها فإليك أن الشاهد الحسنان  
ولئن حلفت بأن مصر لجنّة وقطوفها للفائزين دوان  
والنيل كوثرها الشهي شرابه لأبر كل البر في أيماني

وله قصائد ومنظومات وطنية قالها في مناسبات مختلفة.

فانظر إلى القصيدة الآتية تجدها تعبر عما يجيش في نفسه من أكرم العواطف وأنبهها، وقد قدمها هو بقوله «وقلت أيضاً وطنية»، فالروح الوطنية تتمشى حتى في تقديمه لقصائده، قال:

يا صاح حب الوطن حلية كل فطين

\*\*\*

محبّة الأوطان من شعب الإيما

(٢) راجع ترجمته تفصيلاً في كتابها الحركة القومية الجزء الثالث - عصر محمد علي

في أفخر الأديان آية كل مؤمن

\* \* \*

مساقط الرؤوس تلذ للنفوس  
تذهب كل بوس عنا وكل حزن

\* \* \*

ومصر أبهى مولد لنا وأزهى محتد  
ومربع ومعهد للروح أو للبدن

\* \* \*

شدت بها العزائم نيطت بها التمائم  
لطبعا تلائم في السر أو في العلن

\* \* \*

مصر لها أياد عليا على البلاد  
وفخرها ينادى ما المجد إلا ديدنى

\* \* \*

الكون من مصر اقتبس نورا وما عنه احتبس  
فخر قديم يؤنر عن سادة ويُنسر  
زهور مجد تنر منها العقول تجتنى

\* \* \*

دار نعيم زاهية ومعدن الرفاهية  
آمرة ونهاية قدما لكل المدن  
فوة مصر القاهرة على سواها ظاهرة  
وبالعمار زاهره خُصت بذكر حسن

\* \* \*

أبناؤها رجال لم يسنهم محال

وَجُنْدُهُمْ صَنْدِيدٌ      وَقَلْبُهُ حَدِيدٌ  
وَحْصَمُهُ طَرِيدٌ      بَلْ مُدْرَجٌ فِي كَفَنٍ

وقال من قصيدة أخرى يدعو إلى افتداء الوطن بالنفس والمال:

وعزیز الموطن نخدمه      برضا في النفس نحكمه  
مالُ المصرى كذا دمه      مبدول في شرف الوطن  
تفديه العين بناظرها      والنفس بخير ذخائرها  
تهدى في نيل نظائرها      بشرا العليا أعلى ثمن

وقال يصف الجيش المصرى ويشيد بمفاخره:

تُنَظَّمُ جُنْدُنَا نَظْمًا      عَجِيبًا يُعْجِزُ الْفَهْمَا  
بِأَسَدٍ تُرْعِبُ الْخُصْمَا      فَمَنْ يَقْوَى يَنَاضِلُنَا؟

\*\*\*

رِجَالُ مَا لَهَا عَدْدٌ      كَمَالُ نِظَامِهَا الْعُدْدُ  
حُلَاهَا الدَّرْعُ وَالزَّرْدُ      سَنَانُ الرَّمْحِ عَامِلُنَا

\*\*\*

وَهَلْ لِحَيُولِنَا شِبَةٌ      كَرَائِمُ مَا بِهَا شِبَةٌ  
إِلَيْهَا الْكُلُّ مُنْتَبِهٌ      وَهَلْ تَخْفَى أَصَائِلُنَا؟

\*\*\*

لَنَا فِي الْجَيْشِ فَرَسَانِ      لَهُمْ عِنْدَ اللَّقَا شَانِ  
وَفِي الْهَيْجَاءِ عَنَوَانِ      تَهَيَّمُ بِهِ صَوَاهِلُنَا  
فَهَا الْمِيدَانُ (وَالشُّقْرَا)      سَقَّتْ أُذُنَ الْعَدَا وَقَرَا  
كَأَنَّا نَرْسِلُ الصَّقْرَا      فَمَنْ يَبْغَى يَرَا سَلْنَا

\*\*\*

مَدَافِعُنَا الْقَضَا فِيهَا      وَحُكْمُ الْحَتَفِ فِي فِيهَا  
وَأَهْوَتْهَا وَجَافِيهَا      تَجَوَّدُ بِهِ مَعَامِلُنَا

\*\*\*



لنا في المدن تحصين وتنظيم وتحسين  
وتأييد وتمكين منيعات معاقلنا

وهذه الأبيات لمن خير ما قيل في وصف الجيش المصري، ولا شك أن رفاة قد استلهم شعره من مفاخر الجيش في عهده، فهو يصور العصر الذي عاش فيه تصويراً صحيحاً، لا مبالغة فيه ولا إغراق، وإن قصيدته لتشبه أن تكون لوحة فنية يخيل لمن ينظر إليها أنه يلمح فيها كتائب الجيش المصري تسير إلى ميادين الحرب، تحف بها أعلام النصر والظفر، تخوض غمار القتال، بقلوب ملؤها الشجاعة والإقدام، وتجاهه الأخطار قوية الإيمان، ثابتة الجنان، مجهزة بالسلاح والمدافع «تجود به معاملنا»، ولو لم يشهد رفاة مفاخر الجيش المصري في ذلك العصر، لما جادت قريحته بهذا الشعر، وهكذا يتأثر الشاعر والأديب بالعصر الذي يعيش فيه، والبيئة التي تحيط به، ويصور الحياة على عهده فكأنما هو قطعة من عصره، أو امرأة تنطبع فيها مشاهد الحياة السياسية والاجتماعية، ومظاهر الحالة الفكرية والأخلاقية.

وإنك لتلمح أيضاً عظمة الجيش المصري من قول رفاة في قصيدة أخرى يخاطب فيها الجنود:

يا أيها الجنود      والفداة الأسود  
إن أمكم حسود      يعود هامى المدمع  
فكم لكم حرور      بنصركم تؤوب  
لم تثبكم خطوب      ولا اقتحام معمع

\* \* \*

وكم شهدتم من وغى      وكم هزتم من بغى  
فمن تعدى وطغى      على جماكم يصرع

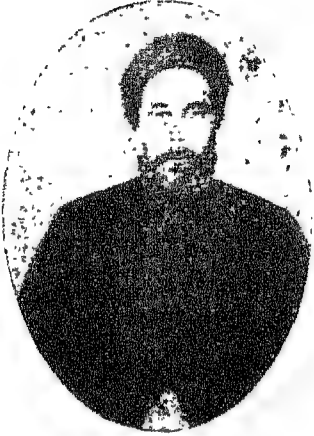
وتتجلى روحه الوطنية المتطلعة إلى الحرية في تعريبه نشيد الحرية (المارسليين)، فإن النفس لا تميل إلا إلى ما هو محبب إليها، فهذا النشيد قد استثار ولا شك إعجاب رفاة رافع، حتى مالت نفسه إلى تعريبه، وإظهار ما احتواه من العواطف الوطنية الفدائية في حلة عربية قشبية. وإذا تأملت في شعر رفاة رافع الذي نقلنا طرفاً منه وجدت فيه تقدماً نسبياً إذا قارنته بأسلوب شعراء المدرسة القديمة التي سبقت، كالشبراوى والطار والخشاب وغيرهم، ويعد شعره دور الانتقال إلى دولة الشعر الحديثة التي حمل لواءها البارودى، وإسماعيل صبرى، وشوقي، وحافظ.

حَقًّا إِنَّا إِذَا وَضَعْنَاهُ إِلَى جَانِبِ شِعْرِ شَوْفَى مَنَلَا، لَجَاءَ فِي الْمَرْتَبَةِ الْثَالِثَةِ، أَوِ الرَّابِعَةِ، وَلَكِنْ  
مَجِبٌ أَلَا نَنْسَى أَنْ رِفَاعَةَ رَافِعٍ نَسْنَأُ فِي عَصْرِ كَانَتْ اللُّغَةُ الْعَرَبِيَّةُ وَأَدَابُهَا فِي دَوْرٍ تَأَخَّرَهَا  
وَاضْمَحَلَّهَا، فَلَهُ عَلَى نَهْضَةِ السُّعْرِ وَالْأَدَبِ فَضْلٌ لَا يَنْكُرُ.

\*\*\*

# عبد الله نديم

١٨٤٥ - ١٨٩٦



ظل الشعر في مصر بعد وفاة رفاعة رافع الطهطاوى  
خلوًا من المعاني الوطنية، إلى أن نجدت في شعر عبد الله  
نديم.

هو خطيب السورة العرابية، وهو أيضًا شاعرها،  
انطبع في خطبه وقصائده روح الوطنية المتدفقة، وروح  
النورة.

ولد سنة ١٨٤٥ بالإسكندرية، وبدأت عليه منذ صباه  
مخايل الذكاء اللامع، وظهرت مواهبه في الترسل في  
الكتابة والشعر والزجل، والقدرة الخطابية، مع خفة في  
الروح، وميل إلى الفكاهة، وجرأة وإقدام، واستخفاف  
بأحداث الزمان.

ولما ظهرت النورة العرابية أوائل ١٨٨١، انضم إليها بطبعه، إذ كانت نفسه تتأجج وطنية،  
وتتطلع إلى الحرية والمجد، وتجلت مواهبه الخطابية، فصار خطيب النورة العرابية.

وما يذكر عنه في صدد الحديث عن شعره الوطني أنه لما سافر الألاى السودانى الذ كان  
يقوده الأميرالاي عبد العال حلمى أحد زعماء النورة من القاهرة إلى دمياط، في أوائل أكتوبر  
سنة ١٨٨١. كان سفره يومًا مشهودًا، فاحتشدت الجموع في محطة العاصمة لتحية الألاى حين  
سفره. وكان من بين المودعين عرابى والبارودى وعبد الله نديم، فوقف النديم وسط هذا الجمع  
الحاسد وألقى خطبة حماسية فياضة، بدأها بقوله مخاطبًا رجال الجيش:

«حماة البلاد وفرسانها!

«من قرأ التواريخ وعلم ما توالى على مصر من الحوادث والنوازل عرف مقدار ما وصلتم  
إليه من السرف وما كتب لكم في صفحات التاريخ من الحسنات.  
إلى أن قال: وهذا وطنكم العزيز أصبح ينادىكم ويناجيكم ويقول:

إليكم يُرَدُّ الأمر وهو عظيم  
إذا لم تكونوا للخطوب وللردى  
وإن الفتى إن لم ينازل زمانه  
فرُدُّوا عنان الخيل نحو مخيم  
وشدوا له الأطراف من كل وجهة  
إذا لم تكن سيفاً فكن أرض وطأة  
فإنى بكم طول الزمان رحيم  
فمن أين يأتى للديار نعيم؟  
تأخر عنه صاحبٌ وحميم  
تقلبه إبين البيوت نسيم  
فمشدود أطراف الجهات قويم  
فليس لمغلول اليدين حريم

وختم خطبته بقوله: وأحسن ما يؤرخ به اسم الجهادية عند التوازل أن يقال (مات شهيد الأوطان!)، فنادى الجمع (رضينا بالموت في حفظ الأوطان!).

ولما شبت الحرب العراقية لازم النديم عرابى كفر الدوار ثم في التل الكبير، وكانت مجلته (الطائف)، تصدر في معسكر الجيش المصرى.

وبعد أن وقعت الهزيمة، ظل مخلصاً للثورة في محتنتها، فبرهن على وفاء نادر ووطنية أصيلة عميقة، وكان ممن أمرت الحكومة باعتقالهم، وعجزت عن التعرف إلى مقره والقبض عليه، وظل مختفياً عن عيونها وجواسيسها نحو تسعة أعوام، وأعيا الحكومة أمره، وجعلت ألف جنيه لمن يرشد عنه، ولكنها لم تهتد إليه.

وقد وصف ما لقيه من الشدائد أثناء اختفائه في قصيدة تفيض وطنية وإيماناً وفخراً وشجاعة، وهى من غرر قصائده. قال:

أتمسبنا إذا قلنا بلىنا  
نعم للمجد نفتحم الدواهى  
تناوشنا فتقهرونا خطوب  
سواء حربها والسلم إننا  
بلىنا أو يروم القلب لينا  
فيحسب خامل أنا دُهينا  
ترى ليث العرين لها قرينا  
أناس قبل هدنتها هدينا

إلى أن قال:

إذا ما الدهر صافانا مرضنا  
لنا جلد على جلد يقينا  
ألفنا كل مكروه تفدى  
فأعيا الخطب ما يلقاه منا  
فإن عدنا إلى خطب شفينا  
فإن زاد البلا زدنا يقينا  
له فرسانه بالراجلينا  
ولكننا صحاح ما عينا

سلينا يا خطوب فقد عرفنا  
وقرى فوق عاتقنا وقولى:  
علينا للعلاد دين وضعنا  
فهل يمسى رهين فى سرور  
إذا ما المجد نادانا أجينا  
يغنيننا فيلهينا التغنى  
ولسنا الساخطين إذا رزئنا  
فلنا فى عداد الناس قوم  
إذا طاش الزمان بنا حلمنا  
إلى أن قال:

سلا عنا (منابرنا) فلنا  
لحكمتنا تقول إذا هذرت  
سرى فينا من الآباء سر  
فلن عشنا منحنا سائلينا  
تركنا فى منصتها فطينا  
ألا هبى بصحيتك فاصبحينا  
يسوق البر نحو المعوزينا  
وإن متنا نفحنا الزائرينا

وقال يصف إحاطة الجند بالمنزل الذى كان فيه يريدون اعتقاله فنجاه الله من شرهم:

أنسى يوم مصر والبلايا  
فكنت<sup>(١)</sup> الغوث فى يوم كربه  
مدحنا فيه فى إشراق شمس  
وهل أنسى هجوم الجند عمراً  
أحاطوا بى وسدوا كل باب  
وكان السطح مملوءاً بجند  
فأدركت الوحيد وكان صيداً  
وأرشدت التديم إلى مكان  
وأعمى الله عنا كل عين  
وصرنا فوق سطح فيه علو  
تطاردنى ولا ألقى معينا  
أخاف الشهم والخبز السمين  
فلما جاء مغربه هُجينا!  
بلا علم وقد كنا فجيناً  
وصرنا بين أيدي الباحثينا  
وخلف البيت كم وضعوا كميناً  
قريباً من فخاخ الطالبينا  
رآه بعد حيرته مكيناً  
وكنّا للعساكر ناظرينا  
يحطم هاوياً منه متينا

(١) الخطاب هنا وفى الآيات التالية موجهة إلى الرسول ﷺ، والتديم شريف النسب

فلم أرهب ونوبى من طمار	ولم أنظر شمالا أو يميننا
ويوم الغيظ كنت لنا بجيرا	بسطوته من البلوى حيننا
فقد كنا بلا ستر يرانا	أمام العين كل القاصديننا
وكم سرنا بلا خوف جهارا	ركبنا الخيل أو جئنا السفينا
وإني الآن فى خطب عظيم	أرى فى طيّه داء دفيننا
أتانا مخبرٌ عن قوم سوء	أرادوا وصفنا للحاكمينا
وخاف الضرُّ أحببى جميعاً	وقالوا لى بالوشاية قد رمينا
فعجل بالرحيل بلا توان	ولا تخبر صديقا أو خدينا
فأدرك يا أبى نجلا دهاه	من الأهوال ما يوهى البدنا
فما خفت المنون ولا الأعادى	نعم خفت انسراح الشامتيننا

\*\*\*

فسرتُ الليل يصحبني نبات	لخِلّ نحو منزله دُعينا
ورافقنى خليل كان قبلا	يوافى حين كنا ظاهرينا
وأدركنا القطار بغير خوف	وكنا بالنياب منكرينا
وألقى الله ستر الحفظ فضلا	فلم ترنا عيون الملبسينا
وكان الخل منتظراً قدومى	بخيل أوصلتنا سالمينا
ونجى الله بعد اليأس عبدا	يرى الرحمن خير المنقذيننا

وإنك لترى هذا الشعر أقوى فى الروح والأسلوب من شعره فى إبان الثورة. وهكذا يبدو أن الهزيمة لم تنل منه، بل زادت قوة وحيوية، وصلابة وبلاغة، وأن السدائد صقلت مواهبه كما تصقل المعادن ونجلى جواهرها فى لهب النار، فاحتفظ النديم فى سنى المحنة بما حباه الله من إيمان صادق، وعزم نابت، وصمود على الأيام، وكذلك السدائد والمحن، يختلف أنرها فى نفوس الناس، فبينما تبعت اليأس والجزع فى النفوس الضعيفة، نراها على العكس تزيد النفوس الكبيرة تباتاً وصبراً، وسجاعة وإيماناً، ومن هنا جاء شعر النديم بعد هزيمة الثورة أقوى منه فى أوج انتصارها.

وفى الحق أن النديم هو الزعيم الوحيد بين الزعماء العربيين الذى استمر فى جهاده ضد الانجليز ونضاله عن مصر فى عهد الاحتلال، وتلك لعمرى ميزة كبرى جدية بأن تحيط اسمه بهالة من المجد والخلود، وقد اهدت الحكومة إلى مكانه سنة ١٨٩١ وقررت نفيه إلى خارج



القطر، وفي أوائل عهد الخديو عباس الثاني عُفى عنه ورخص له بالعودة إلى مصر، فعاد إليها، وأنشأ مجلة (الأستاذ) سنة ١٨٩٢ فتجلت فيها روحه الوطنية التي لم تضعفها الهزيمة ولم تنل منها السدائد، مما أحفظ عليه الإنجليز وصنائعهم، فتدخل اللورد كرومر، وأمر بإبعاده عن مصر ثانية، فاضطر إلى تعطيل صحيفته سنة ١٨٩٣، وودع قراءه وداعاً مؤثراً في آخر عدد صدر منها (في ١٣ يونيه سنة ١٨٩٣) قال:

«ما خلقت الرجال إلا لمصابرة الأهوال ومصادمة النوائب، والعاقلة يتلذذ بما يراه في فصول تاريخه من العظمة والجلال، وإن كان المبدأ صعوبة وكدراً في أعين الواقفين عند الظواهر، وعلى هذا فإني أودع إخواني قائلاً:

أودعكم والله يعلم أننى أحب لقاءكم والخلود إليكم  
وما عن قلى كان الرحيل وإنما دواعٍ تبدت فالسلام عليكم!

وانتهى به المطاف في منفاه إلى الآستانة حيث توفي سنة ١٨٩٦، وشيعت جنازته في احتفال مهيب متى فيه كثير من العلماء والكبراء، يتقدمهم السيد جمال الدين الأفغانى، ودفن هناك.

بالأسس كان غريباً في ديارهم واليوم صار غريب اللحد والكفن!

\*\*\*

# محمود سامي البارودي

١٨٤٠ - ١٩٠٤



محمود سامي البارودي هو إمام الشعراء المحدثين قاطبة، وبأكورة الأعلام في دولة الشعر الحديث، وأول من نهض به وجارى في نظمه فحول الشعراء المتقدمين، فبعث النهضة الشعرية من مرقدها بعد طول الخمود.

ولد سنة ١٨٤٠، وهو ابن حسن بك حسنى من ضباط المدفعية في الجيش المصري، وحفيد عبد الله الجركسى أحد الكشاف في عهد محمد على، وسمى البارودي نسبة إلى إيتاي البارود التي كان أحد أجداده الأمير مراد البارودي ملتزماً لها في عهد الالتزام.

وقد تلقى العلم أول ما تلقاه على أيدي أساتذة

خصوصيين في سراي والده بغيط العدة (القرية من باب الخلق) والمعروفة بسراي البارودي. ولما بلغ الثانية عشرة من عمره انتظم في المدرسة الحربية، وتخرج منها سنة ١٨٥٥، والتحق بخدمة الجيش المصري، وأخذ يترقى حتى بلغ رتبة أميرالاي، وخاض غمار الحروب في ثورة كريد سنة ١٨٦٦، إذ كان ضابطاً في الجيش الذي أنفذته مصر لإخماد تلك الثورة وانتصر على الثوار في مواقع عدة.

ولما شبت الحرب بين تركيا والروسيا سنة ١٨٧٧ أنفذت مصر جيشاً لنجدة تركيا كان البارودي من ضباطه، وأبلى في الحرب بلاء حسناً، وصقلت المعارك مواهبه الشعرية، ولما عاد إلى مصر رقى إلى رتبة اللواء، وعين مديراً للشرقية، وكان محافظاً للعاصمة حين ألف شريف باشا وزارته الثانية سنة ١٨٧٩ في أوائل عهد الخديو توفيق، فاختره فيها وزيراً للمعارف والأوقاف، واشترك في حوادث الثورة العرابية، وكان من زعمائها المشار إليهم بالبنان، وتولى رئاسة وزارة الثورة سنة ١٨٨٢، ثم كانت الهزيمة، ونفى مع زملائه إلى جزيرة سيلان (سرنديب) وظل في منفاه ثيفاً وسبعة عشر عاماً، وإسبغ عليه النفي سمات التضحية والبطولة<sup>(١)</sup>.

(١) راجع ترجمته تفصيلاً في كتابنا (الثورة العرابية والاحتلال الإنجليزي).

## الحنين إلى الوطن

كانت حياة زعماء الثورة العراقية في متفاهم حياة ألم وحزن، إذ انقطعت صلتهم بالناس، وطال اغترابهم عن أرض الوطن، وبعدت الشقة بينهم وبين أهليهم ومواطنيهم، ولم يكثر لهم أحد، ولم يعطف عليهم أحد (والناس مع الغالب)، وجادت قريحة البارودي بشعر مؤثر في الحنين إلى الوطن، والحزن على فراقه، مما يعد آية في البلاغة، وبلغت سليقته الشعرية في منقاه ذروة العظمة والجلال.

قال يصف الرحيل عن أرض الوطن:

مَحَا الْبَيْنُ مَا أَبْقَتْ عَيُونُ الْمَهَا مَنِي  
عَنَاءٌ وَيَأْسٌ وَاشْتِيَاقٌ وَغَرِيبَةٌ  
فَشَبْتُ وَلَمْ أَقْضِ اللَّبَانَةَ مِنْ سَنِي  
أَلَا شَدُّ مَا أَلْقَاهُ فِي الدَّهْرِ مِنْ غَبْنِ

إلى أن قال:

وَلَمَّا وَقَفْنَا لِلدَّوَادِعِ وَأَسْبَلْتُ  
أَهْبَتُ بِصَبْرِي أَنْ يَعُودَ فَبَزَّنِي  
وَمَا هِيَ إِلَّا خُطْوَةٌ ثُمَّ أَقْلَعْتُ  
فَكَمْ مَهْجَةٌ مِنْ زَفَرَةِ الشَّوْقِ فِي لَظِي  
وَمَا كُنْتُ جَرِيتُ النَّوَى قَبْلَ هَذِهِ  
وَلَكِنِّي رَاجَعْتُ حَلْمِي وَرَدَّنِي  
وَلَوْلَا بَنِيَاتُ وَشَيْبَ عَوَاطِلِ  
مَدَامَعُنَا فَوْقَ التَّرَائِبِ كَالْمَزْنِ  
وَنَادَيْتُ حَلْمِي أَنْ يَشُوبَ فَلَمْ يَغْنِ  
بَنَّا عَنْ خُطُوطِ الْحَيِّ أَجْنَحَةَ السَّفْنِ  
وَكَمْ مَقْلَةٌ مِنْ غَرِزَةِ الدَّمْعِ فِي دَجْنِ  
فَلَمَّا دَهْتَنِي كَدْتُ أَقْضَى مِنَ الْحَزْنِ  
إِلَى الْحَزْمِ رَأَى لَا يَحُومُ عَلَى أَفْنِ  
لَمَّا قَرَعْتَ نَفْسِي عَلَى فَائِثِ سَنِي

## الصبر على الشدائد

وتجلت في منقاه صفاته العالية من الشمم، وعلو النفس واحتمل آلام النفي بشجاعة وإباء، وصبر وإيمان، وله في ذلك شعر يفيض بهذه المعاني السامية.

قال وهو في سرنديب (سيلان):

لَمْ أَقْتَرِفْ زَلَّةً تَقْضِي عَلَيَّ بِمَا  
فَهْلَ دَفَاعِي عَنْ دِينِي وَعَنْ وَطَنِي  
فَلَا يَظُنُّ بِي الْحَسَادُ مَنْدَمَةً  
أَصْبَحْتُ فِيهِ فَعَاذَا الْوَيْلَ وَالْحَرْبَ؟  
ذَنْبُ أَدَانِ بِهِ ظُلْمًا وَأَغْتَرَبَ؟  
فَإِنِّي صَابِرٌ فِي اللَّهِ مُحْتَسِبٌ

أيسدي، الحوادث منى فهو مكتسب  
ولا يتبدد بذكر الخامل النشب<sup>(١)</sup>

خُذْ لِي بِحَقِّي مِنْ يَدِي مَا طَلِي  
مِنْ كَسْبِي الْحَرْبُ بِلَا نَاطِلٍ<sup>(٢)</sup>  
ذِي رَوْنَقٍ كَالصَّارِمِ الْقَاطِلِ<sup>(٣)</sup>  
فَفَضَّلَ رَبِّي حَلِيَّةَ الْعَاطِلِ

أُنْرِيتُ مَجْدًا فَلَمْ أُعْبَأْ بِمَا سَلَبْتُ  
لَا يَخْنُضُ الْبُؤْسُ نَفْسًا وَهِيَ عَالِيَةٌ  
وَقَالَ مُشِيرًا إِلَى مَصَادِرَةِ أَمْلَاكِهِ:

يَا نَاصِرَ الْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ  
أَخْرِجْنِي عَمَّا حَوْتَهُ يَدِي  
مِنْ غَيْرِ مَا ذَنْبٍ سِوَى مَنْطِقٍ  
فَإِنْ أَكُنْ جُرُدْتُ مِنْ ثَرَوَتِي

وَقَالَ مِنْ قَصِيدَةٍ أُخْرَى فِي مَقَاوِمَةِ الظُّلْمِ وَالصُّمُودِ أَمَامَ الْمَحْنِ وَالْخُطُوبِ:

عَلَيْهِ فَلَا يَأْسُفُ إِذَا ضَاعَ مَجْدُهُ  
أُضِرَّ عَلَيْهِ مِنْ حَمَامٍ يُوَدُّهُ  
يَسِئُ وَيُتَلَّى فِي الْمَحَافِلِ حَمْدَهُ  
أَيَفْرَحُ فِي الدُّنْيَا بِيَوْمٍ يَعُدُّهُ؟  
بِهَا بَطْلًا يَحْمِي الْحَقْبَقَةَ شُدُّهُ

إِذَا الْمَرْءُ لَمْ يَدْفَعْ يَدَ الْجَوْرِ إِنْ سَطَّتْ  
وَمِنْ ذَلِكَ خَوْفُ الْمَوْتِ كَانَتْ حَيَاتِهِ  
وَأَقْتُلْ دَاءَ رُؤْيَا الْعَيْنِ ظَالِمًا  
عَلَامَ يَعِيشُ الْمَرْءُ فِي الدَّهْرِ خَامِلًا  
عَفَاءً عَلَى الدُّنْيَا إِذَا الْمَرْءُ لَمْ يَعِشْ  
وَقَالَ فِي هَذَا الْمَعْنَى:

ب) وَفِيضِي آبَارَ (تَكَرُّور) تَبْرًا  
وَإِذَا مِتَ لَسْتُ أَعْدِمُ قَبْرًا  
نَفْسٌ حَرٌّ تَرَى الْمَذَلَّةَ كَفْرًا

أَمْطَرِي لَوْلَا جِبَالِ (سَرَنْدِيبِ)  
أَنَا إِنْ عَشْتُ لَسْتُ أَعْدِمُ قَوْتَا  
هَمَّتِي هَمَةُ الْمُلُوكِ وَنَفْسِي

وَمِنْ قَوْلِهِ فِي الْحَيْنِ إِلَى الْوَطَنِ وَالصَّبْرِ عَلَى الشَّدَائِدِ:

وَيَا بَنَاتِ الْأَيْكِ نُوحِي مَعِي  
مُرِّي بِرِيَّاكَ عَلَى مَرْبَعِي  
بِاللَّهِ غَنَى طَرِبًا وَاسْجَعِي  
بِذِمَّةِ الدَّمْعِ فَلَا تَهْجَعِي

فِيَا دَمُوعَ الْقَطْرِ سِيلِي دَمًا  
وَأَنْتِ يَا نَسَمَةَ (وَادِي) الْغَضَا  
وَأَنْتِ يَا عَصْفُورَةَ الْمُنْحَنِ  
وَأَنْتِ يَا عَيْنَ إِذَا لَمْ تَفْنَى

(١) النشب: المال والعقار.

(٢) الناطل: الشيء القليل.

(٣) القاطل: القاطع.

أبيت أرعى النحم فى سدفة ضلّ بها الصبح فلم يطلع

\*\*\*

فهل إلى الأنسواء من غاية أم هل إلى الأوطان من مرجع؟  
لا تأسّ يا قلب على ما مضى لابد للمحنة من مقطع

يتمنى أن يرى مصر

وقال فى منفاه يتمنى أن يرى مصر:

يا حبذا جرعة من ماء محنية وضجة فوق برد الرمل بالقاع<sup>(١)</sup>  
ونسمة كسميم الخلد قد حملت ربا الأزاهر من ميث وأجرع<sup>(٢)</sup>  
ياهل أرانى بذاك الحى مجتمعا بأهل ودى من قومي وأساعى؟

وقال فى هذا المعنى:

أبيت حزينا فى (سرنديب) ساهرا طوال الليالى والخليلون هجدا  
إذا خطرت من نحو (حلوان) نسمة نزت بين قلبى شعلة تتوفد  
تساب وإخوان رزئت ودادهم وكل امرئ فى الدهر يشقى ويسعد!

ومن قصيدة له فى هذا المعنى قالها فى منفاه يتشوق إلى الوطن:

هل من طبيب لداء الحب أوراقى يشفى عيلا أخوا حزن وإيراق<sup>(٣)</sup>  
قد كان أبقى الهوى من مهجن رمقا حتى جرى الين فاستولى على الباقي  
وفيه يقول:

باروضة النيل لأمستك بائقة ولا عدتك سماء ذات إغداق<sup>(٤)</sup>  
ولا برحت من الأوراق فى حلال من سندس عبقرى الوشى برراق  
يا حبذا نسّم من جوها عبق مرسى جياى وماوى جيرقى وجى  
يسرى على جدول بالماء دفافى قومى ومنبت أدابى وأعراقى

(١) المحنية، ما انحنى من الأرض

(٢) الميب، جمع ميباء الأرض اللينة

(٣) الراعى، اسم فاعل من رقا يرفيه أى عوده فهو راق.

(٤) البائقة الداهية والبليّة ولا عدتك أى لا يجاوزتك

أصبوا إليها على بُعدٍ ويعجبنى  
وكيف أنسى دياراً قد تركتُ بها  
أنى أعيش بها فى ثوب إملاق  
أهلاً كراماً لهم ودى وإشفاقى

\*\*\*

فيا بريد الصبا<sup>(١)</sup> بلغ ذوى رحى  
وأنت يا طائراً يبكى على فنن  
أذكرتني ما مضى والشمل مجتمع  
وقال أيضاً فى منقاه:

ردوا على الصبا من عصرى الخالى  
ماض من العيش مالاحت مخايله  
أدهى المصائب غدر قبله ثقة  
وهل يعود سواد اللمة البالى؟  
فى صفحة الفكر إلا حاج بلبالى  
وأصبح الظلم صد بعد إقبال

\*\*\*

لا عيب فى سوى حرية ملكت  
قلبى سليم ونفسى حرة وىدى  
بلوت دهرى فما أهدت سيرته  
حليت شطريه من يسر ومعسرة  
لم يبق لى أرب فى الدهر أطلبه  
وأين أدرك ما أبغيه من وطر؟  
لا فى (سرنديب) لى إلف أجاذبه  
أبيت منفرداً فى رأس شاهقة  
إذا تلفت لم أبصر سوى صور

أعتنى عن قبول الذل بالمال  
مأمونة ولسانى غير ختال  
فى ابقى من لياليه ولا تالى  
وذقت طعميه من خصب وإحمال  
إلا صحابة حر صادق الخال  
والصدق فى الدهر أعياء كل محتال  
فضل الحديث ولاخل فيرعى لى  
مثل القطامى فوق المربأ العالى  
فى الذهن برسمها نقاش آمالى

\*\*\*

علام أجزع والأيام تشهد لى  
راجعت فهرس آثارى فما لمحت  
فكيف ينكر قومى فضل بادرى  
بصدق ما كان من رسمى وإغفالى  
بصيرتى فيه ما يؤزرى بأعمالى  
وقد سرت جكمى فيهم وأمثالى

(١) الصبا بالفتح. ربح معروفة.



وإن غدوت كريم العم والخال  
تلوح في وجنة الأيام كالخال  
وهتدى بسناها كل قوال  
في صفحته فقولى خط تمثالى  
بين الأنعام فليس التبع كالضال  
مركب من عظام ذات أوصال

فميلا إلى (المقياس) إن خفتها فقدى  
شفائى من سقى وبرئى من وجدى

أين من (مصر) من أقام (بكندى)<sup>(١)</sup>  
رونق السيف واهتزاز الفرند  
كالعذارى يسحبن وشى الفرند  
هى أبهى من كل عقد وبند  
وهى تسقى به سلافة قند  
قدح الشوق فى الفؤاد بزند

### الحنين إلى الأهل والولد

وقال فى منفاه وقد رأى فى المنام ابنته الوسطى:

وما الطيف إلا مأتريه الخواطر  
بأوراقه والنجوم بالأفق حائر  
محيط من البحر الجنوبى زاهر  
سوى نزوات الشوق حادٍ وزاجر  
أقام ولو طالت على الدياجر

أنا ابن قولى وحسبى فى الفخار به  
ولى من الشعر آيات مفصلة  
ينسى لها الفاقد المحزون لوعته  
فانظر لقولى تجد نفسى مصورة  
ولا تغرنك فى الدنيا مشاكلة  
إن ابن آدم لولا عقله شبحٌ

ومن قصيدة له يتشوق إلى مصر:

خليلى هذا الشوق لاشك قاتلى  
ففى ذلك (الوادى) الذى أثبت الهوى

وقال فى هذا المعنى:

طال شوقى إلى الديار ولكن  
حبذا (الليل) حين يجرى فيدى  
تتثنى الغصون فى حافته  
قلدها يد الغمام عقودا  
كيف لا تهتف الحمام عليه  
كلما صورته نفسى لعينى

(١) كندى مدينة صغيرة فى جزيرة سيلان (سرنديب).

(٢) تأويب. أى أنى ليلا.

(٣) السدقة. السر.

تحمل أهوالَ الظلام مخاطرًا  
«خاسية»<sup>(١)</sup> لم تدر ما الليل والسرى  
فيا بُعْدَ ما بيني وبين أجبتى  
ولولا أمانى النفس وهى حياتها  
فان تكن الأيام فرّقن بيننا  
إلى أن قال:

فلا يشمت الأعداء بي فلربما  
فقد يستقيم الأمر بعد اعوجاجه  
ولى أمل فى الله تحيا به المني  
إذا المرء لم يركن إلى الله فى الذى  
وإن هو لم يصبر على ما أصابه  
ومن لم يذق حلو الزمان ومُرّه  
على طلاب العزّ من مستقره  
إلى أن قال:

فان كنت قد أصبحت فل<sup>(٢)</sup> رزية  
فكم بطل فلّ الزمان شبّاتهُ  
فسوف يبين الحق يوما لناظرٍ  
وما هى إلا غمرة ثم تنجلي  
فقد حاطني فى ظلمة الحبس بعدما

وعهدى بمن جادت به لا تخاطر  
ولم تنحسر عن صفحتها الستائر  
وياقرب ما التفتّ عليه الضمائر  
لما طار لى فوق السيطرة طائر  
فكل امرئ يوما إلى الله صائر

وصلت لما أرجوه بما أحاذر  
وتنهض بالمرء الجدود العوائر  
ويشرق وجه الظن والخطب كاشر  
يحاذره من دهره فهو خاسر  
فليس له فى معرض الحق ناصر  
فما هو إلا طائش اللب نافر  
ولا ذنب لى إن عارضتنى المقادر

تقاسمها فى الأهل بإدٍ وحاضر  
وكم سيّد دارت عليه الدوائر  
وتنزو<sup>(٣)</sup> بعوراء الحقود السرائر  
غيابتها والله من شاء ناصر  
ترامت بأفلاذ القلوب الخناجر

\*\*\*

إلى غاية تَنَفَّتْ فيها المرائر  
على فلكة الساقين فيها المآزر

فمهلّا بنى الدنيا علينا فإننا  
تطول بها الأنفاس هُراء<sup>(٤)</sup> وتلتوى

(١) أى بنت خمس سنوات.

(٢) فل. أى منهزم.

(٣) تنزو: تطمح يقال: نزا به قلبه طمح.

(٤) هراء بالضم تتابع الأنفاس من الإعياء فى اللسان.

هنالك يعلو الحق والحق واضحٌ      ويسفُل كعب الزور عائر  
وعبا قليل ينتهى الأمر كله      فما أولٌ إلا ويتلوه آخر

### يشيد بعظمة الأهرام

قال يصف (الأهرام) ويشيد بعظمتها:  
سل (الجيزة) الفيحاء عن (هرمى) مصر      لعلك تدرى غيب ما لم تكن تدرى  
بناءً أن رَدًّا صولة الدهر عنهما      ومن عجب أن يغلبا صولة الدهر  
أقاما على رغم الخطوب ليشهدا      لبانيهما بين البرية بالفخر  
فكم أمم في الدهر بادت وأعصر      خلت وهما أعجوبة العين والفكر  
تلوح لآثار العقول عليهما      أساطير لا تنفك تتلى إلى الحشر  
رموز لو استطلعت مكنون سرها      لأبصرت مجموع الخلائق في سطر  
فما من بناء كان أو هو كائن      يدانيهما عند التأمل والخبر

وختمها بقوله:

فيا نسمات الفجر أذى تحيى      إلى ذلك البرج المطل على النهر  
وبالمعات البرق إن جرت بالحمى      فصوبى عليها بالنثار من القطر  
عليها سلام من فؤاد متيم      بها لا بريات القلائد والشذر<sup>(١)</sup>  
ولا برحت في الدهر وهى خوالد      خلود الدراى والأوابد من شعرى

### شعر القتال

ومن قصيدة له فى إحدى المعارك التى خاضها، ويبدو منها مبلغ شجاعته وصبره على أهوال القتال.

ولما تداعى القول واشتبك القنا      ودارت كما تهوى على قطبها الحرب  
وزَّين للناس الفرار من الردى      وماجت صدور الخيل والتهب الضرب  
ودارت بنا الأرض الفضاء كأننا      سقينا بكأس لا يفى لها شرب  
صبرت لها حتى تجلت سماؤها      وإنى صبور إن ألم بى الخطب

(١) الشذر: صفار اللؤلؤ.

### الفساد في عهد إسماعيل

وقال من قصيدة يصف سوء الحكم وظلم الحكام في عهد إسماعيل، وينصح قومه بالمطالبة بحقوقهم والمبادرة بإصلاح شؤونهم قبل أن تسوء العقبى، وهى من شعره السياسى الوطنى الرائع:

قامت به من رجال السوء طائفة  
من كل وغد يكاد الدست يدفعه  
أدهى على النفس من يؤس على ثكل  
بغضاً ويلفظه الديوان من ملل  
قواعد الملك حتى ظل في خلل  
ذلت بهم مصر بعد العز واضطربت  
إلى أن قال:

فبادروا الأمر قبل الغوث وانتزعوا  
وطالبوا بحقوق أصبحت غرضاً  
شكالة الريث فالدنيا مع العجل  
لكل منتزع سهماً ومختل  
ويرفل العدل في ضفاف من الحلل  
حتى تعود سماء الأمن ضاحية

### الجيش والدستور

وقال فى أوائل عهد الخديو توفيق يدعو إلى الشورى وتقوية الجيش:

أمران ما اجتماعاً لقائد أمة  
إلا جنى بهما ثمار السؤدد  
(جمع) يكون الأمر فيما بينهم  
(شورى) وجند للعدو بمصرصد

### يندد بالفساد

وقال من قصيدة يشكو فيها من الفساد التى كانت تحت حوله:

نقموا على حمقى فتألبوا  
حزباً على وجمعوا ما أجمعوا  
وسعوا بفريتهم فلما صادفوا  
سمعا يميل إلى الملام توسعوا  
لا عيب فى سوى حمية ماجد  
والسيف يغليه المضاد فيقطع

### يحث على الاعتدال، ويستنكر الذل

قال فى هذا المعنى:

إذا شئت أن تحيا سعيداً فلا تكن  
لداوداً ولا تدفع يد اللين بالقسر  
ولا تحتقر ذا فاقة فلربما  
لقيت به شهماً يبراً على المثرى

فَرُبُّ فَقِيرٍ يَلَأُ الْقَلْبَ حَكْمَةً      وَرُبُّ غَنَى لَا يَرِيشُ وَلَا يَبْرِى<sup>(١)</sup>  
وَكُنْ وَسْطًا لَا مِشْرَبًا إِلَى السُّهَى      وَلَا قَانَعًا يَغْنَى التَّزْلَفَ لِلصُّفْرِ<sup>(٢)</sup>  
فَأَحْمَدُ أَخْلَاقَ الْفَتَى مَا تَكَافَأَتْ      بِمَنْزِلَةٍ بَيْنَ التَّوَاضُعِ وَالْكِبَرِ  
وَلَا تَعْتَرِفُ بِالذَّلِّ فِي طَلَبِ الْغَنَى      فَإِنَّ الْغَنَى فِي الذَّلِّ شَرٌّ مِنَ الْفَقْرِ

### العودة إلى الوطن

وقد عاد إلى الوطن سنة ١٩٠٠ بعد أن فقد نور عينيه في منفاه، فاستقبل مصر بقصيدته التي مطلعها:

أبَابِلُ مَرَأَى الْعَيْنِ أَمْ هَذِهِ مِصْرُ      فإِنِّي أَرَى فِيهَا عَيُونًا هِيَ السَّحَرُ  
فإِنَّ يَكُ مُوسَى أَبْطَلَ السَّحَرَ مَرَّةً      فَذَلِكَ عَصْرُ الْمَعْجَزَاتِ وَذَا عَصْرُ  
إِلَى أَنْ قَالَ:

وَإِنِّي أَمْرٌ تَأْتِي لِي الضِّيمُ صَوْلَةً      مَوَاقِعُهَا فِي كُلِّ مَعْتَرِكٍ حَمْرُ  
أَبِي عَلَى الْحَدَثَانِ لَا يَسْتَفْزِنِي      عَظِيمٌ وَلَا يَأْوِي إِلَى سَاحَتِي ذَعْرُ

### عبرة الحوادث

ومن قصيدة له قالها بعد عودته من المنفى تفيض توجعًا لحالة البلاد بعد أن جثم الاحتلال على صدرها، وقد تذكر عندما مر بقصر الجزيرة أيام إسماعيل حين كان في أوج سلطانه، وما انتهى إليه أمره من خلع وخسران، وتذكر أخطائه التي كان لها أثرها في التمهيد للاحتلال، فلم يترحم على عهده، ونظم هذه القصيدة معتبرًا ومذكرًا، وهي من آيات الشعر في العظة والاعتبار، وقال:

هَلْ بِالْحَمَى عَنْ سَرِيرِ الْمَلِكِ مِنْ يَزْعِ؟      هِيَهَاتَ قَدْ ذَهَبَ الْمَتْبُوعُ وَالتَّبَعُ!  
هَذِي (الجزيرة) فَانْظُرْ هَلْ تَرَى أَحَدًا      يَتَأَى بِهِ الْخَوْفُ أَوْ يَدْنُو بِهِ الطَّمَعُ؟  
أُضْحَتْ خِلَاءُ وَكَانَتْ قَبْلَ مَنْزِلَةٍ      لِلْمَلِكِ مِنْهَا لَوْفَدِ الْعِزِّ مَرْتَبَعُ  
فَلَا مَجِيبَ يَرُدُّ الْقَوْلَ عَنْ نَبَأٍ      وَلَا سَمِيعَ إِذَا نَادَيْتَ يَسْتَمِعُ  
كَانَتْ مَنَازِلُ أَمْلاكٍ إِذَا صَدَعُوا      بِالْأَمْرِ كَادَتْ قُلُوبُ النَّاسِ تَتَصَدَعُ  
عَاثُوا بِهَا حَقِيقَةً حَتَّى إِذَا نَهَضَتْ      طَيْرُ الْحَوَادِثِ مِنْ أَوْكَارِهَا وَقَعُوا

(١) أى لا ينعم ولا يضُر.

(٢) القانع هنا: السائل المتذلل، والصفر: الذهب.

لو أنهم علموا مقدار ما فغرت  
دارت عليهم رحى الأيام فانشعبوا  
كانت لهم عصب يستدفعون بها  
يد الحوادث ما شادوا ولا رفعوا  
أيدى سبا وتخلت عنهم التسيع  
كيد العدو فما ضرروا ولا نفعوا

\*\*\*

أين المعادل بل أين الجحافل بل  
لا شيء يدفع كيد الدهر إن عصفت  
زالوا فما بكت الدنيا لفرقتهم  
والدهر كالبحر لا ينفك ذا كدر  
لو كان للمرء فكر في عواقبه  
وكيف يدرك ما في الغيب من حدث  
دهر يغمر وآمال تسر وأعد  
يسعى الفتى لأموال قد تضر به  
أين المناصل والخطية الشرع؟  
أحداث أو بقي من شر ما يفزع  
ولا تعطلت الأعياد والجمع  
وإنما صفوه بين الورى لمع  
ما شاب أخلاقه حرص ولا طمع  
من لم يزل بغرور العيش ينخدع  
مار تمر وأيام لها خدع  
وليس يعلم ما يأتي وما يدع

\*\*\*

يا أيها السادر المزور من صلف  
دع ما يريب وخذ فيما خلقت له  
إن الحياة لثوب سوف تخلعه  
مهلا فإنك بالأيام منخدع  
لعل قلبك بالإيمان ينتفع  
وكل ثوب إذا مارت ينخلع  
وظل البارودى بعد عودته من المنفى في عزلة من الناس، لا يجتمع إلا بالصفوة المختارة من  
الأدباء والشعراء والحفاظين لعهد، إلى أن كانت وفاته سنة ١٩٤٠، فخلف مجدا لا يبلى على  
الزمان.

\*\*\*

## اسماعيل صبرى

١٨٥٤ - ١٩٢٣



شاعر بطبعه وسليقته، وطني بفطرته وحسن سريرته، أدرك عهد الاحتلال في إبان قوته وسطوته، فتحررت شاعريته، تجاهد الاستعمار، وتمجد المعاني الوطنية، وتخلدها في قصائد غرّ تشبه أن تكون تغاريد من نبع القلب الصافي وفيض الإحساس المرفه والذوق الرفيع.

كان شاعراً رقيقاً مجيداً، عميق الوجدان، مقلداً في شعره، محتاطاً في نشر ما تجود به قريحته، كان علماً من أعلام الطبقة الأولى من شعراء العصر الحديث، وثانيهم بعد البارودي.

ولد سنة ١٨٥٤ بمدينة القاهرة، والتحق بمدرسة الابتدائية سنة ١٨٦٦، ثم بمدرستي التجهيزية والإدارة (الحقوق)، وأتم دراسته بمصر سنة ١٨٧٤، ثم التحق بالبعثة المصرية إلى فرنسا، ونال شهادة الليسانس في الحقوق من كلية «أكس» سنة ١٨٧٨، ولما عاد إلى مصر التحق بالمناصب القضائية حتى عين وكيلاً لوزارة الحفانية (العدل) سنة ١٨٩٩، واعتزل الخدمة في سنة ١٩٠٧.

ظهرت مواهبه الشعرية منذ نعومة أظفاره، وظلت تنمو وتزدهر طول حياته، وكانت شاعريته ووطنيته عنوان مجده وموضع فخاره.

كان معاصروه يلقبونه (شيخ الشعراء)، واعترف له بذلك زملاؤه، شوقي وحافظ ومطران وعبد المطلب ونسيم وغيرهم، وإنك لتلمح تقدير شوقي لزعامتة من قوله في رثائه:

أيام أمّرح في غبارك ناشئاً تهج المهار على غبار خصاف<sup>(١)</sup>  
أتعلم الغايات كيف ترام في مضمار فضل أو مجال قواف

(١) المهار: جمع مهرة وخصاف فرس مسهور في العرب

ومن قول حافظ في رثائه أيضاً:

لقد كنت أغشاه في داره      وناديه فيها زها وازدهر  
وأعرض شعري على مسمع      لطيف يحس نبو السوتر

تتجلى في شعره القومي روح الحب الخالص للوطن، والشجو الحزين على مآسيه، والاستمسك بالعزة والكرامة، والشمم والإباء، ولقد عبّر بأرق القصائد عن شعور مواطنيه، وترجم عن آمالهم وآلامهم.

كانت وطنيته عميقة الجذور، عاش حياته لم يزر إنجليزياً قط، ولم يذهب يوماً إلى الوكالة البريطانية، في حين أنها كانت مع الأسف مقصد الكبراء والعظماء في ذلك العهد، وطالما استماله اللورد كرومر إلى زيارته ليكسبه إلى صف المناصرين للاحتلال، فاستعصم وأبى، ولما قيل له لعلك لو فعلت كنت اليوم رئيساً للوزارة، قال: وماذا تفيدني رئاسة الوزارة غير اغضاب ضميري وإرضاء ذوى المطامع وأصدقاء الجاه<sup>(١)</sup>.

كان صديقاً صدوقاً للزعيم مصطفى كامل، أيده في جهاده منذ الساعة الأولى ولم يكن يكتفم مناصرته إياه في أى منصب تولاه.

كان محافظاً للاسكندرية سنة ١٨٩٦ - ١٨٩٩، وأراد مصطفى كامل أن يلقي بها خطبة من خطبه الوطنية الكبرى، فأوعزت إليه الحكومة أن يمنع إقامة الاجتماع الذي أعد لإلقاء الخطبة، بحجة المحافظة على الأمن والنظام، فأبى صبرى على الحكومة ما أرادت، ورخص بإقامة الاجتماع، وصارح الحكومة بأنه مسئول عن الأمن والنظام، وألقى مصطفى كامل خطبته.

ولما عين وكيلًا لوزارة الحقانية (العدل) في نوفمبر سنة ١٨٩٩ ظل على مودته لمصطفى، وكان في غالب الأيام يخرج من الوزارة ويعرج بدار اللواء المقابلة لها ليزور صاحب اللواء ويقضى معه الوقت الطويل، ولم يمنعه منصبه من المجاهرة بصداقته له ومناصرته إياه في الوقت الذي كان الكبراء من الموظفين وغيرهم يخشون عواقب الاتصال به، وإلى ذلك يشير شوقي في رثائه لاسماعيل صبرى إذ يقول:

وَيَحُ الشَّبابُ وَقَدْ تَخْطُرُ بَيْنَهُمْ      هل متعوا بتمسح وطواف؟  
لو عاش قدوتهم ورب (لوائهم)      نكس (اللواء) لثابت وقاف  
فلکم سقاء الودّ حين وداده      جَرَّبَ لأهل الحكم والاشراف

(١) ذكر هذه الواقعة الأستاذ أحمد الزين في مقدمته لديوان إسماعيل صبرى ص ٣٢.



### دعوته إلى الدستور

وإنك لتجد في شعر إسماعيل صبرى انسجاماً مع سياسة مصطفى كامل وتمجيذاً للوطنية ومناصرة للأمة في جهادها للحرية والاستقلال.  
قال في قصيدة وجهها إلى الخديو عباس حلمى الثانى يوم عيد جلوسه سنة ١٩٠٨ يدعو إلى الدستور.

سدد سهام رأى (بالشورى) يحط بك منه في ظلم الحوادث فيلق  
واسبق به واضرب به وأفتح به ما شئت من باب أمامك يُغلق

### حادثة دنشواى

وقال فيها يصور حادثة دنشواى ويصف فظائع الإنجليز فيها والعفو الذى أصدره الخديو عن مسجونيهـا.

وأقلت عشرة قرية حكم الهوى  
إن أن فيها بائس مما به  
وارحمنا لجناتهم ماذا جنوا؟  
ما زال يُقذى كل عين ما رأوا  
حتى حكمت فجاء حكمك آية  
نزلت ترفرف حول كاتب نصها  
شكرتك مصر على سلامة بعضها  
ذكرت لك الصفح الجميل ولم تزل  
قانون (دنشواى) ذاك صحيفة  
هل يرتجى صفو ويهدأ خاطر  
ومضاجع القوم النيام أو اهل  
في أهلها وقضى قضاء أخرق  
أورن جابيه هناك مطوق<sup>(١)</sup>  
وقضاتهم<sup>(٢)</sup> ما عاقهم أن يتقوا؟  
فيها ويؤذى كل سمع ما لقوا  
للناس طي صحيفة تتألق  
زمرأ ملائكة الرضى وتحلق  
شكراً يغرب في السورى ويشرق  
ترمى إلى أمر أجل وترمق<sup>(٣)</sup>  
تتلى فترتاع القلوب ونخفق  
والموت حول نصوصها يترقرق؟  
بمعذب يردى وآخر يرهق

(١) المطوق. السجين.

(٢) قضاتهم أى قضاة المحكمة المختصة التى حكمت عليهم.

(٣) يريد الدستور.

لن تبلغ الجرحى شفاء كاملاً ما دام جارحها المهند يبرق  
فاحكم بغير العنف واكسر سيفه فالحلم أجمل والمكارم أليق

### رثاؤه لمصطفى كامل

وقد جزع لوفاة مصطفى كامل جزعاً شديداً، وشيع جثمانه إلى مرقده الأخير (يوم ١١ فبراير سنة ١٩٠٨)، ووقف على قبره يلقي قصيدته في وداعه، ولم يكد يلقي البيت الأول منها وهو:

أداعى الأسى في مصر ويحك داعياً هددت القوى إذ قمت بالأمس ناعياً  
حتى ظهر عليه التأثير الشديد والإعياء، ولم يستطع أن يتم القصيدة، وقد ألقاها في حفلة تأبينه، وتدل هذه القصيدة على مبلغ حبه له وإخلاصه لصداقته، وإعجابه به، وشدة حزنه عليه، فجاءت آية في بلاغة الرثاء، ورقة التعبير عن الحزن والألم، وكان كل بيت فيها دمة وفاء تذرّفها عين الصديق على صديقه الحميم. قال:

أجل أنا من أرضاك خلا موافياً وبرضيك في الباكين لو كنت واعياً  
وقلبي ذاك المورد العذب لم يزل كما ذقت منه الحبّ والود صافياً  
يسوى أنه يعتاده الحزن كلما رآك عن الحوض المهذّب نائياً  
ويعثر في بعض الخطوب إذا مشى إلى بعض ما يهوى فيرجع دامياً  
وإن رامه سرب المسرات لم يجد محلاً به من لاعج الهمّ خالياً  
ألا عللاني بالتعازي وأقنعا فؤادي أن يرضى بهن تعازياً  
وإلا أعيناني على النوح والبكا فشأنكما شأنى وما بكما بيا  
وما نفاعى أن تبكيا غير أننى أحبّ دموع البر والمرء وافياً

\* \* \*

أيا (مصطفى) تالله نومك رابنا أمثلك يرضى أن ينام اللياليا  
تكلم فإن القوم حولك أطرقوا وقل ياخطيب الحى رأيك عالياً  
لقد أوشكت من طول صمت وهجرة تخالك أعواد المنابر فانياً  
وتبكيك لولا أن فيها بقية تعللها من ذلك الصوت داوياً  
فهل ألت ما بين جفئك والكرى محالفة أم قد أنت الأعاديا؟

\* \* \*

فقدناك فقدان الكمى سلاحه  
وبتنا وقد باتت رفاتك فى الثرى  
ولولا ترات من أمانيك عندنا  
طواك الردى طيء الكتاب تضمنت  
مضاء إذا البيض انتمت لأصولها  
ورأى يجلى اليأس واليأس ضارب  
إذا ما تقاضينا ولم تك بيننا  
فليتك إذ أعيت كل مساجل  
وليتك إذ ناضلت عن مصر لم تفض

وسارى الدياجى كوكب القطب هاديا  
سقاها الحيا<sup>(١)</sup> نستبىء الدمع هاميا  
كريم بكينا إذ بكينا الأمانيا  
صحائفه من كل فخر معانيا  
غضبنا إذا سماء قوم يمانيا  
على الأفق ليلا فاحم اللون داجيا  
ذكرناها حتى نجيد التقاضيا  
قنعت فلم تعي الطبيب المداويا  
مع الخبر قلبا يعلم الله غاليا

\* \* \*

لقد ضاع إخلاص الطبيب وحذقه  
ولم تنتهز تلك العقاقير فرصة  
نحييك سيفاً بات فى الترب مغمداً

سدى فبكى الفخر الذى كان راجيا  
ترى الناس فيها فضل (بقراط) باديا  
تقلده فيما مضى الحق ماضيا

### مواساته لجرحى الحرب

ولقد كان له شعر حماسى يملأ القلوب أملاً وشجاعة.  
قال من قصيدة له مخاطباً الأمير عمر طوسون يشكره على مواساته جرحى الحرب:  
وكم تعهدت جرحى من أسود وغى  
مستنجداً من بنى مصر إلى شمم  
مستهمياً هامياً و (النيل) فى وجل  
من أن تجود به أيمانكم حذر

إن يكشر الدهر عن أحداثه كشروا  
إذا رأوا ثلثة فى حوضهم جبروا  
من أن تجود به أيمانكم حذر

### الوحدة بين العنصرين

وقال داعياً إلى الوحدة الوطنية بين عنصرى الأمة:  
عنى فيك اليوم قبطية  
ويأخذ البر وآى الوفا  
تروى الأسى عن مسلم موجع  
عن الكتاب الطبيب المشرع

ومن قصيدة له حين اشتد الخلاف بين المسلمين والأقباط سنة ١٩١١ يدعو إلى الوحدة الوطنية:

خففوا من صياحكم ليس في مصر لأبناء مصر من أعداء  
دين عيسى فيكم ودين أخيه أحمد يأمراننا بالإخاء  
مصر أنتم ونحن إلا إذا قا مت بتفريقنا دواعي الشقاء  
مصر ملك لنا إذا تماسكننا وإلا فمصر للغرباء

### تنديده بصنائع الاحتلال

وقال في نوفمبر سنة ١٩٠٨ يندد بسياسة مصطفى فهمي حين سقطت وزارته وكان مواليا للاحتلال خاضعا له:

عجبت لهم قالوا سقطت ومن يكن مكانك يأمن من سقوط ويسلم  
فأنت امرؤ ألصقت نفسك بالثرى وحرمت خوف الذل ما لم يحرم  
فلو أسقطوا من حيث أنت زجاجة على الصخر لم تصدع ولم تتحطم<sup>(١)</sup>

### في الإباء وعزة النفس

ومن قوله في الإباء وعزة النفس، والزراية بالمتكبرين:

أيها التائه<sup>(٢)</sup> المدلل علينا وبك قل لي من أنت؟ إني نسيت  
لو فرشت الطريق درأ لأخطو فوقه نحو داركم ما رضيت  
أنا أغنى من أن يقال فلان وفلان تزاورا ما حييت!

وقال في الاستمساك بالكرامة:

لكسرة من رغيف خبز تؤدم بالملح والكرامة  
أشهى إلى الحرّ من طعام يُختم بالشهد والملامة

(١) أى أن مصطفى فهمي كان في منزلة دانية لا يؤلمه السقوط منها، بحيث لو أسقطوا زجاجة من ذلك المكان المنخفض لم تنكسر.

(٢) التائه: المتكبر من التيه بكسر التاء.

## يستنكر تعدد الزوجات

وقال يذم تعدد الزوجات:  
يا من تزوج باثنتين ألا اتشد ألقىت نفسك ظالما في الهاوية  
ما العدل بين الضرتين بممكن لو كنت تعدل ما أخذت الثانية!

## التوحيد والحرية

وله في تمجيد التوحيد والحرية كلمات بليغة وإن لم تكن شعرا إلا أنها تشبهه في النغم والرين  
وقوة الأثر، وهي من الشعر المنتور البليغ. قال:  
أحب التوحيد في ثلاثة: الله. والمبدأ. والمرأة.  
وأحب الحرية في ثلاثة:  
حرية المرأة في ظل زوجها  
وحرية الرجل تحت راية الوطن  
وحرية الوطن في ظل الله.

## تنديده بالظلم والاستعمار

قال في قصيدة له يخاطب (الدواة):  
وإذا الظلم والظلام استعانا يوم نحس بأجهل الجاهلينا  
واستعدا من الشرور مدادا فاجعليه في قسمة الظالمينا  
إلى أن قال:  
وإذا كان فيك نقطة سوء كونت من خيانة تكويننا  
فاجعليها قسط الذين استباحوا في السياسات حرمة الأضعفينا

## تنديده بالمستعمرين

قال ينعى على إيطاليا عدوانها على طرابلس (ليبيا) سنة ١٩١١ ويندد بما في فعلتها من الغدر  
ونقض العهود والمواثيق:  
بعض هذا الجفاء والعدوان راقبى الله أمة الطليان!

قد ملأت الفضاء غدرًا وجهلاً  
وبعثت السفين ترمى طرايل  
تخرق البحر والمواثيق والعـ  
سيرتها أضغان قوم لقوم  
من رآها تجرى توهم أن الـ  
لا ورب الأسطول ما حمل الأسد  
إن قوم الطليان أحرص من أن  
وتسنت غارب الطفيان  
سر بحرب مشبوبة النيران  
هدّ جهارا وذمة الجيران  
سلموا من دناءة الأضغان<sup>(١)</sup>  
قوم هموا للثأر للأوطان  
طول جيشاً إلى حمى الحبشان<sup>(٢)</sup>  
يفضحوا مرتين في ميدان

### الامتيازات الأجنبية

وقال في هذه القصيدة يشير إلى الامتيازات الأجنبية التي منحتها الدول الشرقية للأوروبيين  
فقابلوها بالغدر والعقوق واتخذوها وسيلة للعدوان على هذه الدول:

ويحهم ما لصنعهم أبطر القو  
ولماذا تمخض السلم عن حر  
منح قد بذرن في سر أيدي  
هكذا فلتك المروءات في عص  
م فعقوا ما كان من إحسان؟  
ب لظاها يشوى الوجوه عوان؟  
كن مذكن منبت الكفران  
ر البهاليل من بنى الرومان!

### القوة سياج الاستقلال

وقال فيها يدعو إلى التسليح بالقوة للدفاع عن الزمار وصد مطامع الاستعمار ويحذر أمم  
الشرق من غدر الدول الاستعمارية وعدوانها وتبنيها الشر تحت ستار الود والصداقة:

لا يثق بعضنا ببعض وهذا  
إن تسلّم على الغريب فسلم  
ربما أصبح العناق صراعاً  
في ظلل السيوف والمسارن<sup>(٣)</sup>  
ما أعد الإنسان للإنسان  
في زمان الآداب والعرفان<sup>(٤)</sup>

(١) يريد بالذين سلموا من دناءة الأضغان العرب وهم المعتدى عليهم في هذه الحرب.  
(٢) يشير بهذا البيت والذي يليه إلى هزبه الطليان أمام الأحباش في معركة عدوه المشهورة سنة ١٨٩٦ ويعبرهم  
بالسكوت عن الأخذ بتأرهم في هذه المعركة.  
(٣) يريد الماران الرماح أى القوة المسلحة.  
(٤) في هذا البيت يتكلم بالدول الأوربية وما تنطوى عليه من الغدر ونقض العهود في عصر المدنية والعلوم والآداب.

## التغنى بعظمة مصر

وله قصيدة خالدة يتغنى فيها بعظمة مصر ومفاخرها، ويستحث مصر الحديثة على إحياء مجدها، قالها سنة ١٩٠٩ على لسان فرعون مصر يخاطب قومه ويبعث فيهم روح العمل لبناء مجد الدولة قال:

لا القوم قومي ولا الأعوان أعواني إذا ونى يوم تحصيل العلا واني  
إلى أن قال:

لا تقربوا (النيل) ان لم تعملوا عملا ردوا المجرّة كدّا دون مورده  
وابنوا كما بنت الأجيال قبلكم لا تتركوا مستحيلا في استحالتة  
مقالة هبطت من عرش قائلها مادت لها الأرض من دعر ودان لها  
يبنون ما تقف الأجيال حائرة من كل مالم يلد فكر ولا فتحت  
ويشبهون إذا طاروا إلى عمل  
فماؤه العذب لم يخلق لكسلان  
أر فاطلبوا غيره ريبا لظمان  
لا تتركوا بعدكم فخرا لإنسان  
حتى يميظ لكم عن وجه إمكان  
على مناكب أبطال وشجعان  
ما في المقطم من صخر وصوان  
أمامه بين إعجاب وإذعان  
على نظائره في الكون عينان  
جنا تطير بأمر من (سليمان)

\*\*\*

(أهرامهم) تلك حيّ الفن متخذاً  
قد مر دهر عليها وهي ساخرة  
لم يأخذ الليل منها والنهار سوى  
جاءت إليها وفود الأرض قاطبة  
فصغرت كل موجود ضخامتها  
وعاد منكر فضل القوم معترفا  
تلك الهياكل في الأمصار شاهدة  
إذا أقام عليهم شاهدا حجر  
من الصخور بروجاً فوق كيوان  
بما يضعضع من صرح وإيوان  
ما يأخذ النمل من أركان نهلان  
تسعى اشتياقا إلى ما خلد الفاني  
وغض بنيانها من كل بنيان  
يشئ على القوم في سرّ وإعلان  
بأنهم أهل سبق. أهل إمعان  
في هيكل قامت الأخرى ببرهان

كأنما هي والأقوام خاشعة  
تستقبل العين في أثنائها صور  
لو أنها أعطيت صوتا لكان له  
وختما بقوله:

أين الأولى سجلوا في الصخر سبرتهم  
بادوا وبادت على آثارهم دول  
وخلفوا بعدهم حربا مخلدة  
وُحزحوا عن بقايا مجدهم وسطا  
ويل له هتك الأستار مقتحما  
للجهل أرجح منه في جهالته

وصغروا كل ذى ملك وسلطان  
وأدرجوا طيَّ أخبار وأكفان  
في الكون ما بين أحجار وأزمان  
عليهم العلم ذاك الجاهل الجاني  
جلال أكرم آثار وأعيان  
إذا هما وزنا يوما بميزان

### إلى شوقى في منفاه

وكان على ود صميم مع شوقى، وحينما نفى شوقى من مصر خلال الحرب العالمية الأولى ظل على صلته به، وكان شوقى قد أرسل إليه من منفاه بالأندلس سنة ١٩١٧ ببيتين من قصيدة له مشهورة<sup>(١)</sup> قال فيها:

يا سارى البرق يرمى عن جوانحننا  
لما ترقرق في دمع السماء دماً  
بعد الهدوء ويهمى من مآقينا<sup>(٢)</sup>  
هاج البكا فخضنا الأرض باكيننا

فأجابه صبرى بهذه الأبيات:

يا وامض البرق كم نبّهت من شجن  
فالماء في مقل، والنار في مهج  
لولا تذكر أيام لنا سلفت  
يا آل ودى عودوا لا عدمتكم  
يا نسمة ضمخت أذيالها سحرا

في أضلع ذهلت عن دائها حيننا  
قد حار بينهما أمر المحبيننا  
مابات يبكى دما في الحى باكيننا  
وشاهدوا ويحكم فعل النوى فينا  
أزهار أندلس هبى بواديننا<sup>(٣)</sup>

(١) سيرد ذكرها في الحديث عن شوقى.\*

(٢) يريد شوقى أن البرق قد اقتبس اشتغاله من نار جوانحه وتحيل أن ما يهمى به البرق من المطر مشتق من دموعه.

(٣) يخاطب صبرى نسمة الأندلس التى عطرته أزهاره ويعيش فى جوها شوقى ويناجيها أن تهب عليه فى مصر.



٤٣

وقد عاش اسماعيل صبرى كريم الخلق، صادقا عيوفا، أبيا وفييا لوطنه وأصدقائه، معتزا بكرامته، صريحا محبا للحق، بعيدا عن الزهو والخيلاء، وظل على هذه الأخلاق الفاضلة إلى أن توفي في ٢١ مارس سنة ١٩٢٣ بعد مرض طويل، وخلف كنوز من الشعر والوطنية، والفضائل النفسية، أضفت على اسمه هالة من المجد والخلود.

\* \* \*

# أحمد شوقي

شاعر الوطنية الأكبر

١٨٧٠ - ١٩٣٢



بلغ الشعر الوطني ذروته على لسان شوقي وحافظ، فلقد حملا لواء النهضة الشعرية في العصر الحديث، وتغنيا بالوطنية، وكان للحوادث الكبرى التي وقعت في مصر والشرق صداها في شعرهما، وكلاهما كان له أثره وفضله في تغذية الحركة الوطنية بعيون الشعر الوطني، سطع نجمهما في عصر واحد، وغردا في جيل واحد، وانتقلا إلى جوار ربهما في عام واحد (١٩٣٢) ولم تمض على وفاة حافظ ثلاثة أشهر حتى لحق به شوقي في الرفيق الأعلى.

سمى شوقي أمير الشعراء، ولقب الأمير لم يعد يتفق والروح الديمقراطية، ولم تعد الامارة تضافى على صاحبها

منزلة محترمة، هذا إلى أن شوقي أكبر من أن يمجّد بهذا اللقب، فهل نسميه (سيد الشعراء)؟ إن كلمة السيادة لغير الأمة لم تعد أيضاً تتفق والأوضاع الديمقراطية، فهل نسميه (زعيم الشعراء)؟ إنه ولا ريب أقدر شعراء عصره، ولم يكن ينازعه في زعامة الشعر أحد من أئداده ومعاصريه، فلقد عقدوا له لواء الزعامة وبايعوه عليها في المهرجان الذي أقيم له بمصر سنة ١٩٢٧ وجمع أقطاب الشعراء من العالم العربي وخاطبه فيه صنوه حافظ بقوله:

أميرَ القوافي قد أتيتُ مبايعاً وهذى وفود الشعر قد بايعت معي  
على أن لقب (زعيم الشعراء) لا يكفي للتعريف به والتثوية بمكانته، وخير لقب له أن يسمى (شاعر العربية الأكبر) وأن نسميه في هذا الكتاب (شاعر الوطنية الأكبر)

ولد أحمد شوقي في ١٦ أكتوبر سنة ١٨٧٠<sup>(١)</sup> وتعلم في المدارس النظامية، ودخل مدرسة

(١) عن التاريخ الثابت في شهادة الليسانس التي نالها الفقيه من كلية الحقوق بباريس

الإدارة (الحقوق)، في أوائل عهد الاحتلال، وفي سنة ١٨٨٧ سافر إلى فرنسا لدراسة الحقوق والأدب، وأتم دراسته سنة ١٨٩٣.

أدرك شوقي الاحتلال الإنجليزي وهو شاب مهذب مثقف، وعرف كيف عصف الاحتلال باستقلال البلاد، وإذ كانت عبقرية الشعرية قد خلقت وولدت معه ولازمته منذ صباه، فقد قترنت بشعوره الوطني الذي تولد في نفسه بالفطرة، وزاده توهجاً ورسوخاً رؤيته الاحتلال لأجنبي يجهل على صدر البلاد، فامتزجت شاعريته بوطنيته، وكان لمصر وآلامها صدى بعيد وأثر عميق في شعره، وظل حبه للوطن يوجهه في قصائده ويلهمه التغريد له والحنو عليه. التحق منذ عودته إلى مصر بديوان المعية الخديوية، وعلت مكانته لدى الخديو عباس الثاني حتى سمي (شاعر الأمير) ولكن روحه الوطنية لم تتأثر كثيراً من صلته بالقصر هذا إلى أن لخديو عباس كان في أول عهده بالعرش يناور الاحتلال والاحتلال يناوره، حتى إذا جنح بهادنة الاستعمار، لم يكن لهذا التحول أثر كبير في شعر شوقي، اللهم إلا هداة وقتية في الحرب لمشبوبة بين الأمة والاحتلال، على أن تأصل روح الوطنية في نفسه جعله لا يجاري الخديو عباس، انصرفه عن الحركة الوطنية، ثم في تنكره لها، فبقى شعره ينهل من منبع الوطنية الصافي. وانفصل عن منصبه في القصر بعد خلع الخديو عباس عن العرش في ديسمبر سنة ١٩١٤ بتحرر من المنصب الحكومي، فزادته الحرية قوة وإنتاجاً وتحليلاً في سماء الشعر والفن والخيال، استهدف لاضطهاد السلطة العسكرية البريطانية، إذ قررت نفيه وتركت له اختيار البلد الذي نفى إليه، فاختار أسبانيا (الأندلس)، وبقي على عهده للوطن، ثم عاد من منفاه في فبراير سنة ١٩٢٠، والبلاد في غليان الثورة، فاستقبلت مصر شاعرها الملهم استقبالا حافلا رائعاً.

ويمتاز شعر شوقي بقوة البيان، وروعة الموسيقى الشعرية، وسعة الأفق، والتعمق في استيعاب الحوادث التاريخية، قديمها وحديثها، ولقد جارى فحول الشعراء المتقدمين، وبذمهم في كثير من صائده، وجدد بعض التجديد في الشعر العربي بما اقتبسه عن شعراء الغرب، وعن الثقافة لأوروبية، وسار في التجديد شوطاً بعيداً وخاصة بعد عودته من المنفى، إذ وضع عدة مسرحيات معربة بلغت مبلغاً عظيماً من الفن والموسيقى والجمال، كمصرع كليوباتره، ومجنون ليلى، سننرة، وغيرها، وظل ينتج ويشدو ويبدع، إلى أن توفي في ١٤ أكتوبر سنة ١٩٣٢.

### الوطنية في شعر شوقي

في قصائد شوقي يسطع نور الوطنية، ويتأجج لهيبها، وهو أغزر الشعراء مادة وأوسعهم إنتاجاً في هذه الناحية، ولقد ظل يستلهم روح الوطنية طول حياته، شاباً وكهلاً وشيخاً، بل إن

سعره الوطني في شيخوخته كان أقوى منه في شبابه، وقد يكون مرجع ذلك إلى تجرده من الاتصال بالقصر بعد خلع الخديو عباس حلمي، كما أسلفنا، ثم إلى نفيه من مصر في أوائل الحرب العالمية الأولى، فأثار البعد عن الوطن شاعريته، وجاد بأبدع قصائده في الحنين إلى مصر وحبها لها والهيام بها إلى درجة التقديس، ومرجع ذلك أيضا إلى تأصل عبقرية الشعر في نفسه، فلم تضعفها السن، ولم ينل منها الزمن وظلت قوية تتدفق حيوية ونشاطا.

والوطنية في شعر شوقي هي فيض الفطرة والإلهام، وليست من صنع الظروف أو التكلف، ولذلك جاءت قوية جارفة، عميقة رائعة.

فتأمل في أول قصيدة له في ديوانه وهي التي قالها في المؤتمر الشرقي الدولي المنعقد بمدينة جنيف عام ١٨٩٤ ومطلعها.

هَمَّتِ الْفَلَكَ وَاحْتَوَاهَا الْمَاءُ وَحَدَاهَا بَيْنَ ثَقَلِ الرَّجَاءِ

تجدها آية في شعر الملاحم أو الشعر التاريخي، وتحس وأنت تقرؤها أنها قيس من نور الوطنية، فهي سجل ناطق (لكبار الحوادث في وادي النيل)، وقد بلغ عدد أبياتها ثلاثمائة بيت إلا قليلا (تسعين ومائتي بيت)، عرض فيها عرضا أخاذا بديعا تاريخ مصر من أقدم العصور إلى عام نظمها، أشاد بعظمتها ومجد مفاخرها، وحنى عليها في كبواتها، واستنزل السخط على كل من اعتدى عليها.

فانظر إلى قوله عن عظمة مصر:

قُلْ لِبَنِي بَنَى فَشَادَ فَعَالِي لَمْ يَجْزُ مِصْرُ فِي الزَّمَانِ بِنَاءِ  
لِيسَ فِي الْمَمَكَنَاتِ أَنْ تُنْقَلَ الْأَجْبَالُ<sup>(١)</sup> شُجًا وَأَنْ تُنَالِ السَّيَاءُ

ولما انتهى في سرد الحوادث إلى الحملة الفرنسية سجل إخفاقها وارتدادها عن مصر، قال:

وَأَقَى النَّسْرُ<sup>(٢)</sup> يَنْهَبُ الْأَرْضَ نَهْبًا حَوْلَهُ قَوْمُهُ النَّسُورُ ظِلَاءِ  
يَشْتَهِي النَّيْلَ أَنْ يَشِيدَ عَلَيْهِ دَوْلَةُ عَرْضُهَا الثَّرَى وَالسَّيَاءُ  
حَلُمْتُ رُومَةً بِهَا فِي اللَّيَالِي وَرَأَاهَا الْقِيَاصِرُ الْأَقْوِيَاءُ  
فَأَنْتَ مِصْرَ رُسُلُهُمْ تَتَوَالِي وَتَرَامَتْ سَوْدَانُهَا الْعِلْمَاءُ  
وَلَوْ اسْتَشْهَدَ الْفَرَنْسِيُّسُ رُومًا لَا تَنْتَهُمُ مِنْ رُومَةِ الْأَنْبِيَاءِ  
عَلِمْتُ كُلَّ دَوْلَةٍ قَدْ تَوَلَّتْ أَنْنَا سَمَاهَا وَأَنَا الْوَبَاءُ

(١) الأحيال: جمع جبل.

(٢) يقصد نابليون.

قاهر العصر والممالك نابليون ولّت قوائده الكبراء  
جاء طيشاً وراح ومن قبل أطاشت أناسها العليا  
وانظر كيف يصور في البيتين الآتين سكوت الأهرام وهي تواجه نابليون بأنه سكوت  
السخرية والاستهزاء وكأنها تتنبأ له بالهزيمة في ختام معاركه، قال:  
سكتت عنه يوم عيَّرها الأهرام لكن سكوتها استهزاء  
فهى توحى إليه أن تلك (واتر لو) فأين الجيوش أين اللواء؟  
وتأمل كيف يعبر عن قناة السويس بأنها نكبة على مصر قال:  
جمع<sup>(١)</sup> الزاخرين كَرها فلاكاً      نا ولا كان ذلك الالتقاء  
أحمر عند أبيض للبرابا      حصّة القطر منها سوداء  
والقصيدة كلها على هذا الغرار في الإجادة والإبداع، ولقد نظمها وهو في الرابعة والعشرين،  
وكأنما رسم فيها منهجه في الشعر، فهو يقتبس من عبقريته الشعرية، ومن روحه الوطنية معاً،  
وقد لازمه هذا الامتزاج في شتى قصائده.

### شوقى ومصطفى كامل

سارت نهضة الشعر في مصر إلى جانب النهضة الوطنية التي هبت لمقاومة الاحتلال، ومن هنا  
جاءت صلة الزعيم مصطفى كامل بشعراء عصره، وكانت دعوته الوطنية تلقى صدى وتأيداً في  
قصائدهم الغرّ، بحيث يمكن القول بأن الشعر لم يتألق في سبأ مجده مثلما تألق في عهد مصطفى  
كامل ومحمد فريد.

وقد ظهر التجاوب بين دعوة مصطفى كامل وشعر شوقى، وزاد في هذا التجاوب أن شوقى  
كان صديقاً حميماً لمصطفى، وكلاهما معجب بصاحبه أياً إعجاب، ولا غرو فيها صنوان، وفرسا  
رهان، هذا في ميدان الوطنية والجهاد، وذلك في دولة الشعر والبيان، وكان شوقى يعتز بصداقته  
لمصطفى ومشاركته إياه في تعهده الروح الوطنية وغرسها في نفوس الجيل، وإلى ذلك يشير في  
قصيدته عن ذكرى مصطفى سنة ١٩٢٥ اذ يقول فيها مخاطباً الفقيد.

أتذكّر قبل هذا الجيل جيلاً      سهرنا عن معلّمهم وناماً؟  
مهّار الحق بغضنا اليهم      شكيم القيصريّة واللجاما<sup>(٢)</sup>

(١) الإشارة هنا إلى سعيد الذى منح دلسيس امتياز القناة، ويريد بالزاخرين البحر الأبيض المتوسط والبحر الأحمر.

(٢) مهّار جمع مهر، والمراد بالمهّار هنا الشباب، والمراد بشكيم القيصريّة ولجامها. بطش الاحتلال وجبروته.

(لواؤك) كان يَسْقِيهِمْ بِجَامٍ      وكان الشعرُ بين يديَّ جاما  
من الوطنية استبقوا رحيقًا      فضَضْنَا عن مُعْتِقِهَا الختام

وكان مصطفى يصف شوقي بأنه «الغدير الصافي في القاف الغاب، يسقى الأرض ولا يبصره الناظرون»، وكان يخص لقصائده أسمى مكان في (اللواء)، وفي ذلك يقول شوقي في مرثاته الخالدة:

قد كنت تهتف في الورى بقصائدى      وتجلّ فوق النيرين مكاني  
وزاره وهو على فراش مرضه الأخير، فطلب إليه مصطفى أن يريته إذ أحس بدنو أجله، وفي ذلك يقول شوقي:

وجعلت تسألني الرثاء فهأكه      من أدمعى وسرائرى وجناني  
ويبدو الانسجام بين دعوة مصطفى كامل وشعر شوقي في كثير من قصائده.

### قصيدة شوقي في وداع اللورد كرومر

فمن ذلك قصيدته المشهورة في وداع اللورد كرومر سنة ١٩٠٧ حين اضطر إلى الاستقالة على أثر حادثة دنسواي، ففي أبياتها تتجلى الروح الوطنية والنقمة على الاحتلال، قال:

أيامكم أم عهد اسماعيلاً      أم أنت فرعون يسوس النيل؟  
أم حاكم في أرض مصر بأمره      لا سائلاً أبداً ولا مسئولاً  
يا مالِكاً رَقَّ الرقاب ببأسه      هلا اتخذت إلى القلوب سبيلاً؟  
لما رحلت عن البلاد تشهدت      فكأنك الداء العياء رحيلاً  
أوسعتنا يوم الوادع إهانةً      أدبٌ لعمرِكَ لا يصيبُ مثيلاً<sup>(١)</sup>

إلى أن قال:

أنذرتنا رُقاً يدوم وذلةً      تبقى وحالاً لا ترى تحويلاً  
أحسبت أن الله دونك قدرةً      لا يملك التغيير والتبديلاً  
الله يحكم في الملوك ولم تكن      دولٌ تنازعه القوى لتدولاً

(١) يشير إلى خطبة اللورد كرومر في الحفلة التي أقامها صناع الاحتلال بدار الأوبرا تكريماً له وأهان فيها المصريين.

وعونٌ قبلك كان أعظم سطوةً وأعزّ بين العالمين قبلاً

\*\*\*

اليوم أخلفت الوعود حكومةً  
دخلت على حكما الوداد وشرعه  
هدمت معالمها وهدت ركنها  
كنا نظن عهدَها الانجيلا  
مصرّاً فكانت كالسلاسل دخولا  
وأضاعت اعتقالها المأمولا

وقال:

قد مدّ إسماعيل قبلك للورى  
إن قيس في جود وفي سرف إلى  
أو كان قد صرع (المفتش) مرةً  
لا تذكر الكرباج في أيامه  
ظلّ الحضارة في البلاد ظليلاً  
ما تنفقون اليوم عُدّ بخيلاً  
فلكم صرعت بدنشواى قتيلاً  
من بعد ما أنبت فيه ذبولا

### قصيدته في ذكرى دنشواى

وقصيدته سنة ١٩٠٧ أيضاً عن (ذكرى دنشواى)، بعد مرور عام على حادثتها، في سبيل طلب العفو عن سجنائها، وفيها وصف مؤثر لهذه المأساة.

قال:

يادنشواى على ربّك سلامٌ  
شهداء حُكمك<sup>(١)</sup> في البلاد تفرقوا  
مرّت عليهم في اللحد أهلة  
كيف الأراملُ فيك بعد رجاها  
عشرون بيتاً أقفرت وانتابها  
ياليت شعري في البروج حمائمٌ  
(نيرون) لو أدركت عهد (كرومر)  
ذهبت بأنس ربوعك الأيام  
هيهات للشمّل الشتينِ نظام  
ومضى عليهم في القيود العام  
وبأى حالٍ أصبح الأيتام؟  
بعد البشاشة وحشة وظلام  
أم في البروج منيةٌ وحمائم؟  
لعرفت كيف تنفذ الأحكام!

\*\*\*

نوحى حمائم دنشواى وروعى  
إن نأمت الأحياء حالت بينه  
شعباً بوادى النيل ليس ينام  
سَحراً وبين فراشه الأحلام

(١) أى حكم المحكمة المختصة في قضية دنشواى.

متوجعُ يتمثلُ البومَ الذى  
السوطُ يعملُ والمشائقُ أربعُ  
والمستشارُ<sup>(١)</sup> إلى الفظائعِ ناظرُ  
فى كلِّ ناحيةٍ وكلِّ محلةٍ  
وعلى وجوهِ الشاكليْنِ كآبةٍ  
ضجتُ لشدةِ هولهِ الأقدامِ  
متوحشاتُ والجنودُ قيامِ  
تدمى جلودُ حولهِ وعظامِ  
جزعاً من الملاءِ الأسيفِ زحامِ  
وعلى وجوهِ الشاكلاتِ رَغامِ

### رثاء لمصطفى كامل

ولما توفى مصطفى كامل سنة ١٩٠٨ رثاه شوقي بقصيدته الخالدة التى تعد أكبر مرثاة فى تاريخ الأدب العربى، ترجم فيها عن شعوره بالحزن والألم بآيات بينات تجلت فيها حكمة الشعر وقوة الوطنية وروعة البيان، وقد نشرت يوم ٢٣ فبراير سنة ١٩٠٨ عقب وفاة الزعيم بثلاثة عشر يوماً، فأثرت فى النفوس تأثيراً عميقاً، وجددت أحزان الأمة، وحفظناها وحفظها الشباب وقتئذ عن ظهر قلب، لأنها عبرت عن شعورنا جميعاً فى الرزء الفادح، ننشرها كاملة لأنها قطعة من الشعر الوطنى الخالد. قال فى مطلعها:

المشرقان عليك ينتحبان  
يا خدام الإسلام أجز مجاهد  
لما نعتت إلى الحجاز مشى الأسى  
السكة الكبرى<sup>(٢)</sup> حيال رباها  
لم تألها عند الشدائد خدمةً  
يا ليت مكة والمدينة فازتا  
ليرى الأواخر يوم ذاك ويسمعوا  
جار التراب وإنك أكرم راحل

وقال عن مرضه الذى أودى بحياته:

أبكى صباك ولا أعاتب من جنى  
يتساءلون أبا لسلال قضيت أم  
هذا عليه كرامةٌ للجاني<sup>(٤)</sup>  
بالقلب أم هل مت بالسرطان

(١) يريد الكتبتن متشل مستشار وزارة الداخلية وكان يشرف على تنفيذ الحكم.

(٢) يريد سكة حديد الحجاز

(٣) قس وسحبان خطيبان من أبلغ خطباء العرب.

(٤) الجاني إشارة إلى مصطفى كامل أى أنه ضحى بحياته وشبابه فى سبيل مصر.



والمجد والإقدام والعرفان

في هذه الدنيا فأت الباني  
هل فيه آمال وفيه أمان  
ولربّ حىّ ميّت الوجدان

ومضلل يجرى لغير عنان  
عليها المراتب لم تُتَحْ لجان  
ماتوا على دين ولا إيمان  
جُعِلَتْ لَهَا الْأَخْلَاقُ كَالْعُنْوَانِ  
قَصُرَ يَرِيكَ تَقَاصَرَ الْأَقْرَانِ  
إِنَّ الْحَيَاةَ دَقَائِقُ وَثَوَانِ  
فَالذِّكْرُ لِلْإِنْسَانِ عَمْرٌ تَانِ  
ما شاء من ربح ومن خسران  
وهى المضيق لمؤثر السلوان

\*\*\*

يشقى له الرحماء وهو الهاني  
في طيها سَجَنٌ مِنَ الْأَشْجَانِ  
نعمى الحياة وبؤسها سيان

خطرات والإسرار والإعلان  
غازٍ بغير مُهَنَّدٍ وسنان؟  
أن العلوم دعائم العمران

الله يشهد أن موتك بالحجا

وقال يشيد بأخلاق الفقيد:

إن كان للأخلاق ركن قائم  
بالله فتش عن فؤادك في الترى  
وجدانك الحىّ المقيم على المدى

وقال في فلسفة الحياة:

الناسُ جارى في الحياة لغاية  
والخلدُ في الدنيا وليس بهين  
فلو أن رسل الله قد جبنوا لما  
المجد والشرف الرفيع صحيفة  
وأحبُّ من طول الحياة بذلة  
دَقَاتُ قَلْبِ الْمَرْءِ قَائِلَةٌ لَهُ  
فَارْفَعْ لِنَفْسِكَ بَعْدَ مَوْتِكَ ذِكْرَهَا  
للمرء في الدنيا وجم شؤونها  
فهى القضاء لراغب متطلع

الناس غاي في الشقاوة رائح  
ومنعم لم يلق إلا لذة  
فاصبر على نعمى الحياة وبؤسها

وقال مخاطباً الزعيم:

يأطاهر الغدوات والرّوحات وال  
هل قام قبلك في المدائن فاتح  
يدعو إلى العلم الشريف وعنده

وقال في وصف الجنّازة:

لَقُوكَ فِي عِلْمِ الْبِلَادِ مِنْكَسًّا . جَزَعَ الْهَلَالُ عَلَى فَتَى الْفَتِيَانِ

ما احمرّ من خجل ولا من ريبة  
يُزْجُون نَعشَكَ في السَّناء وفي السَّنا  
وكأنه نَعش (الحسين) «بكر بلا»  
في ذمة الله الكريم وبره  
ومشى جلال الموت وهو حقيقة  
لكننا يبكى بدْمَع قاني<sup>(١)</sup>  
فكأنما في نَعشِكَ القمران  
يختال بين بكى وبين حنان  
ما ضم من عرف ومن إحسان  
وجلالك المصدوق يلتقيان

\*\*\*

شَقَّتْ لمنظرك الجيوبَ عقائلُ  
والخلْقُ حولك خاشعون كَعهدهم  
يتساءلون بأي قلب تُرْتَقَى  
فلو إن أوطاناً تُصوِّر هيكلًا  
أو كان يَحْمِلُ في الجوارح ميت  
أو صيغ من غُرِّ الفضائل والعلَى  
أو كان للذكر الحكيم بقية  
وقال يصف الفقيد في مرضه الأخير:

ولقد نظرتك والردى بك محقق  
يبغى وَيَطْفَى والطبيب مضلل  
ونواظرُ العُواد عنك أمالها  
تُمَلَى وتكتب والمشاعل جمة  
فهششتُ لى حتى كأنك عائدى  
ورأيتُ كيف تموت آساد الشُّرى  
ووجدتُ في ذاك الخيال عزائبًا  
والداء ملء معالم الجثمان  
قَنَطُ وساعات الرحيل دوانى  
دمعُ تعالج كَتَمَه وتعانى  
ويداك في القرطاس ترتجفان  
وأنا الذى هدّ السقام كيانى  
وعرفتُ كيف مصارع الشجعان  
ما للمنون بدگهن يردان

\*\*\*

وجعلتُ تسألنى الرثاء فهاكه  
لولا مغالبة الشجون لخطيرى  
من أدمعى وسرائرى وجنانى  
لنظمتُ فيك يتيمة الأزمان

(١) قاني: أحمر.

وأنا الذى أرى الشموس إذا هوت فتعود سيرتها من الدوران

\* \* \*

قد كنت تهتف فى الورى بقصائدى  
مأذا دهانى يوم بنت فعقنى  
هون عليك فلا شمات بميت  
من للحسود بميتة بلغتها  
عوفيت من حرب الحياة وحربها  
فهل استرحت أم استراح الشانى

وقال فى ختام القصيدة يذكر فضل مصطفى على مصر:

يا صَبَّ مصر ويا شهيد غرامها  
اخلع على مصر شبابك غاليا  
فلعل مصرًا من شبابك ترتدى  
فلو أنا بالهرمين من عزماته  
علمت شبان المدائن والقرى  
مصر الأسيفة ريفها وصعيدها  
أقسمت أنك فى التراب طهارة  
هذا ثرى مصر فتم بأمان  
والبس شباب الحور والولدان  
مجداً تنيه به على البلدان  
بعض المضاء تحرك الهرمان  
كيف الحياة تكون فى الشبان  
قبر أبر على عظامك حانى  
ملك يهاب سؤاله الملكان

### شهيد الحق

وكان سوقى لا يفتأ يذكر مصطفى بعد وفاته:

فمن ذلك قصيدته التى نظمها سنة ١٩٢٥ لمناسبة ذكراه بعنوان (شهيد الحق)، تناول فيها ما أصاب البلاد من انقسام وتشاحن وتناحر، ثم انتقل من ذلك إلى ذكرى مصطفى كامل، فوفاه حقه من التمجيد، قال فى مطلعها:

إلام الخلف بينكمو إلا ما؟  
وفيم يكيد بعضكم لبعض  
وأين الفوز؟ لا مصر استقرت  
وهذه الضجة الكبرى علاماً؟  
وتبدون العداوة والخصاماً؟  
على حال ولا السودان داما

إلى أن قال:

ولينا الأمر حزباً بعد حزب  
فلم نك مصلحين ولا كراما

ولم نَعُدْ الجزاء والانتقاما  
بأهواء النفوس فما استقاما

جعلنا الحكم توليةً وعَزَلًا  
وُسُسنا الأمر حين خلا إلينا

وقال ذاكرًا مناقب الفقيد:

بأرض ضُيِّعت فيها اليتامى  
ومرّ على القلوب فما أقاما<sup>(١)</sup>  
كأن بمهجة الوطن السقاما  
فغَطَّى الأرض وانتظم الأناما  
وضمّ مروءةً وحوى زماما  
طلعت حيا لها قمرًا تمامًا  
بعيني من أحب ومن تعامى  
إذا هو في عكاظَ علا السناما  
والطف حين تنطقه ابتساما  
صراحًا ليس يتخذ اللثاما

شهيد الحق قم تره يتيما  
أقام على الشفاه بها غريبًا  
سقيمت فلم تبت نفس بخير  
ولم أر مثل نعشك إذ تهادى  
تحمل همّةً وأقلّ دينًا  
وما أنساك في العشرين لما  
يُشار إليك في النادى وتُرمى  
إذا جئت المنابر كنت (قُسا)  
وأنت ألدّ للحق اهتزازًا  
وتحمل من أديم الحق وجهًا

\*\*\*

سهرنا عن معلّمهم وناما؟  
شكيم القيصرية واللجاما  
وكان الشعر بين يديّ جاما  
فضضنا عن معتقها الختاما  
بكل قرارة وزكا مُداما  
كنفخ الصوّر حركت الرجاما<sup>(٢)</sup>  
بسورتها وساعت للندامي<sup>(٣)</sup>  
وكانت في حلاوتها بغاما<sup>(٤)</sup>

أتذكرُ قبل هذا الجيل جيلًا  
مهار الحق بغضنا إليهم  
لواؤك كان يسقيهم بجام  
من الوطنية استبقوا رحيقًا  
غرسنا كرمها فزكا أصولا  
جمعتهمو على نبرات صوت  
لك الخطب التي غص الأعادى  
فكانت في مرارتها زئيرًا

\*\*\*

(١) أى أن الحق تنطق به الأفواه ولا يستقر في القلوب.

(٢) الرجاء: القبور.

(٣) السورة: الحدة والشدة؛ والندامى جمع نديم والمراد بهم والأنصار والأصدقاء.

(٤) البغام: صوت الظبي.

حديثاً من خرافة أو مناماً  
وصيرت (الجللاء) لها دعاماً

بك الوطنية اعتدلت وكانت  
بنيت قضية الأوطان منها

وله قصيدة في ذكره سنة ١٩٢٦ قال:

وحياة من السير	لم يمت من له أثر
بعدت غاية السقر	أدعه غائباً وإن
آبت الشمس والقمر <sup>(١)</sup>	آيب الفضل كلما
قد أتانا من الحفر	رب نور مُتَمِّم
ميت الحبر والخبر	إنما الميت من مشى
وإذا مات لم يضر	من إذا عاش لم يُفد
منه ظل ولا ثمر	ليس في الجاه والغنى
ور إذا ذلت القُصر	قبح العز في القص

\*\*\*

وإلى (مصطفى) افتقر	أعوز الحق ذائد
هبة الصارم الذكر	وقنت حياضه
والذي يركب الخطر	الذي يُنفذ المدي
واضع الأسس والحجر	أيها القوم عظموا
هي من آية الكبر	أذكروا الخطبة التي
منبراً تحت محتضر	لم ير الناس قبلها
وهو يمشى إلى الظفر	لست أنسى لواءه
زُمرًا إثرها زمر	حشر الناس تحته
لاترى البيض والسم <sup>(٢)</sup>	وترى الحق حوله
نفخ الروح في الصور	كلما راح أو غدا

\*\*\*

(١) أي يعود للفقيد فضل وتتجدد ذكره كلما آبت الشمس وعاد القمر

(٢) البيض: السيوف والسم: الرماح.

ياأخا النَّفْسَ في الصِّبا  
وخليلا ذَخْرُته  
حال بيني وبينه  
كيف أجْزَى مودَّةً  
غيرَ دمع أقولُه  
وفؤادٍ معلَّلٍ  
لم ينم عنك ساعةً  
قم تر القومَ كتلةً  
جَدَّوا أُلْفَةَ الهوى  
ليس للخلف بينهم  
ألَفْتهم روائحُ  
وضحوا من منومٍ  
أقبلوا نحو حَقِّهم  
جَعَلوه خَلِيَّةً  
وتواصَّوا بخطَّةٍ  
وقصارى أولى النهى  
أذنونا بموقفٍ  
نسمع الليثَ عنده  
قل لهم في نديهم<sup>(٢)</sup>

لذَّة الروح في الصَّغر  
لم يُغَنِّم بِمَدَّخِر  
في فُجاءاته القدر  
لم يَشُبْ صفوها كدر  
قلَّ في الشأن أوكثُر  
بالخيالات والذكر  
في الأحاديث والهمر  
مثل مَلُومة الصخر  
والإخاء الذي شطر  
أو لأسبابه أثر  
غاديات من الغير  
وأفاقوا من الخدر<sup>(١)</sup>  
ما لهم غيره وطر  
شرعوا دونها الإبر  
وتداعوا لمؤمر  
يتلاقون في الفكر  
من جلال ومن خطر  
دون آجامه زأر  
مصر بالباب تنتظر

### شوقي وفريد

لم تكن صلة شوقي بفريد كصلته بمصطفى، وعندما تولى فريد زعامة الحركة الوطنية سنة ١٩٠٨، بعد وفاة الزعيم الأول، كانت سياسة (الوفاق) بين الخديوى عباس الثانى والمعتمد البريطانى قد ثبتت قواعدها، وتنكر عباس للحركة الوطنية، ومع صلة شوقي بالقصر واشتداد الجفاء بين الخديوى وفريد، فإنه لم يتعرض له بسوء فى أى قصيدة له، وكان هذا منه نعم الوفاء للوطنية.

(٢) يريد البرلمان.

(١) الخدر الكسل.

وبدا حب تنوقي للحزب الوطنى وتأيدده له من رثائه لعمر بك لطفى أحد أقطاب هذا  
الحزب ومؤسس التعاون فى مصر، فقد نظم سنة ١٩١١ فى رثائه قصيدة بدبعة قال فى مطلعها:  
قَفُّوا بِالْقُبُورِ نُسَائِلَ عَمْرٍ متى كانت الأرضُ مَشْوَى القَمَرِ؟  
وفيهما يقول:

«نِقَابَاتُكَ» الغُرُّ تبكى عليك	ويبكى عليك النَّدىُّ الأغر <sup>(١)</sup>
ويبكى التعاونُ من سَنِّه	عشيَّة ليس له من أثر
ويبكىكَ (حِزْبُ) تَخَيَّرْتَه	شريفُ المَرَامِ شريفُ الوَطَرِ
ويبكى الأولى أنتَ عَلَّمْتَهُمْ	وأنتَ غَرَسْتَ فكَانُوا الثمر

### رثاؤه لفريد

ولما توفى فريد سنة ١٩١٩ رثاه بقصيدة من عيون شعره، ظهر فيها تقديره للزعيم الشهيد،  
قال:

كُلُّ حَيٍّ عَلَى المَنِيَةِ غَادَى	تتوالى الزكَّابُ والموتُ حَادَى <sup>(٢)</sup>
ذَهَبَ الْأَوَّلُونَ قَرْنًا فَقَرْنَا	لَمْ يَدُمْ حَاضِرٌ وَلَمْ يَبْقَ بَادَى <sup>(٣)</sup>
هَلْ تَرَى مِنْهُمْ وَتَسْمَعُ عَنْهُمْ	غَيْرَ بَاقٍ مَآثِرٍ وَأَيَادَى؟

\*\*\*

كُرَّةُ الْأَرْضِ كَمْ رَمَتْ صَوْلَجَانَا	وَطَوَتْ مِنْ مَلَاعِبٍ وَجِيَادِ
وَالْغُبَارُ الَّذِى عَلَى صَفْحَتَيْهَا	دَوْرَانُ الرِّحَى عَلَى الْأَجْسَادِ
كُلُّ قَبْرِ مِنْ جَانِبِ الْقَفْرِ يَبْدُو	عِلْمُ الْحَقِّ أَوْ مَنَارُ الْعَادِ
وَزِمَامُ الرُّكَّابِ مِنْ كُلِّ فَجٍّ	وَمِحْطُ الرُّحَالِ مِنْ كُلِّ وَادِ
تَطْلُعُ الشَّمْسُ حَيْثُ تَطْلُعُ نَضْجًا	وَتُنْحَلُّ كَيْمَنْجَلِ الْحَصَادِ

إلى أن قال:

أَسَأَلْتُمْ حَقِيبَةَ الْمَوْتِ مَاذَا	تَحْتَهَا مِنْ ذَخِيرَةٍ وَعَتَادِ؟
---	-------------------------------------

(١) نادى المدارس العليا وكان عمر لطفى رئيسه.

(٢) الحادى هو الذى يغنى للماملة فتتنشط فى سيرها.

(٣) الحاضر ساكن الحضر، والبادى ساكن البادية.

إن في طيها إمامٌ صُفوف  
لو تركتم لها الزمام لجاءت  
انظروا هل ترون في الجمع (مصر)  
تاج أحرارها غلاماً وكهلاً  
وسدوه التراب نضو سفار  
واركزوه إلى القيامة رجماً  
وأقرّوه في الصفائح عَضْباً

وقال مستيراً إلى موته في منفاه:

نازح الدار أقصر اليوم بين  
وكفى الموت ما تخاف وترجو  
من دنا أو نأى فإن المنايا  
يسر مع العمر حيث شئت تؤوبا  
ذلك الحق لا الذى زعموه  
وجرى لفظه على ألسن النسا  
يتحلى به القوى ولكن

وحوارى نبيّة واعتقاد  
وحدها بالشهيد دار الرشاد  
حاسراً قد تجلّت بسواد  
راعها أن تراه في الأصفاد  
في سبيل الحقوق نضو سهاد  
كان للحشد والندى والطراد  
لم يدين بالقرار في الأغمد

وانتهت محنة وكفت عوادي  
وشفى من أصادق وأعادي  
غاية القرب أو قصارى البعاد  
وافقد العمر لا تؤب من رقاد  
في قديم من الحديث مُعاد  
س ومعناه في صدور الصّعاد  
كتحلى القتال باسم الجهاد

\*\*\*

هل ترى كالتراب أحسن عدلا  
نزل الأقوياء فيه على الضّعفى وحلّ الملوك بالزهاد  
صفحات نقيّة كقلوب الرسائل مغسولة من الأحقاد  
قم إن أسطعت من سريرك وانظر  
هل تراهم وأنت موفٍ عليهم  
أمة هيئت وقومٌ خير السدهر أو شره على استعداد  
مصر تيكى عليك في كل خدر  
لو تأملت لها لراعى منها  
منتهى ما به البلاد تغزى  
أمّهات لا تحمل الشكل إلا

وقياما على حقوق العباد  
نزل الأقوياء فيه على الضّعفى وحلّ الملوك بالزهاد  
صفحات نقيّة كقلوب الرسائل مغسولة من الأحقاد  
قم إن أسطعت من سريرك وانظر  
هل تراهم وأنت موفٍ عليهم  
أمة هيئت وقومٌ خير السدهر أو شره على استعداد  
مصر تيكى عليك في كل خدر  
لو تأملت لها لراعى منها  
منتهى ما به البلاد تغزى  
أمّهات لا تحمل الشكل إلا



(كفريد) وأين ثانی فريد  
 الرئيس الجواد فيها علمنا  
 أَكَلْتُ مَالَهُ الْحَقُّ وَأَبْلَى  
 لك في ذلك الضنى رقة الرو  
 علة لم تصل فراشك حتى  
 صادفت قرحة يلائمها الصبر وتأبى عليه غير الفساد  
 وَعَدَ الدهرُ أن يكون ضمادا لك فيها فكان شر ضماد  
 وإذا الروح لم تنفس عن الجسم (فبقراط)<sup>(١)</sup> نافخ في رماذ

### قصيدته في ذكره

وفي سنة ١٩٢٤ نظم قصيدة في ذكره الخامسة، وهي من أبلغ شعره ومن أروع ما قيل في تمجيد فريد ووطنيته وتضحياته، قال:

نُجِدُّ ذَكَرَى عَهْدِكُمْ وَنَعِيدُ  
 وَلِلنَّاسِ فِي الْمَاضِي بَصَائِرُ يَهْتَدِي  
 إِذَا أَلَمَتْ لَمْ يَكُرْ بِأَرْضِ ثَنَاؤُهُ  
 وَنَحْنُ قَضَاةُ الْحَقِّ نَرَعِي قَدِيمَهُ  
 وَنَعْلَمُ أَنَا فِي الْبِنَاءِ دَعَائِمُ  
 فَرِيدُ ضَحَايَانَا كَثِيرٌ وَإِنَّمَا  
 فَمَا خَلَفَ مَا كَابَدَتْ فِي الْحَقِّ غَايَةُ  
 تَغَرَّبَتْ عَشْرًا أَنْتَ فِيهِنَّ بَائِسُ  
 تَجْوَعُ بِلْدَانُ وَتَعْرِى بِغَيْرِهَا  
 أَلَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالْحَقِّ طَارِفُ  
 وَجُودِكَ بَعْدَ الْمَالِ بِالنَّفْسِ صَابِرَا

وَنُدْنِي خِيَالَ الْأَمْسِ وَهُوَ بَعِيدُ  
 عَلَيْهِنَ غَاوٍ أَوْ يَسِيرُ رَشِيدُ  
 تَحِيرُ فِيهَا الْحَيُّ كَيْفَ يَسُودُ  
 وَإِنْ لَمْ يَفْتَنَا فِي الْحَقِّ جَدِيدُ  
 وَأَنْتُمْ أَسَاسُ فِي الْبِنَاءِ وَطِيدُ  
 مَجَالِ الضَّحَايَا أَنْتَ فِيهِ فَرِيدُ  
 وَلَا فَوْقَ مَا قَاسَيْتَ فِيهِ مَزِيدُ  
 وَأَنْتَ بِأَفَاقِ الْبِلَادِ شَرِيدُ  
 وَتَرْزَحُ تَحْتَ الدَّاءِ وَهُوَ عَتِيدُ  
 مِنَ الْمَالِ لَمْ تَبْخُلْ بِهِ وَتَلِيدُ  
 إِذَا جَزَعَ الْمُحْضُورُ وَهُوَ يَجِيدُ

\*\*\*

(١) بقراط هو أبو الطب.

فلا زلت تمنّالا من الحق خالصاً على سِرِّه نبنى العلا ونشيد  
يعلم نشء الحى كيف هوى الحمى وكيف يحامى دونه ويذود

### حبه وتقديسه للوطن

إن حب شوقى للوطن يتمشى في معظم قصائده، مما تراه في ديوانه، وقد اقتبسنا طرفاً منها، وله فوق ذلك أبيات بلغ فيها حبه للوطن درجة التقديس والعبادة مما يجعلها تسير مسرى الحكم والأمثال، على تعاقب السنين والأجيال، وتبعث في نفوس المواطنين روح الإخلاص العميق للوطن والفناء فيه.

كقوله سنة ١٩٢٠ بعد عودته إلى مصر من منفاه:

ويا وطنى لقيتُك بعد يأسٍ كأنى قد لقيتُ بك الشبابا  
ولو أنى دُعيتُ<sup>(١)</sup> لكنتَ دينى عليه أقابل الحتم المجابا<sup>(٢)</sup>  
أدير إليك قبل البيت وجهى إذا فُهِتُ الشهادة والمتابا

ففى هذه الأبيات يقدم شوقى الوطن على الدين ويدير وجهه إلى الوطن قبل الكعبة عندما يلقى ربه.

وقوله سنة ١٩٢٤ مخاطباً الشباب:

وَجْهَ الكنانة ليس يُغضب ربكم أن تجعلوه كوجهه معبودا  
ولوا إليه فى الدروس وجوهكم وإذا فرغتم فاعبدوه هجودا  
إن الذى قَسَمَ اليلادَ حياكمو بلدا كأوطان النجوم مجيدا  
قد كان - والدنيا لُحودٌ كلها - للبقريّة والفنون مُهودا

وقوله وهو فى منفاه:

وطنى لو شغلْتُ بالخلد عنه نازعتنى إليه فى الخلد نفسى

أى أنه لو شغل عن الوطن بجنة الخلد وسكنها، لبقيت نفسه تهفو إلى الوطن وتنزع إليه.

وقوله من قصيدته سنة ١٩٢٦ فى نكبة دمشق من الاستعمار الفرنسى:

(١) أى دعيت إلى الموت.

(٢) الحتم المجاب هو الموت.

وللأوطان في دم كل حُرٍّ      يدُ سَلَفَتْ ودينُ مستحقٍّ  
وللحرية الحمراء باب      بكل يد مضرِّجة تُدقُّ

وقوله:

لا تلوماها أليست حرة      وهوى الأوطان للأحرار دين

وقال سنة ١٩٠٤:

أحبك مصر من أعماق قلبي      وحبك في صميم القلب نام  
وبلغ حبه لمصر أن جعلها كعبة أشعاره قال:

وإني لغيري هذا البطاح      تغدَّى جناها وسلسالها  
تَرى مصرَ كعبةَ أشعاره      وكلُّ معلقة قالها

### ثورة سنة ١٩١٩

قال من قصيدة له بعنوان (الحرية الحمراء) يمجّد ثورة ١٩١٩:

يومُ البطولة لو شهدتُ نهاره      لنظمتُ للأجيال ما لم يُنظَّم  
غُبِنتُ حقيقته وفات جمالها      باعَ الخيال العبقريّ الملهم  
لولا عوادي النفي أو عقباناه      والنفيّ حالٌ من عذاب جهنم  
لجمعتُ ألوانَ الحوادث صورةً<sup>(١)</sup>      مثلتُ فيها صورة المستسلم  
وحكيته متغيّظاً لم يكظم      وحكيته متغيّظاً لم يكظم  
دَعَتِ البلادَ إلى الغمار فغامرت      وطنيةً بمثقف ومعلم  
ثارت على الحامي العتيد وأقسمت      بسواه جُلُّ جلاله لا تحتمى

\*\*\*

يومَ النضال كَسَتْكَ لونَ جمالها      حُرِّيَّةٌ صَبَغَتْ أديمك بالدم

(١) يشير إلى أنه كان منفاً حين شبت الثورة.

### تعلقه بالجللاء

ويبدو في شعره مبلغ تعلقه بالجللاء، وإيمانه به، وهذا ولا ريب من فيض الوطنية التي يستلهم منها شعره.

قال في سنة ١٩٢٤ يخاطب الشباب الذين أفرج عنهم بعد الحكم عليهم في قضية المؤامرة الكبرى:

لَبَّا بَنَى اللَّهُ الْقَضِيَّةَ <sup>(١)</sup> مِنْهُمْ	قَامَتْ عَلَى الْحَقِّ الْمُبِينِ عُمُودًا
جَادُوا بِأَيَّامِ الشَّبَابِ وَأَوْشَكُوا	يَتَجَاوِزُونَ إِلَى الْحَيَاةِ الْجُودَا
طَلِبُوا (الْجَلَاءَ) عَلَى الْجِهَادِ مَثُوبَةً	لَمْ يَطْلُبُوا أَجَرَ الْجِهَادِ زَهِيدًا
وَاللَّهِ: مَا دُونَ الْجَلَاءِ وَيَوْمِهِ	يَوْمٌ تُسَمِّيهِ الْكِنَانَةُ عِيدًا
وَجَدَ السَّجِينَ يَدًا تُحَطِّمُ قَيْدَهُ	مَنْ ذَا يُحَطِّمُ لِبِلَادٍ قَيْودًا؟

### وحدة وادى النيل

وقال في يولية سنة ١٩٢٤ عن وحدة وادى النيل من قصيدة له في استنكار حادث الاعتداء على المرحوم سعد زغلول ونجاته من محاولة اغتياله:

وَلَنْ نَرْضَى أَنْ تَقْدَّ الْقَنَاةُ	وَيُبْتَرَّ مِنْ مِصْرٍ سَوْدَانُهَا
فَمِصْرُ الرِّيَاضِ وَسَوْدَانُهَا	عَيُونَ الرِّيَاضِ وَخَلْجَانُهَا
وَمَا هُوَ مَاءٌ وَلَكِنَّهُ	وَرِيدُ الْحَيَاةِ وَشُرَيَانُهَا
تَتَمُّ مِصْرَ يَنْبَايِعُهُ	كَمَا تَتَمُّ الْعَيْنَ إِنْسَانُهَا
وَأَهْلُوهُ مِنْذُ جَرَى عَذْبُهُ	عَشِيرَةُ مِصْرٍ وَجِيرَانُهَا

### مشروع ملنر

هو مشروع المعاهدة الذي انتهت إليه مفاوضات سعد - ملنر سنة ١٩٢٠ ويحمل في طياته عناصر الحماية، وكان ممن عارضوه المرحوم الدكتور عبد الحميد أبو هيف، فلما توفي سنة ١٩٢٦ رناه شوقي في قصيدة أشار فيها إلى هذه المعارضة وأيدها، قال:

(١) يقصد القضية الوطنية.

بالأُمس كانت لابن هيف غَضْبَةً  
مشت البلاد إلى رسالة (ملنر)  
فلمحتُ أعرجُ في زوايا الحق لم  
ارتدت العاهاتُ عن أخلاقه  
لما رأى (التقرير) ينفت سَمَه  
هتك الحماية والرجال وراءها  
للحق نذكرها يداً بيضاء  
وتحفزت أرضاً لها وساء  
أعلم عليه ذِمَّةً عرجاء<sup>(١)</sup>  
لسموهن وحلت الأعضاء  
سبق الحواة فأخرج الرقطاء<sup>(٢)</sup>  
يتلمسون لها الستور رياء

### تصريح ٢٨ فبراير

وقال عن تصريح ٢٨ فبراير سنة ١٩٢٢<sup>(٣)</sup>.

ربحت من (التصريح) أن قيودها  
أوماترون على (المنابع)<sup>(٤)</sup> عُدَّة  
يافتية النيل السعيد خذوا المدى  
قد صرن من ذهبٍ وكنٌ حديدًا  
لا تنجلي وعلى (الضفاف) عديدًا  
واستأنفوا نفسَ الجهاد مديدًا

### يدعو إلى التضحية ويهاجم الاستعمار

قال يدعو إلى الجِد والتضحية:

والمرء ليس بصادقٍ في قوله  
والشعب إن رام الحياة كبيرة  
حتى يؤيد قوله بفَعَالِه  
خاض الغمار دما إلى آماله

ومن قصيدته سنة ١٩٢٦ في نكبة دمشق من الاستعمار الفرنسي:

لَحَاها الله أنباء توالَتْ  
يفصلها إلى الدنيا يريدُ  
على سمع الوليِّ بما يشقُّ<sup>(٥)</sup>  
ويُجملها إلى الآفاق بَرُقُ

(١) أصيب المرحوم أبو هيف بمرض بترت فيه ساقه وكان يمشي على ساقٍ صناعية.

(٢) الرقطاء. الحية.

(٣) هو التصريح الذي أعلنته بريطانيا في ٢٨ فبراير سنة ١٩٢٢ وأقرت فيه بانتهاء الحماية على مصر وبالإعتراف باستقلالها واحتفظت فيه بتولى أمور أربعة تعصف بجوهر الاستقلال وهي (١) تأمين مواصلات الإمبراطورية البريطانية في مصر (٢) الدفاع

عن مصر (٣) حماية المصالح الأجنبية في مصر وحماية الأقليات (٤) السودان.

(٤) منابع النيل بالسودان. وعدة أي جنود. والضفاف قناة السويس.

(٥) الولي أي المحب والصديق.

وللمستعمرين وإن ألانوا  
رماك بطيشه ورمى فرنسا  
إذا ما جاء طُلابُ حقٍّ  
دُمُ الثوار تعرفه فرنسا

إلى أن قال:

نصحتُ ونحن مختلفون داراً  
ويجمعنا إذا اختلفت بلادُ  
وقفتم بين موت أو حياة  
وللأوطان في دم كل حرٍّ  
ومن يسقى ويشربُ بالمنايا  
ولا يبنى الممالك كالضحايا  
ففى القتل لأجيالٍ حياةً  
وللحرية الحمراء بابٌ

ولكن كُنَّا فى الهمِّ شَرِقْ  
بيانٌ غيرٌ مُخْتَلَفٍ ونُطْقُ  
فإن رمتهم نعيمَ الدهر فاشقوا  
يَدُ سلفت ودَيْنُ مستحقٍّ  
إذا الأحرار لم يُسَقُوا وَيُسْقُوا؟  
ولا يُدْنَى الحقوق ولا يحقُّ  
وفى الأسرى فِدَى لهم وعَتَقُ  
بكل يدٍ مضرَّة يُدَقُّ

### يشفق على الوطن

من قصيدة له فى استقبال عيد الفطر يشفق على مصر ويقول أن لا عيد حتى تتحقق أهدافها.

وطنى أسفتُ عليك فى عيد المَلَأَ  
لا عيدَ لى حتى أراك بأُمَّةٍ  
ذهب الكرامُ الجامعون لأمرهم  
أيظلُّ بعضهم لبعض خاذلاً  
وإذا أراد الله إشقاء القُرى  
وبكى من وَجَدَ ومن إشفاق  
شاء راوية من الأخلاق  
وبقيت فى خَلْفٍ بغير خلاق<sup>(١)</sup>  
ويقالُ شَعْبٌ فى الحضارة راقٍ؟  
جعل الهداة بها دُعاة شِفاق

### يدعو إلى الأخلاق

إن بيته المشهور عن الأخلاق هو ديوان من الشعر تتجلى فيه الحكمة الأزلية فى أن الأخلاق

(١) الخلائق: النصيب الوافر من الخير.

هى أساس حياة الأمم وسبيلها إلى العظمة والمجد:

وإنما الأمم الأخلاق ما بقيت فإن هم ذهبت أخلاقهم ذهبوا  
وقد أكد هذا المعنى الرائع فى غير موضع.  
قال:

وإذا أصيب القوم فى أخلاقهم فأقيم عليهم مأثما وعويلا  
وقال:

وما السلاح لقوم كل عُدَّتْهم حتى يكونوا من الأخلاق فى أهب  
وقال أيضا:

على الأخلاق خطوا الملك وابنوا فليس وراءها للعز ركن  
وفوله:

المجد والشرف الرفيع صحيفة جعلت لها الأخلاق كالعنوان  
وقوله:

وإذا ما أصاب بُنيان قوم وهى خلق فإنه وهى أس  
وقوله:

كذا الناس بالأخلاق يبقى صلاحهم ويذهب عنهم أمرهم حين تذهب  
وقوله:

ولقد يُقام من السيوف وليس من عثرات أخلاق الشعوب قسام  
ومن قصيدته (نهج البردة):

صلاح أمرك للأخلاق مرجعه والنفس من خيرها فى خير عافية  
فقوم النفس بالأخلاق تستقيم والنفس من شرها فى مرتع وخيم  
وقوله:

وكان جنابهم فيها مهيبا ولأخلاق أجدر أن تُهابا

وقال فى هذا المعنى من قصيدة له سنة ١٩٢٠:

وليس بعامر بنيان قوم إذا أخلاقهم كانت خرابا

وقوله:

ولا المصائب إذ يُرمى الرجال بها      بقاتلاتٍ إذا الأخلاق لم تُصَبِّ

### يدعو إلى الوحدة الوطنية

من قصيدة له في رثاء بطرس غالي سنة ١٩١٠:

الحقُّ أبلغُ كالصباح للناظِر	لو أن قومًا حَكَّموا الأحلاما
أَعَهْدَتْنَا وَالْقَبْطُ إِلَّا أُمَّةٌ	للأرض واحدةً تروم مراما
نُعَلِي تَعَالِيمَ الْمَسِيحِ لِأَجْلِهِمْ	ويوقِّرون لأجلنا الإسلاما
الدينُ للدينِ جَلٌّ جلاله	لو شاء ربك وَحَّدَ الأقواما
يا قومِ بَانَ الرِّشْدُ فَأَقْضُوا مَا جَرَى	وخذوا الحقيقة وانبذوا الأوهاما
هذي ربوعُكُمْ وتلك ربوعنا	متقابلين نعالج الأياما
هذه قبوركُم وتلك قبورنا	متجاورين جماجمًا وعظاما
فَاحْرُمَةَ الموتى وواجب حقهم	عيشوا كما يقضى الجوارُ كراما

وقال من قصيدة أخرى له في هذا المعنى سنة ١٩١٠:

تعالَوْا عسى نطوى الجفاء وعهده	وننبذ أسباب الشقاق نواحيا
ألم تك (مصرُ) مَهْدَنَا ثم لحدنا	وبينهما كانت لكل مغانيا
ألم تك من قبل (المسيح بن مريم)	و (موسى) و (طه) تعبد النيل جاريا
فهلا تساقَيْنَا على حُبِّه الهوى	وهلَّا فديناه ضفأًا وواديا
وما زال منكم أهل ودٍّ ورحمة	وفي المسلمين الخيرُ ما زال باقيا
فلا يَثْنَكُم عن ذمة قتلُ (بطرس)	فَقَدَّمَا عرفنا القتل في الناس فاشيا

### القوة في الاتحاد

صوت الشعوب من الزئير مجمعا      فإذا تفرق كان بعضُ نباح



## يستحث الشباب على العلم والجداد

قال مخاطباً الشباب في قصيدة نظمها سنة ١٩٢٤:

يا شباب الغد وأبنائى الفدى	لکم أکریم وأعزّز بالفداء
هل يد الله لى العيش عسى	أن أراکم فى الفریق السعداء
وأرى تاجکم فوق السها	ورأى عرشکم فوق ذکاء
من راکم قال مصر استرجعت	عزها فى عهد (خوفو) و (مناء).
أمة للخلد ما تبني إذا	ما بنى الناس جميعا للعفاء
إنما مصر إليکم وبکم	وحقوق البر أولى بالقضاء
عصرکم حر ومستقبلکم	فى یمین الله خير الأمناء
لا تقولوا حطنا الدهر فما	هو إلا من خيال الشعراء
هل علمتم أمةً فى جهلها	ظهرت فى المجد حسناء الرداء
باطن الأمة من ظاهرها	إنما السائل من لون الإناء
فخذوا العلم على أعلامه	واطلبوا الحکمة عند الحکماء
واقبرأوا تاریخکم واحتفظوا	بفصیح جاءکم من فصحاء
أنزل الله على ألسنهم	وحیه فى أعصر الوحى الوضاء
واحکموا الدنيا بسلطان فما	خُلقت نضرتها للضعفاء
واطلبوا المجد على الأرض فإن	هى ضاقت فاطلبوه فى السماء!

## يدعو إلى إنكار الذات

وقال مخاطباً الشباب في قصيدة قالها سنة ١٩٢٤.

قالوا أننظم للشباب تحية	تبقى على جيد الزمان قصيدا
قلت الشباب أتم عقد مآثر	من أن أزيدهمو الثناء عقودا
قبلت جهودهم البلاد وقبّلت	تاجا على هاماتهم معقودا
خرجوا فما مدوا خناجرهم ولا	منّوا على أوطانهم بجهودا
خفى الأساس عن العيون تواضعا	من بعد ما رفع البناء مشيدا

## حكمه وعظاته

تنساب في شعر شوقي الحكم والعظات يخاطب بها مواطنيه ويصرهم بعبء التاريخ وعظات الحوادث، مما نذكر طرفاً منه.

## جلال الخالدين

قال عن جلال الملوك وأنه إلى زوال ولا يبقى إلا جلال الخلود:  
جلالُ الملك أيامٌ وتمضي ولا يمضي جلال الخالدين

## الخلود للعمل الصالح

وقال سنة ١٩٢٣ عن الخلود وأنه للعمل الصالح:  
من سَرَّه أن لا يموتَ فبالْعُلَى خَلَدَ الرجال وبالفعل النَّابِه  
ما مات من حاز الثَّرَى آثارَه واستولت الدنيا على آدابه  
قل للمدِّ بِما له وبجاهه وبما يُحِلُّ الناسُ من أنسابه  
هذا الأديم يَصُدُّ عن حُضَّاره وينام ملء الجفن على غُيَّابه  
إلا فتى يمشى عليه مجدداً ديباجتيه معمرًا لخرا به

## العدل أساس الملك

وقال في العدل:  
والعدل في الدولاب أسُّ ثابت يُفنى الزمان وينقذ الأجيالا

## فلسفة الحياة

وقال من قصيدته في رثاء مصطفى كامل:  
دَقَّتْ قلب المرء قائلة له إن الحياة دقائق وثوان  
ومن قوله في ذكرى كارنارفون مكتشف كنوز توت عنخ آمون:  
في الموت ما أعيان<sup>(١)</sup> وفي أسبابه كل امرئ رَهْنٌ بِطَيِّ كتابه

(١) ما أعيان أى ما أعجز عن إدراك حقيقته. ورهن بطى كتابه، أى باق في الحياة حتى ينتهى أجله.

إن نام عنك فكل طبٌ نافع      أو لم ينم فالطب من أذنايه  
إلى أن قال منوهاً بفضل كارنارفون في اكتشافاته الأثرية:  
أَفْضَى إلى خَتم الزمان فَفَضَّهُ      وَحَبَا إلى التاريخ في محرابه  
وطوى القرونَ القهقري حتى أتى      فرعونَ بين طعامه وشرابه

ومن قوله في العظة والاعتبار حين سقطت أدرة وكانت من أمهات المدن الإسلامية في  
مقدونية وغلبيها البلغار سنة ١٩١٢:

يا أخت أندلس عليك سلامٌ      هوت الخلافة عنك والإسلامُ  
إلى أن قال يندد بسياسة الترك:  
رفعوا على السيفِ البناءَ فلم يدم      ما للبناءِ على السيوفِ دوام  
أبقى الممالكِ ما المعارفُ أسَّه      والعدلُ فيه حائطٌ ودعام  
إِنَّ الغرورَ إذا تملكَ أمةً      كالزهرِ يُخفى الموتَ وهو زوام

### لا حقَّ للضعيف

وقال سنة ١٩٢٣ أثناء انعقاد مؤتمر لوزان مشيراً إلى صلف الإنجليز مع مصر لأنها لم يكن لها  
من القوة ما تسترد به حقها:

أتعلم أنهم صلفوا وتاهوا      وصدّوا الباب عنا موصدينا؟  
ولو كنا نجرُّ هناك سيفاً      وجدنا عندهم عطفاً ولينا  
سيقضى (كرزن) بالأمر عنا      وحاجاتُ (الكنانة) ما قضينا

وقال في هذا المعنى:

يا طيرُ والأمثالُ تُض      ربّ لَلَّيبِ الأمثل  
دُنياك من عاداتها      ألا تَكُونِ لأعزل

### الحكم للشعوب لا للمستبدين

قال سنة ١٨٩٤ في أول قصيدة له في ديوانه ينبه الملوك إلى قوة الشعوب ويدعوهم إلى  
النزول على حكمها:

إن ملكت النفوس قابغ رضاها      فلها ثورة وفيها مضاء  
يسكن الوحش للوثوب من الأسر فكيف الخلائق العقلاء؟  
يحسب الظالمون أن سيسودو      ن وأن لن يؤيد الضعفاء  
والليالي جوائرٌ مثلها جا      روا ولدهر مثلهم أهواء

وقال سنة ١٩٢٢ يبشر بحكم الشعوب وزوال حكم الفرد:

زمان الفرد يا فرعون ولّى      ودالت دولة المتجبرينا  
وأصبحت الرعاية بكل أرض      عل حكم الرعية نازلينا

وقال سنة ١٩٢٣ يندد بالمستبدين:

المستبد يُطاق في ناووسه      لالتحت تاجيه وفوق وثابه<sup>(١)</sup>  
والفرد يؤمن شره في قبره      كالسيف نام الشر خلف قرابه<sup>(٢)</sup>

وقال في هذا المعنى يخاطب توت عنخ آمون سنة ١٩٢٥:

قسما بمن يحيى العظا      م ولاأزبدك من يمين  
لو كان من سفر أيا      بك أمس أو فتح مبین  
لرأيت جيلا غير جيلك      بالجبابر لايدین  
ورأيت محكومين قد      نصبوا وردوا الحاکمین<sup>(٣)</sup>  
روح الزمان ونظمه      وسبيله في الآخرين  
ان الزمان وأهله      فرغا من الفرد اللعين  
فإذا رأيت مشايخا      أوفتية لك ساجدين  
لاقي الزمان تجدهمو      عن ركبه متخلفين  
هم في الأواخر مولدا      وعقوهم في الأولين

### الشعب قد يُخدع

قال في مسرحية (مصرع كليوباترة) على لسان (حاي) يخاطب (ديون)<sup>(٤)</sup>:

(١) الناووس. القبر. والوثاب: السرير.

(٢) قراب السيف: غمده.

(٣) نصبوا وردوا: أى ولوا وعزلوا الحاکمین.

(٤) حاي وديون: من أشخاص الرواية وكلاهما من أمناء مكتبة قصر كليوباترة.

إِسْمَعِ الشَّعْبَ دِيُونُ      كَيْفَ يُوحُونَ إِلَيْهِ  
مَلَأَ الْجَوَّ هُتَافَا      بِحَيَاتِي قَاتَلِيهِ  
أَثَرُ الْبَهْتَانُ فِيهِ      وَأَنْطَلَى الزُّورُ عَلَيْهِ  
يَا لَهُ مِنْ بَبْغَاءَ      عَقْلُهُ فِي أَذْنِيهِ

### الحياة الدستورية السليمة

قال عن الدستور:

شَرُّ الحُكُومَةِ أَنْ يَسَاسَ بِوَاحِدٍ      فِي الْمَلِكِ أَقْوَامُ عِدَادِ رِمَالِهِ

وقال سنة ١٩٢٤ من قصيدة له عن (الأزهر):

وَتَفِيَّأُوا الدِّسْتُورَ تَحْتَ ظِلَالِهِ      كَنَفْنَا أَهْنًا مِنَ الرِّيَاضِ وَأَنْضَرَا  
لَا تَجْعَلُوهُ هَوًى وَخُلْفًا بَيْنَكُمْ      وَجَمْرًا دُنْيَا لِلنَّفُوسِ وَمَتَجَرَا  
اليَوْمَ صَرَّحْتَ الْأُمُورَ فَأَظْهَرْتَ      مَا كَانَ مِنْ خَدَعِ السِّيَاسَةِ مَضْمَرَا  
قَدْ كَانَ وَجْهُ الرَّأْيِ أَنْ نَبْقَى يَدًا      وَنَرَى وَرَاءَ جَنُودِهَا إِنْجَلْتَرَا  
فَإِذَا أَتَيْنَا بِالصَّفُوفِ كَثِيرَةً      جُنْنَا بِصَفٍّ وَاحِدٍ لَنْ يُكْسَرَا

وقال سنة ١٩٢٦ من قصيدة له في عيد الجهاد:

وبالدستور وهو لَنَا حَيَاةٌ      نَرَى فِيهِ السَّلَامَةَ وَالْفَلَاحَا  
أَخَذْنَاهُ عَلَى الْمُهْجِ الْقَوَالِي      وَلَمْ نَأْخُذْهُ نَيْلًا مُسْتَمَاحَا  
بَنَيْنَا فِيهِ مِنْ دَمْعٍ رُوقَا      وَمِنْ دَمٍ كُلِّ نَابِتَةٍ جَنَاحَا

وقال سنة ١٩٢٧ عن الحياة الدستورية السليمة:

إِذَا سَلِمَ الدِّسْتُورُ هَانَ الَّذِي مَضَى      وَهَانَ مِنَ الْأَحْدَاثِ مَا كَانَ آتِيَا  
الْأَكْلُ ذَنْبٌ لَيْلِي لِأَجَلِهِ      سَدَلْنَا عَلَيْهِ صَفْحَنَا وَالتَّنَاسِيَا

وقال سنة ١٩٢٦ حينما اجتمع المؤتمر الوطني يوم ١٩ فبراير من تلك السنة واثلتفت فيه الأحزاب يحیی الدستور لمناسبة عودته بعد توحيد الصفوف:

صَرَّحُ<sup>(١)</sup> عَلِ الْوَادِي الْمُبَارِكِ ضَاحِي      مَتَظَاهِرُ الْأَعْلَامِ وَالْأَوْضَاحِ

(١) يريد الدستور.

ساحاتٍ فضل في رِحابِ سَمَاح  
وكأن حائطَه عمود صَبَاح  
ومراشِدُ السلطانِ خَلَفَ جَنَاح  
ما لِلهياكلِ من فِدَى وَأَضاح  
تحت النبالِ وصَوَّها السَّحاح  
بمثل انهيارِ الشريكِ حول (صلاح) (١)  
متَحَطِّمُ الأصنامِ والأشباح

ضافي الجلالة كالعتيق مَفْصَلُ  
وكأن رَفَرَفَه رواق من ضَحَى  
الحقُّ خَلَفَ جناحِ استذرى (١) به  
هو هيكُلُ الحرية القاني، له  
يُبْنَى كما تُبْنَى الخنادقُ في الوغى  
يَنهارُ الاستبدادُ حولَ عِراضِه  
ويكبُّ طاغوتُ الأمور لِوَجْهِه

\* \* \*

هو ما بَنَى الشهداءُ بالأرواح  
وَرَدَّ الكواكبِ أحمرَ الإصباح  
والشَّيبِ بالأزْمَاقِ غيرُ سَحَاح  
لِلظَّافِرِ الشاكيِ بغيرِ سِلَاح  
إلاَّ انثَنَّتْ آمالُها بِنِجَاح  
جعلوا الماتَمَ حائطَ الأفراح

هو ما بَنَى الأَعْزَالُ بالرَّاحاتِ أو  
أَخَذْنَهُ (مصرُ) بكلِ يومٍ قاتِمٍ  
هَبَّتْ سِماحًا بالحياةِ سَبابُها  
وَمَشَتْ إلى الخَيْلِ الدَّوارِعِ وانْبَرَتْ  
وقفاتٌ حقٌّ لم تَقْفَها أمةٌ  
وإذا الشُّعوبُ بَنَوْا حقيقةً مُلْكِهِم

إلى أن قال في توحيد الصفوف :

هَزَّ الربيعُ مَنَاكِبَ الأدواح  
وتَسِيلُ غُرَّتُها بكلِّ بِطَاح  
وتصافت الأَقلامُ بعد تَلَاح  
ومَشَى على الضَّغْنِ الودادُ الماحي  
سَمَرٌ على الأوتادِ والأقْداح  
غيرَ التعانقِ واشتباكِ الراح

بُشْرِى إلى الوادى تَهْزُ نَبَاتُهُ  
تَسْرِى مُلْمَحَةً الحُجُولُ عل الرُّبَى  
التامت الأحزابُ بعد تَصَدُّعِ  
سُحِبَتْ على الأحقادِ أذيالُ الهوى  
وجرَتْ أحاديثُ العتابِ كأنها  
تَرْمَى بِطَرْفِكَ في المجامع لا ترى

إلى أن قال يصف تعطيل الدستور عام ١٩٢٥ :

احتَلَّ حصن الحق غيرُ جنوده  
وتَكَالَبَتْ أيدٍ على المفتاح

(١) استذرى: استظل.

(٢) صلاح: اسم لكمة.

وَأَسْتَوْحَشَتْ لِكُمَاتِهَا النَّزَّاحَ  
وَحَلَا مِنَ الْغَادِينَ وَالرَّوَّاحِ  
كَالْغَارِ مِنْ شَرْفٍ وَسَمَتْ صَلَاحَ

صَجَّتْ عَلْ أَبْطَالِهَا تُكْنَأْتُهُ  
هُجِرَتْ أَرَائِكُهُ وَعُطِّلَ عُودُهُ  
وَعَلَاهُ نَسْجُ الْعَنْكَبُوتِ فَزَادَهُ

وقال ينصح الشباب :

ذَرُّعُ الشَّبَابِ يَضِيقُ بِالنَّصَّاحِ  
فِي قِصْفِ أَنْوَاءٍ وَعِصْفِ رِيَّاحِ  
فِي الْحَادِثَاتِ وَسَيْلِهَا الْمُجْتَاحِ  
مِنْ أَمْرِ مُفْتَاتٍ وَنَهْيٍ وَقِيَّاحِ  
فَإِذَا تَفَرَّقَ كَانَ بَعْضُ نُبَّاحِ  
رَنْقًا مِنَ الْإِحْسَانِ غَيْرِ قَرَّاحِ  
طَهَّرْتُ عَلَيْهِ سَجِيَّةَ الْمَنَاحِ  
لَا فِي الْهِبَالِ وَلَا طَرِيقُ سَرَّاحِ  
وَكَسَا الْقِيَّودَ مُحَاسِنَ الْأَوْضَاحِ  
طَوَّلُ اجْتِهَادٍ وَاضْطِرَّادُ كِفَّاحِ  
إِنِ الْأُنَاءَ سَبِيلُ كُلِّ فَلَاحِ  
إِنِ الشَّرَّاعَ مُثَقَّفُ الْمَلَّاحِ

قُلْ لِلْبَنِينَ مَقَالُ صَدَقٍ وَاقْتَصِدْ  
أَنْتُمْ بَنُو الْيَوْمِ الْعَصِيبِ نَشَأْتُمْ  
وَرَأَيْتُمْ الْوِطْنَ الْمُؤَلَّفَ صَخْرَةً  
وَشَهِدْتُمْ صَدْعَ الصَّفُوفِ وَمَا جَنَى  
صَوْتُ الشُّعُوبِ مِنَ الزُّنْثِيرِ بِجَمْعًا  
أَظْمَتَكُمْو الْأَيَّامُ نَمِ سَقَتَكُمْو  
وَإِذَا مُنِحَتْ الْخَيْرُ مِنْ مُتَكَلِّفٍ  
تَرَكْتُكُمْو مِثْلَ الْمَهِيضِ جَنَاحُهُ  
مَنْ صَيَّرَ الْأَغْلَالَ زُهْرًا قَلَانِدٍ  
إِنِ التِّي تَبْغُونَ دُونَ مَنَالِهَا  
سَيَرُوا إِلَيْهَا بِالْأُنَاءِ طَوِيلَةً  
وَخَذُوا بِنَاءَ الْمُلْكِ عَنْ دُسْتُورِكُمْ

ومن قصيدة له سنة ١٩٢٦ حين اجتمع برلمان الائتلاف :

وَالْعِزُّ لِلدُّسْتُورِ وَالْإِكْبَارُ  
فِيهِ وَلَا يَطْفَى بِهِ جَبَّارُ  
صَالَهُ وَاخْضَلَّتْ الْأَسْحَارُ  
وَلِكُلِّ جِهْدٍ فِي الْحَيَاةِ ثَمَارُ  
وَبَنِينَ لَمْ يَجِدُوا السَّلَاحَ فَتَارُوا  
وَمِنَ الْمَشَانِقِ وَالسَّجُونِ جِدَارُ  
بِالْحَقِّ أَوْ بِالْوَاجِبِ الْأَحْرَارُ  
فَهُ وَلَا سُلْطَانُ مِصْرَ صَغَارُ  
فِيهِ وَلَا غَيْرُ الصَّلَاحِ شَعَارُ

الْحَقُّ أَبْلَجُ وَالْكُنَاسَةُ حُورَةٌ  
الْأَمْرُ شُورَى لَا يَعْيتُ مَسْلُطُ  
عَهْدُ مِنَ الشُّورَى الظَّلِيلَةِ نَضْرَتْ  
تَجْنِي الْبِلَادَ بِهَا ثَمَارَ جُهْدِهَا  
بَنِيَانِ آبَاءِ مَشُورَا بِسَلَاحِهِمْ  
فِيهِ مِنَ التَّلِّ الْمَدْرَجِ حَائِطُ  
أَبَتْ التَّقِيدَ بِالْهَوَى وَتَقِيدَتْ  
فِي مَجْلِسِ لَا مَالُ مِصْرَ غَنِيمَةُ  
مَا لِلرِّجَالِ سِوَى الْمُرَاشِدِ مَنِجُ

يتعاونون كأهل دارٍ زلزلت      حتى تقرر وتطمئن الدار  
يجرون بالرفق الأمور وفلكها      والريح دون الفلك والإعصارُ  
ومع المجدد بالآناة سلامةٌ      ومع المجدد بالجماح عِتارُ

### يدعو إلى انتخاب الأكفاء الشرفاء

ومن قصيدة له سنة ١٩٢٢ قال في مطلعها:  
أعدت الراحة الكبرى لمن تعباً      وفاز بالحق من لم يألُ طلباً  
إلى أن قال مشيراً إلى الانتخابات البرلمانية:  
دار النيابة قد صُفّت أرائكها      لا تجلسوا فوقها الأحجار والخشب  
اليوم يا قوم إذ تبنون مجلسكم      تبنون للعقب الأيام والحقب  
ومن قصيدته سنة ١٩٢٤ عن (الأزهر):

دار النيابة هيئت درجاتها      فليرقى في الدرج الذوائب والذرا  
الصارخون إذا أسىء إلى الحمى      والذائدون إذا أغير على الرى  
لا الجاهلون العاجزون ولا الألى      يمشون في ذهب القيود تبخترا

### رؤاد الوطنية

قال سنة ١٩٢٥ من قصيدة له في رثاء المرحوم عبد اللطيف الصوفاني:  
ألست من فئة سهام      سنوا المحاماة والرّماء  
فتأهم بالشباب ضحى      ما أعظم الذبيح والفداء  
ومات أبطاهم جيعاً      في غير أوطانهم ظماء  
ولو أرادوا متاع دنيا      لأدركوا الحكم والثراء  
قضية الحق منذ قامت      لم تأل أركانها بناء  
تحذو على مصطفى وتبنى      بجيلا من الحق أقوياء  
شرعتمو للشباب ديناً      كدينهم بينا سواء  
لما أتيتم به جعلتم      رأس تعاليمه (الجللاء)  
جمعتم مصر ثم سرتم      فكنتم الجمع واللواء  
وما عرفتم لغير مصر      وغير أحبابها ولاء



لم تمسحوا للعميد رأساً ولا نفضتم له حذاء

وقال من قصيدة يرثي فيها المرحوم أمين الرافعي:

قيل غالٍ في الرأي قلت هُبُوه قد يكون الغلو رأياً أصيلاً  
وقديماً بنى الغلو نفوساً وقديماً بنى الغلو عقولاً  
قد فقدنا به بَقِيَّةَ رَهْطٍ أيقظوا النيل واديا ونزيلاً  
حركوه وكان بالأمس كالكهف حُزونا وكالرقيم سُهولاً  
يا أمين الحقوق أدت حتى لم تُخنْ مصرٌ في الحقوق فتلاً  
ولو اسطعتْ زدتْ مصر من الحق على نيلها المبارك نيلاً  
لستُ أنساك قابعا بين درجيك مكباً عليهما مسغولاً  
قد تواريت في الخشوع فخالو ك ضئلاً وما خلقت ضئلاً  
سائل (الشعب) عنك (العلم) الخفاق أو سائل (اللواء) الظليلاً  
تُنشِدُ الناس في (القضية) لحناً كالحواري رتل الإنجيل  
ماضياً في الجهاد لم تتأخر تَزِنُ الصف أو تقيم الرعيلاً  
ما تبالي مضيت وحدك تحمي حَوْدَةَ الحق أم مضيت قبلاً

### يدعو إلى النهضة الاقتصادية

قال سنة ١٩٢٠ من قصيدة له في الاحتفال بإنشاء بنك مصر يدعو إلى الاكتتاب في رأس مال البنك وينوه بفضل المال في نهضة الأمم:

قل بالممالك وانظر دولة المال واذكر رجالاً أدالوها بإجمال  
إلى أن قال:

يا طالباً لمعالى الملك مجتهداً	خذا من العلم أو خذا من المال
<u>بالعلم والمال يبنى الناس ملكهم</u>	<u>لم يُبْنِ ملكٌ على جهل وإقلال</u>
سراة مصر عهدناكم إذا بُسِطت	يد الدعاء سراعاً غير بُخال
تبين الصدق من بين الأمور لكم	فامضوا إلى الماء لا تلوا على الآل
لا يذهب الدهر بين الترهات بكم	وبين زهر من الأحلام قتال
هاتوا الرجال وهاتوا المال واحتشدوا	رأياً لرأى ومثقالاً بمثقال
هذا هو الحجر الدرّ بينكمو	فابنوا بناء قريش بيتها العال

آمال مصر إليها عالما طمحت هل تبخلون على مصر بآمال  
فابنوا على بركات الله واغتنموا ما هيا الله من حظ وإقبال  
وقال في قصيدة أخرى:  
الملك بالمال والرجال لم يُبْنِ ملك بغير مال

### يحیی النهضة النسوية

كان مؤيداً ونصيراً لنهضة المرأة، ألقى هذه القصيدة سنة ١٩٢٤ في جمع حافل من السيدات  
المصريات بمسرح حديقة الازبكية، وجعل عنوانها في ديوانه (مصر تجدد مجدها بنسائها  
المتجددات) قال:

قُمْ حَيِّ هَذِي النَّيرَاتِ	حَيِّ الْحَسَانَ الْخَيْرَاتِ
وَاخْفِضِ جَبِينِكَ هَيْبَةً	لِلْخُرْدِ الْمُتَخَفِّراتِ <sup>(١)</sup>
زَيْنَ الْمَقَاصِرِ وَالْحَجَا	لِـ وَزَيْنَ مَحَارِبِ الصَّلَاةِ
هَذَا مَقَامُ الْأُمِّهَا	تِ فَهَلْ قَدَرْتَ الْأُمِّهَا؟
لَا تُلْغُ <sup>(٢)</sup> فِيهِ وَلَا تَقُلْ	غَيْرَ الْفَوَاصِلِ مُحْكَمَاتِ
وَإِذَا خَطَبْتَ فَلَا تَكُنْ	خُطْبًا عَلَى مِصْرِ الْفَتَاةِ
أَذْكَرُهَا الْيَابَانَ لَا	أُمِّ الْهَوَى الْمُتَهْتِكَاتِ
مَاذَا لَقِيتَ مِنَ الْحُضَا	رَةِ يَا أَخِي التَّرْهَاتِ
لَمْ تُلْقِ غَيْرَ الرِّقِ مِنْ	عُسْرِ عَلَى الشَّرْقَى عَاضَتِ

\*\*\*

خُذْ بِالْكِتَابِ وَبِالْحَدِيدِ	ث سِيرَةَ السَّلَفِ الثَّقَاةِ
وَارْجِعْ إِلَى سُنَنِ الْخَلِيفِ	قَةِ وَاتَّبِعْ نُظْمَ الْحَيَاةِ
هَذَا رَسُولُ اللَّهِ لَمْ	يُنْقِصْ حُقُوقَ الْمُؤْمِنَاتِ
الْعِلْمِ كَانَ شَرِيعَةً	لِنِسَائِهِ الْمُتَفَقِّهَاتِ
رُضْنُ التِّجَارَةِ وَالسِّيَا	سَةِ وَالشُّؤُونَ الْأَخْرِيَاتِ
وَلَقَدْ عَلِمْتَ بَنَاتِهِ	لُجُجُ الْعُلُومِ الزَّاخِرَاتِ
كَانَتْ سَكِينَةً <sup>(٣)</sup> تَقْلَأُ الـ	دُنْيَا وَتَهْزَأُ بِالرَّوَاةِ

(١) الخرد: العذاري. والمتخففات: المستحيات. والخفر هو الحياء. (٢) سكينه: بنت الحسين رضى الله عنها.

(٢) لا تلغ: لا تقل باطلا.

روت الحديث وفسرت  
 وحضارة الإسلام تد  
 بغداد دار العالم  
 ودمشق تحت أمية  
 ورياض أندلس نية  
 أدع الرجال لينظروا  
 والنفع كيف أخذن في  
 لما رأيين ندى الرجا  
 ورأيين عندهم الصنا  
 والبر عند الأغنيا  
 أقبلن يبنين الما  
 للصالحات عقائل ال  
 الله أنبتهن في  
 فأتين أطيب ما أقي  
 لم يكف أن أحسن ح  
 يشين في سوق الثوا  
 يلبسن ذل السائل  
 فوجوههن وماؤها  
 مصر تجدد مجدها  
 النافرات من الجمو  
 هل بينهن جوامدا  
 لما حزن لنا القضا  
 غديتها في مهديها  
 وسبقن فيها المعلم  
 يفتن في الفتيان من  
 يهوين تقبيل المهنة  
 ويرين حتى في الكرى

آى الكتاب البينات  
 طق عن مكان المسلمات  
 ت ومنزل المتأدبات  
 أم الجوارى<sup>(١)</sup> النابغات  
 من الهافتات الشاعرات  
 كيف اتحاد الغانيات  
 أسبابه متعاونات  
 ل تفاعرا أو حب ذات  
 يع والفنون مضيعات  
 من الشؤون المهملات  
 ير للنجاح موفقات  
 وادى هوى فى الصالحات  
 طاعاته خير النيات  
 زهر المناقب والصفات  
 حتى زدن حص المحسنات  
 ب مساومات رابحات  
 ت وما ذكرن البائسات  
 ستر على المتجملات  
 بنسائها المتجددات  
 د كأنه شبح المات  
 فرق وبين الموميات  
 ية كن خير الحاضنات  
 يلبسين الطاهرات  
 ن إلى الكريمة معلّات<sup>(٢)</sup>  
 روح الشجاعة والثبات  
 د أو معانقة القناة  
 قبل الرجال محرمات

(١) الفتيات.

(٢) المعلمون : بفتح اللام : الفرسان لهم علامة فى الحرب لبطولتهم.

## يحیی الصحافة

قال سنة ١٩٢٠ من قصيدة له في احتفال أقامته نقابة الصحفيين:  
 لكل زمان مضي آيةً وآية هذا الزمان الصُّحُفُ  
 لسان البلاد ونبض العباد وكهف الحقوق وحرب الجَنَفُ<sup>(١)</sup>  
 تسير مسير الضحى في البلاد إذا العلم مَزَّقَ فيها السُّدُفُ  
 وتمشى تعلمٌ في أمةٍ كثيرةٍ من لا يخطُّ الألف

\* \* \*

فيا فتية الصحف صبراً إذا نبا الرزقُ فيها بكم واختلف  
 فإن السعادة غير الظهور وغير الثراء وغير التَّرفِ  
 ولكنها في نواحي الضمير إذا هو باللؤم لم يكتنف  
 وروموا النبوغَ فمن ناله تلقى من الحظ أسنى التحف  
 حمدنا بلاءكم في النضال وأمس حمدنا بلاء السلف  
 ومن نسي الفضل للسابقين فما عرف الفضل فيما عرف  
 أليس إليهم صلاحُ البناء إذا ما الأساس سَمَا بالُغُرفِ

## يندد بمن يخذل الوطنية

في سنة ١٩٠٤ خطب مصطفى رياض باشا في حفلة تأسيس مدرسة محمد علي الصناعية بالإسكندرية خطبة امتدح فيها اللورد كرومر كما امتدح الاحتلال البريطاني.  
 وقد أثارت هذه الخطبة سخط الرأي العام واستنكرها المواطنون، وكان شوقي صوت الشعر الناطق باستنكار الخطبة وصاحبها، قال:

كبير السابقين من الكرام برغمي أن أنالك بالملام  
 مقامك فوق مازعموا ولكن رأيت الحق فوقك والمقام

إلى أن قال:

غمرت القوم <sup>(١)</sup> إطرأ وحداً	وهم غمروك بالنعم الجسام
رأوا بالأمس أنفك في الثريا	فكيف اليوم أصبح في الرغام
<u>خطبت فكنت خطباً لاخطيباً</u>	<u>أضيف إلى مصائبنا العظام</u>
<u>لهجت بالاحتلال وما أتاه</u>	<u>وجرحك منه لو أحسست دام</u>
وهل تركت لك السبعون عقلاً	لعرافان الحلال من الحرام؟

### يندد بقاضى دنشواى

كان أحمد فتحي زغلول أحد قضاة محكمة دنشواى الذين أصدرنا ذلك الحكم الجائر في تلك المسألة سنة ١٩٠٦، وقد رقى بعد ذلك وكيلاً لوزارة الحقانية (العدل) وأقيمت له حفلة تكريم في فندق شبرد دعى إليها شوقي فرفض الدعوة وأرسل في ظرف مغلق هذه الأبيات التي عبر فيها أبلغ تعبير عن تنديده بالمحتفل به وبالمحتفلين:

إذا ما جمعتهم أمركم وهمتمو	بتقديم شيء للوكيل ثمين
خذوا حبل مشنوق بغير جريرة	وسروال مجلود وقيد سجين
ولا تعرضوا شعري عليه فحسبه	من الشعر حكم خطه بيمين
ولا تقرأوه في «شبرد» بل اقرأوا	على ملأ في دنشواى حزين

### الحنين إلى الوطن

زاد حب شوقي للوطن وتعلقه به في منفاه بالأندلس، وقد كان نفيه بأمر السلطة العسكرية البريطانية خلال الحرب العالمية الأولى سنة ١٩١٥، وبقي في منفاه بعيداً عن الوطن نحو خمسة أعوام إلا قليلاً، فازداد شعوراً بلوعة الحزن على فراقه، واستثار النفي الوطنية الكامنة في نفسه، وأججت الغربة نارها، فانطلق يشدو بالحنين إلى الوطن.

حسبك منه سينيته الأندلسية، تلك القصيدة الخالدة التي نظمها سنة ١٩١٩ يعارض فيها سينية البحرى، قال في مطلعها:

اختلافُ النهار والليل يُنسى	أذكرا لى الصبا وأيام أنسى
-----------------------------	---------------------------

(١) يريد المحتلين.

وَسَلَا (مصرَ) هل سلا القلب عنها  
كلما مرّت الليالى عليه  
إلى أن قال:

يا ابنة اليم<sup>(١)</sup> ما أبوك بخيلٌ  
أحرامٌ على بلبله الدؤ  
كلُّ دار أحقُّ بالأهل إلّا  
نفسى مِرْجَلٌ وقلبي شِراعٌ  
واجعلى وجهك (الفنار) وبجرا  
وطنى لو شُغِلْتُ بالخلد عنه  
شهد الله لم يغب عن جفونى

ماله مولعاً بمنعٍ وحبس  
حُ حلالٌ للطير من كل جنس؟  
في خبيثٍ من المذاهب رجس<sup>(٢)</sup>  
بها في الدموع سبرى وأرسى  
ك يد (الثغر) بين (رمل) و (مكس)  
نازعتنى إليه في الخلد نفسى  
شخصه ساعة ولم يخلُ جسسى

والقصيدة من أروع ما نظم شوقى  
وله في هذا المعنى قصيدة أخرى رائعة نظمها في منفاه يعارض فيها نونية ابن زيدون.  
قال:

ياناتج (الطلح) أتباه عوادينا  
ماذا تقص علينا غير أن يدا  
رمى بنا البين<sup>(٣)</sup> أيكاً غير سامرنا  
ثم انتقل من خطاب الطائر الحزين إلى  
آها لنا نازحى إليك بأندلس  
رسم وقفنا على رسم الوفاء له  
إلى أن قال في الحنين إلى مصر:  
لكن (مصر) وإن أغضت على مقة<sup>(٤)</sup>  
عين من الخلد بالكافور تسقينا

نشجى لواديك أم نأسى لوادينا<sup>(٥)</sup>؟  
قصت جناحك جالت في حواشينا  
أخا الغريب؛ وظلاً غير نادينا  
بكاء الأندلس قال:  
وإن حللنا رقيقاً من رواينا<sup>(٥)</sup>  
نجيش بالدمع والإجلال يثنينا

(١) يقصد السفينة.

(٢) يقصد مذهب الاستعمار الذى يضطهد الوطنيين وينفهم وينعمهم من التعبير عن آرائهم والإعراب عن آمالهم.

(٣) الطلح وأدبا الأندلس، بضاحية أشبيلية، يخاطب حمام هذا الوادى ويمثله شبيهاً به في لوعته وغربته، وعوادينا أى عوادى الدهر ومصائبه.

(٤) البين: البعد، والأيك: الشجر الكثير الملتف.

(٥) الرقيق: الخصب.

(٦) المقة: المحبة.

وحول حافاتِها قامت رواقينا<sup>(١)</sup>  
وأرْبُعُ أنِستَ فيها أمانينا  
ومَغْرِبُ لحدودِ من أوالينا  
من بِرِّ مصرَ وريحانِ يُغادينَا  
وباسمه ذهبَ في اليمِّ تُلْقِينَا<sup>(٢)</sup>  
لحاضرين وأكوابُ لبادينَا  
بعد الهدوءِ وهيمى عن مآقينا  
هاج البكا فحَضَبْنَا الأرضَ باكينَا

على جوانبِها رَفَّتْ تَمانينا  
ملاعِبُ مَرَحَتْ فيها مآربنا  
ومطلع لِسَعُودِ من أواخرنا  
بِنَا<sup>(٢)</sup> فلم نَخُلْ من رُوحِ يَراوِحنَا  
كأَمْ موسى على اسمِ الله تكفلنا  
ومصر كالكَرَمِ ذى الاحسانِ فاكهَةٌ  
يا سارى البرقِ يرمى عن جوانحنَا  
لما تَرَقَّرَقَ فى دمعِ السماءِ دَمًا

إلى أن قال يخاطب مواطنيه:

دُنْيا وودَّهو الصافي هو الدُّنيا  
ومن مَصُونِ هواهم فى تَنَاجينا  
فى النَّائباتِ فلم يأخذُ بأيدِينَا

إلى الذين وجدنا ودَّ غيرهم  
يا من تَغَارَ عليهم من ضمائرنا  
ناب الحَيْنِ إلَيْكم فى خواطرنا

إلى أن قال يشيد فى منفاه بعظمة مصر:

فى ملكها الضخم عرشًا مثل وادينَا  
عليه آباءُها الغُرُّ الميامينا؟  
قبل (القيصرِ) دِنَاها (فراعينا)  
فى الأرضِ إلَّا على آثارِ بايننا  
به يدُ الدهرِ لا بِنِيانُ فائِننا

لم تنزل الشمسُ ميزانًا ولا صعدت  
ألم تُؤْلَئِه على حافاتِه ورأتُ  
وهذه الأرضُ من سَهْلٍ ومن جَبَلٍ  
ولم يَضَعْ حَجَرًا بانٍ على حجرٍ  
كَأَنَّ (أهرامَ) مصرٍ حائِطٌ نَهَضَتْ

إلى أن قال فى تحية مصر وتشوقه إليها من منفاه:

مَرُّ الصِّبا فى ذِيولٍ من تصاينَا  
غُرًّا مُسْلَسَلَةً المَجْرَى قوافينا  
وثابَ من سِنَةِ الأحلامِ لاهِينَا

أرضُ الأبوةِ والميلادِ طيبَها  
كانت مَحْجَلَةً فيها مَواقِفُنَا  
فآبَ من كُرَّةِ الأيامِ لاهِينَا

(١) الرواقى: جمع راقية وهى ما يرقى به الصبى درما للسحر.

(٢) بنا: أى بعدنا.

(٣) شبه مصر حين اضطرت إلى نفيه بأَم موسى عليه السلام حين القته فى اليم صبيا وسألت الله أن يكفله.

ولم نَدْعُ لليالِ صافيا فَدَعَتْ  
لو استطعنا لَحْضًا الجوّ صاعقةً  
بأن نَغْصُ فقال الدهر آمينا  
والبرّ نَارَ وَغَى والبحر غَسْلينا<sup>(١)</sup>  
سَعِيًّا إلى مصر نقضى حقّ ذاكرنا  
فيها إذا نسى الوافى وباكرنا

وقال يذكر والدته بحلوان وقد توفيت قبيل عودته:

كَنَزُ (بحلوان) عند الله نطلبه  
لو غاب كل عزيز عنه غيبتنا  
خيرَ الودائع من خير المؤدينا  
لم يأتَه الشوق إلّا من نواحينا  
إذا حَمَلْنَا لمصرٍ أوله شجنا  
لم ندر أى هوى الآمين شاجينا

وقال أيضًا سنة ١٩١٧ في منفاه يهتف بمصر وساكنيها:

يا ساكني مِصرَ إنّنا لا نزال على  
هَلّا بعثتم لنا من ماء نيلكم  
عهد الوفاء وإن غبنا مقيمينا  
سِنًا نبل به أحشاء صاڤينا<sup>(٢)</sup>  
كل المناهل بعد النيل آسنه  
منا بعد النيل إلّا عن أمانينا

وقد بعث شوقي بهذه الأبيات إلى صديقه وصنوه حافظ إبراهيم فأجابه حافظ بالأبيات الآتية.

عجبت للنيل يدري أن بلبله  
تالله ما طاب للأصحاب مورده  
صاڤٍ ويسقى رُبّا مصر ويسقينا  
ولا ارتضوا بعدكم من عيشهم لينا  
لم تنأ عنه وإن فارقت شاطئه  
وقد نأينا وإن كنا مقيمينا

### يشيد بعظمة مصر

لقد ملك حب مصر مشاعره فكان يتغنى بعظمتها ويشيد بمفاخرها، وتفويض قصائده بهذا المعنى السامى.

قال في تحية مصر والنيل والهرم من قصيدة نظمها سنة ١٩١٤ يحبى بها الطائرین العنمايين سالم وكمال حين قدومهما إلى مصر على متن طائرتهما عن طريق العريش وسيناء:

يا راكب الريح حى النيل والهرما وعظّم السفح من سيناء والحرما

(١) الفسليين: الصديد.

(٢) الصادى: الظمان.



فَكَانَ أَثْبَتَ مِنْ أَطْوَاهِ قِمَا  
مُوسَى رَضِيْعًا وَعِيسَى الطَّهْرِ مُنْفِطَا  
وَبَيَّنْتُ لِلْعَبَادِ السَّيْفَ وَالْقَلَامَا  
بِهِ وَيَمِشِي عَلَيْهِ الدَّهْرُ مُحْتَشِمَا

وَقِفْ عَلَى أَثَرِ مَرِّ الزَّمَانِ بِهِ  
وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ فِي الْأَرْضِ الَّتِي حَمَلَتْ  
وَأَخْرَجَتْ حِكْمَةَ الْأَجْيَالِ خَالِدَةً  
هَذَا فِضَاءٌ تُلَمُّ الرِّيحُ خَاشِعَةً

وقال من قصيدة له في أبي الهول:

وَبُلِّغْتَ فِي الْأَرْضِ أَقْصَى الْعُمُرِ  
سَبَّ وَلَا أَنْتَ جَاوَزْتَ حَدَّ الصَّغَرِ  
لَرِ لِيَطِيَّ الْأَصِيلَ وَجَوَّبَ السَّحَرِ  
نَ فَأَيَّانَ تُلْقَى غُبَارَ السَّفَرِ؟  
لَرِ تَزُولَانِ فِي الْمَوْعِدِ الْمُنْتَظَرِ<sup>(١)</sup>؟  
نَ نَجِيَّ الْأَوَانِ سَمِيرَ الْعُصْرِ  
نَ رَفِيعَ الْبِنَاءِ جَلِيلَ الْأَنْزَرِ

أَبَا الْهَوْلِ طَالَ عَلَيْكَ الْعُصْرُ  
فِيَالِدَةَ الدَّهْرِ<sup>(١)</sup> لَا الدَّهْرُ شَرُّ  
إِلَّامَ رَكُوبِكَ مَتْنِ الرَّمَا  
تُسَافِرُ مُنْتَظِلًا فِي الْقُرُو  
أَبَيْنِكَ عَهْدٌ وَبَيْنَ الْجَبَا  
أَبَا الْهَوْلِ أَنْتَ نَدِيمُ الزَّمَا  
ظَلِيلَ الْحِضَارَةِ فِي الْأَوَّلِي

وختمها بقوله:

نَ تَحْرُكُ مَا فِيهِ حَتَّى الْحَجَرِ

تَحْرُكُ أَبَا الْهَوْلِ هَذَا الزَّمَا

وقال عن الأهرام من قصيدة له سنة ١٩٢٢:

هَلْ مِنْ بُنَاتِكَ مَجْلِسَ أَوْنَادٍ  
إِنْ الْأَبُوءَ مَفْزَعُ الْأَوْلَادِ  
مَنْ كُلُّ مُلْقٍ لِلْهَوَى بِقِيَادِ  
وَقْتُ الْبَلَاءِ تَفَرَّقَ الْأُضْدَادِ<sup>(٢)</sup>  
بَاغٍ عَلَى النَّفْسِ الضَّعِيفَةِ عَادِ

قِفْ نَاجِرَ أَهْرَامَ الْجَلَالِ وَنَادِ  
نَشْكُو وَنَفْزَعُ فِيهِ بَيْنَ عَيُونِهِمْ  
وَنَبْثُهُمْ عِبَتْ الْهَوَى بِتَرَاتِهِمْ  
وَنَبِينَ كَيْفَ تَفَرَّقَ الْأَخْوَانُ فِي  
إِنْ الْمَغَالِطُ فِي الْحَقِيقَةِ نَفْسَةٍ

\*\*\*

(١) أي يأخا الدهر وقرينه فكانه الدهر توأمان.

(٢) يوم القيامة.

(٣) يشير إلى الانقسام الذي حدث سنة ١٩٢١ بين سعد وعدلى وأنصارهما وتصدعت بسببه الوحدة الوطنية.

قل للأعاحيب الثلاث<sup>(١)</sup> مقالة  
 لله أنت فما رأيتُ على الصفا  
 لك كالمعابد روعةً قدسية  
 أسست من أحلامهم بقواعد  
 قم قبل الأحجار والأيدى التى  
 وخذ النبوغ من الكنانة إنها  
 من هاتف بمكانهن وشاد  
 هذا الجلال ولا على الأوتاد  
 وعليك روحانية العباد  
 ورفعت من أخلاقهم بعماد  
 أخذت لها عهدًا من الآباد  
 مهد الشموس ومسقط الآراد<sup>(٢)</sup>

وقال يشيد بعظمة الأهرام من قصيدته (على قبر نابليون):

قم إلى الأهرام واخشع واطرح  
 وقهل إنما تمشى إلى  
 هو كالصخرة عند القبط أو  
 وتسنى منبرًا من حجر  
 وادع أجيالا تولت يسمعوا  
 وأعدها كلمات أربعًا<sup>(٤)</sup>  
 قد عرضت الدهر والجيش معًا  
 عظةً قومية بها أولى وإن  
 خيلة الصيد<sup>(٣)</sup> وزهو الفاتحين  
 حرم الدهر ومحراب القرون  
 كالحطيم الطهر عند المسلمين  
 لم يكن قبلك حظ الخاطبين  
 لك وابتعث فى الأوالى حاشرين  
 قد أحاطت بالقرون الأربعين  
 غاية قصر عنها الفاتحون  
 بعد العهد فهل يعتبرون؟

### قصر أنس الوجود

وقال سنة ١٩١٠ عن قصر (أنس الوجود) بأسوان وكيف يغمره النيل وقت الفيضان، من قصيدة يخاطب فيها الكولونل تيودور روزفلت رئيس الولايات المتحدة الأسبق، وكان قد ألقى خطبة ينتقص فيها من قدر المصريين فرد عليه شوقى بهذه القصيدة:

أيها المنتجى (بأسوان) دارًا  
 أخلع النعل وأخفي الطرف واخشع  
 كالثريا تريد أن تنقضًا  
 لا نحاول من آية الدهر غصًا

(١) يريد الأهرام الثلاثة.

(٢) الآراد جمع راد. يريد راد الضحى؛ وقت ارتفاع الشمس.

(٣) الملوك.

(٤) يشير إلى الكلمة التى قالها نابليون لجنوده قبيل معركة الأهرام سنة ١٧٩٨ يستحثهم على القتال: «إن أربعين قرنا تنظر إليكم من فوق قسم هذه الأهرام»

قَفْ بَتْلَكَ (القصورِ) فِي الْيَمِّ غَرَقَى  
كِعْذَارَى أَخْفَيْنَ فِي الْمَاءِ بَضًّا  
مَشْرِفَاتٍ عَلَى الزَّوَالِ وَكَانَتْ  
شَابَ مِنْ حَوْلَهَا الرِّمَانُ وَشَابَتْ  
صَنْعَةً تَدْهِيهِشَ الْعُقُولَ وَفَنُّ  
يَا قِصُورًا نَظَرُهَا وَهِيَ تَقْضِي<sup>(١)</sup>  
أَنْتِ سَطْرٌ وَبِجْدٍ مِصْرَ كِتَابٍ  
وَأَنَا الْمُحْتَفَى بِتَارِيخِ مِصْرَ

مُسْكًا بَعْضَهَا مِنَ الذُّعْرِ بَعْضًا  
سَابِحَاتٍ بِهِ وَأَبْدَيْنَ بَضًّا  
مَشْرِفَاتٍ عَلَى الْكَوَاكِبِ نَهْضًا  
وَشَبَابِ الْفَنُونِ مَا زَالَ غَضًّا  
كَانَ إِتْقَانُهُ عَلَى الْقَوْمِ فَرَضًا  
فَسَكَبَتِ الدَّمُوعَ وَالْحَقُّ يُقْضَى  
كَيْفَ سَامَ الْبَلَى كِتَابَكَ قَضًا  
مَنْ يَصْنُ بِجَدِّ قَوْمِهِ صَانَ عِرْضًا

وقال في يناير سنة ١٩٢٣ بعد اكتشاف كنوز توت عنخ آمون يذكر عظمة مصر الخالدة:

قفى يا أخت (يوشع)<sup>(٢)</sup> خبرينا  
فمثلك من روى الأخبار طرا  
إلى أن قال يشيد بحضارة قدماء المصريين وكيف بلغوا الشأو العظيم من المجد:  
مشت بمنارهم في الأرض (روما)  
ملوك الدهر بالوادي أقاموا  
تعالى الله كان السحر فيهم  
غدوا يبنون ما يبقى وراحوا  
إذا عمدوا لمأثرة أعدوا  
وليس الخلد مرتبة تلقى  
ولكن منتهى هم كبار  
وسر العبقريّة حين يسرى  
وأثار الرجال إذا تناهت  
وأخذك من فم الدنيا ثناء

أحاديث القرون الغابرينا  
ومن نسب القبائل أجمعينا  
ومن أنوارهم قبست (أثينا)  
على (وادي الملوك) محجّبيننا  
أليسوا للحجارة منطقينا؟  
وراء الآبدات نُحَلِّدِينَا  
لها الإتقان والخلق المتينا  
وتؤخذ من شفاه الجاهليتنا  
إذا ذهب مصادرها بقينا  
فينتظم الصنائع والفنوننا  
إلى التاريخ خير الحاكمينا  
وتركك في مسامعها طنيننا

وقال مخاطبًا توت عنخ آمون:

سلامٌ يوم وارتك المنايا  
بواديهما ويومَ ظهرت فينا

(٢) الخطاب للشمس.

(١) تقضى: أى تنفى.

خرجت من القبور خروج عيسى عليك جلالة في العالمينا

ومن قصيدة أخرى له عن توت عنخ آمون وقد تخيله قد بعث بعد أربعين قرنا ورأى  
الاحتلال جاثما عل صدر البلاد فحزن لما رآه وآثر العودة إلى قبره؛ والقصيدة من أروع  
ما جادت به قريحة شوقي في الإشادة بأجداد مصر وفي المعاني الوطنية، قال في مطلعها مخاطبا  
توت عنخ آمون:

قَمْ سَابِقَ (الساعة) وَاسْبِقْ وَعَدَّهَا	الأَرْضُ ضَاقَتْ عَنْكَ فَاصْدَعْ غِمْدَهَا
وَامْلَأْ رِمَاحًا غَوْرَهَا وَنَجِّدَهَا	وَافْتَحْ أَصُولَ النِّيلِ وَاسْتَرِدَّهَا
شَلَالُهَا وَعَذْبُهَا وَعِدَّهَا <sup>(١)</sup>	وَاصْرِفْ إِلَيْنَا جَزْرَهَا وَمَدَهَا

إلى أن قال:

سَافَرَ أَرْبَعِينَ قَرْنًا عَدَّهَا	حَتَّى أَقَى الدَّارَ فَالْفَى عِنْدَهَا
أَنْجَلْتَهَا وَجَيْشَهَا وَلَوْرَدَهَا	مَسْئُولَةَ الْهِنْدِيِّ تَحْمِي (هِنْدَهَا) <sup>(٢)</sup>
قَامَتْ عَلَى (السُّودَانِ) تَبْنَى سَدَّهَا	وَرَكَّزَتْ دُونَ (الْقَنَاةِ) بُنْدَهَا <sup>(٣)</sup>

\*\*\*

فَقَالَ وَالْحَسْرَةَ مَا أَشَدَّهَا	لَيْتَ جِدَارَ الْقَبْرِ مَا تَدَّهَدَّهَا <sup>(٤)</sup>
وَلَيْتَ عَيْنِي لَمْ تَفَارِقَ رَقْدَهَا	قُمْ نَبِيَّيَا (بَنْتُورِ) <sup>(٥)</sup> مَا دَهَا

\*\*\*

مِصْرُ الْفِتَاةِ بَلَغَتْ أَشَدَّهَا	وَأُثِبَتِ الدَّمُ الزَكِيُّ رُشْدَهَا
وَلَعِبَتْ عَلَى الْحَبَالِ وَجَدَّهَا	وَجَرَّبَتْ إِرْخَاءَهَا وَشَدَّهَا

\*\*\*

يَارِبِّ قَوِّ يَدَهَا وَشَدَّهَا	وَافْتَحْ لَهَا السُّبُلَ وَلَا تَسَدَّهَا
وَقِسْ لِكُلِّ خُطْوَةٍ مَا بَعْدَهَا	وَعَنْ صَغِيرَاتِ الْأُمُورِ حُدَّهَا

(٤) تدهده: انقط.

(٥) بنتور: شاعر مصري قديم.

(١) العد: الماء الجاري

(٢) الهندي: السيف، وهندا: أى الهند.

(٣) البند: العلم.

واصرف إلى جد الشئون جدّها  
واكيح هوى الأنفس واكسر حقدّها  
ولا تضع على الضحايا جهدها  
واجع على الأمّ الرؤوم ولدها

### وادی الملوك

وقال سنة ١٩٢٥ في هذا المعنى يذكر توت عنخ آمون وحضارة عصره بعد أن اكتشفت كنوزه في (وادی الملوك):

وأنت على الدن <sup>(١)</sup> السنون	درجت على (الكنز) القرون
وابن الزواهر من (أمون <sup>(٢)</sup> )	يا ابن الثواقب من (رع)
بذ القبائل والبطون	نسب عريق في الضحى
غمّر القضاء المفرقون	أرأيت كيف يثوب من
ن على رعى الزمن الطحون	وتدول آثار القرو
خُلُقًا به تتفردون	حب الخلود بنى لكم
ن به ولا المتأخرون	لم يأخذ المتقدمو
ان فيما تعملون	حتى تسابقتم إلى الإحسد
ل ولا الحقير من الشئون	لم تتركوه في الجليد
يوم الأخير متى يكون؟	هذا القيام فقل لنا الـ
فان وأنتم خالدون	البعث غاية زائل
أترى القيامة تسبقون؟	السبق من عاداتكم
رة والبناء المحسنون	أنتم أساطين الحضـ
يُجَزَى الخلود المتقون	المتقنون وإنما

### يتغنى بالنيل

نظم هذه القصيدة الرائعة يتغنى فيها بالنيل، فصور الحياة للوادی وأهله، وأبدع في وصف روعته وجماله وجلاله، ثم انتقل إلى قدماء المصريين ومفاخرهم، وهى القصيدة التى تغنيها أم كلثوم فتزيدها بهاء وجمالا:

(١) الدن: باطية البحر.

(٢) رع وأمون من آلهة مصر القديمة.

وبأى كَفٍّ في المدائن تُغْدِقُ  
عُلْيَا الجنان جداولاً تترقرق  
أم أيّ طوفان تفيض وتَفْهَقُ  
للضفتين جديدها لا يخلق  
فإذا حضرت اخضوضر الاستبرق<sup>(١)</sup>  
وجياضك الشرق الشهية دُفَق<sup>(٢)</sup>  
بالواردين ولاخوانك ينفق<sup>(٣)</sup>  
والأرض تفرقها فيحيا المفرق  
مُتَخَبِّطٌ في علمها ومحقق

من أيّ عهد في القرى تتدفق  
ومن السماء نزلت أم فُجِّرَتْ من  
وبأى عين أم بآية مُزَنَّة  
وبأى نولٍ أنت ناسج بُرْدَةٍ  
تَسودُّ ديباجاً إذا فارقتها  
أنت الدهور عليك مهْدُك مترع  
تسقى وتطعم لا إناؤك ضائق  
والماء تسكبه فيسببك عسجداً  
تعبى متابعك العقول ويستوى

إلى أن قال:

لم لا يُؤْلَه من يَفُوت وِبرُوق  
لسواك مرتبة الألوهة تخلق  
العبادة خشية وتعلق  
عذب المشارع مده لا يلحق  
يجرى على سنن الوفاء ويصدق  
من راحتك عيمة تتدفق

دين الأوايل فيك دين مروءة  
لو أن مخلوقاً يؤْلَه لم تكن  
جعلو الهوى لك والوقار عبادة إن  
دانوا ببحرٍ بالكمار زاخِرٍ  
متقيد بعهوده ووعوده  
يتقبل الوادى الحياة كريمة

إلى أن قال يصف مهرجان وفاء النيل عند قدماء المصريين وكيف كانت «عروس النيل»  
تقدم قرباناً له كل عام:

يُبغى كما يُبغى الجمال ويُعشق  
ومن العقائد ما يلب ويَحَقُّ<sup>(٤)</sup>  
في كل دين بالهداية تلصق  
دين ويدفعها هوى وتشوق

والمجدد عند الغانيات رغبة  
إن زوجوك بهن فهي عقيدة  
ما أجل الإيمان لولا ضلة  
زُفَّت إلى ملك الملوك يحثها

(١) اللبياج والاستبرق: ثوب الحرير.

(٢) الشرق: الغرقى.

(٣) ينطق يغبى أو يقل.

(٤) يلب، أى يصير لبيباً.

ولربما حسدت عليك مكانها  
مجلوة في الفلك يحدو فلکها  
في مهرجان هزت الدنيا به  
فرعون تحت لوائيه وبنائه  
حتى إذا بلغت مواكبها المدى  
وكسا سماء المهرجان جلالة  
وتلفتت في اليم كل سفينة  
ألقت إليك بنفسها ونفيسها  
خلعت عليك حياة وحياتها  
وإذا تناهى الحب وافق الفدى

ترب تمسح بالعروس وتحديق<sup>(١)</sup>  
بالشاطنين مزرعد ومصفق  
أعطافها واختال فيه المشرق  
يجرى بين على السفين الزورق  
وجرى لغايته القضاء الأسبق  
سيف المنية وهو صلت يبرق  
وانثال بالوادي الجموع وحدقوا  
وأنتك شقة حواها شق  
أعز من هذين شيء ينفق؟  
فالروح في باب الضحية اليق

- إلى أن قال يذكر النيل وأنه مصدر الحياة والحضارة لمصر والوادي:

أصل الحضارة في صعيدك ثابت  
ولدت فكنت المهد ثم ترعرعت  
ملأت ديارك حكمة مانورها  
وبنت بيوت العلم باذخة الدرر  
واستحدثت ديناً فكان فضائلاً  
مهّد السبيل لكل دين بعده  
يدعو إلى بر ويرفع صالحاً

ونباتها حسن عليك مخلق<sup>(٢)</sup>  
فأظللها منك الخفي المشرق  
في الصخر والبردي الكريم منبق<sup>(٣)</sup>  
يسعى لهن مغرب ومشرق  
وبناء أخلاق يطول ويشق<sup>(٤)</sup>  
كالمسك رياه بأخرى تفتق  
وبعاف ما هو للمروءة مخلق

وقال في ختامها:

يانيل أنت بطيب مانعت الهدى  
وإليك يهدى الحمد خلق حازهم

وبمذحة (التوراة) أخرى وأخلق  
كفف على مر الدهور مرهق<sup>(٥)</sup>

(١) الترب من ولد مع الإنسان، الجمع أتراب وأكثر ما تستعمل في المؤنث. يقال هذه ترب فلانة.

(٢) مخلق: متطيف.

(٣) منبق: مصطف.

(٤) يشق من شق الجبل ارتفع.

(٥) المرهق: كثير غشيان الناس والأضياف.

وعليك تُجلى من مصونات النهى      خوذُ عرائس خدرهن المَهْرَقُ<sup>(١)</sup>  
الدرّ في لَبَاتهن مننظّم      والطيب في حَبراتهن مرقرق  
لى فيك مدحٌ ليس فيه تكلفٌ      أملاه حبٌ ليس فيه تملق

وفى الحق أنه لم يوصف النيل فى عظمتة وجلالته وماضيته وحاضره وخلوده بأبداع مما وصفه  
شوقى فى هذه القصيدة.

### نشيد النيل

ووضع نشيداً جميلاً للنيل يتغنى به الشباب والمواطنون قال:

النيلُ العذبُ هو الكؤُثرُ      والجنةُ شاطئُهُ الأخضر  
ريّانُ الصفحةِ والمنظرُ      ما أبهى الخلد وما أنضر

\* \* \*

البحرُ الفيّاضُ القدُّسُ      الساقى الناس وما غرسوا  
وهو المنوالُ لما لبسوا      والمنعمُ بالقطن الأنورُ

\* \* \*

جعلَ الإنسانَ له شرعاً      لم يُخلِ الوادى مِنْ مرعى  
فترى زرعاً يتلو زرعاً      وهنا يجنى وهنا يُبذر

\* \* \*

جارٍ ويرى ليس بجار      لأناقةٍ فيه ووقار  
يُنصبُ كتلٍ منهار      ويضجُّ فتحسبه يزأر

\* \* \*

حبّشَى اللون كجيرته      من منبعه وبحيرته  
صبغَ الشّطين بسمرته      لونا كالمسك وكالعنبر

(١) المهرق: الصفيقة.



## النشيد الوطنى

وفى سنة ١٩٢٠ وضع نشيدًا وطنيا أقرته اللجنة التى ألفت فى هذا العام لترقية الأغانى الوطنية قال:

بنى مصر مكانكمو تهيا      فهيا مهّدوا للملك هيا  
خذوا شمس النهار له حليا      ألم تك تاج أولكم مليا

\*\*\*

على الأخلاق خُطوا الملك وابنوا      فليس وراءها للعز ركن  
أليس لكم بوادى النيل عدن      وكوثرها الذى يجرى شهيا

\*\*\*

لنا وطن بأنفسنا نقيه      وبالدنيا العريضة نفتديه  
إذا ما سيلت الأرواح فيه      بذلتها كأن لم نعط شيئا

\*\*\*

لنا الهرم الذى صحب الزمانا      ومن جدثانه أخذ الأمانا  
ونحن بنو السنأ العالى ثمانا      أوائل علّموا الأمم الرقيّا

\*\*\*

تطاول عهدهم عزّا وفخرا      فلما آل للتاريخ دُخرا  
نشأنا نشأة فى المجد أخرى      جعلنا الحق مظهرها العليا

\*\*\*

جعلنا مصر ملة ذى الجلال      وألفنا الصليب مع الهلال  
وأقبلنا كصف من عوال      يشد السمحرى السمهريا

\*\*\*

تقوم على البناية محسنينا      ونعهد بالتمام إلى بنينا  
نموت فذاك مصر كما حيننا      ويبقى وجهك المَفْدِي حيا

### نشيد الكشافة

نحن الكشافة في الوادي      جبريلُ الروحُ لنا حادي  
ياربِّ بِعِيسَى والهادي      وبموسى خُذ بيد الوَطَنِ

\* \* \*

كشافةُ مصر وصبيتها      ومناةُ الدار ومنيتها  
وجمالُ الأرض وجليتها      وطلّاعُ أفراح المَدُن

\* \* \*

نبتدر الخير ونستبقُ      ما يَرْضَى الخالقُ والخلقُ  
بالنفس وخالقها نثق      ونزيد وثوقا في المحن

\* \* \*

في السهل نرفّ رياحينا      ونجوب الصخر شياطينا  
نبني الأبدان وتبنينا      والهمة في الجسم المرن

\* \* \*

ونخلى الخلق وما اعتقدوا      ولوجه الخالق نجتهد  
نأسو الجرحى أنى وجدوا      ونداوى من جرح الزمن

\* \* \*

في الصدق نشأنا والكرم      والعفة عن مَسّ الحُرَم  
ورعاية طفل أو هَرِم      والذود عن الغيد الحصن

\* \* \*

ونوافي الصارخ في اللجج      والنار الساطعة الوهج

لانسأله ثمن المهج وكفى بالواجب من ثمن

\*\*\*

ربّ فكثّرنا عدداً وابذل لأبوتنا المددا  
هبيء لهم ولنا رشداً ياربّ وخذ بيد الوطن

### نشيد الشباب

اليوم نسود بأيدينا ونعيد محاسن ماضينا  
ونشيد العزّ بأيدينا وطن نفديه ويفدينا

\*\*\*

وطن بالحق نؤيده وبعين الله نشيده  
ونحسنه ونزيّنه بمآثرنا ومساعينا

\*\*\*

سرّ التاريخ وعنصره وسرير الدهر ومنبره  
وجنان الخلد وكوثره وكفى الآباء رياحيننا

\*\*\*

نتخذ الشمس له تاجاً وضحاها عرشاً وهاجاً  
وسماء السؤدد أبراجاً وكذلك كان أوالينا

\*\*\*

العصر يراكم والأمم والكرنك يلحظ والهزم  
ابنى الأوطان ألا همم كبناء الأول يبنيها

\*\*\*

سعيّاً أبداً سعيّاً أبداً لأثيل المجد وللعليا  
ولنجعل مصر هى الدنيا ولنجعل مصر هى الدنيا

وظل شوقى يتغنى بالوطنية ويغرد للمواطنين والناطقين بالضاد جميعا ألحان الحرية ويسمعهم  
أسمى معانى الإنسانية حتى أدركته الوفاة سنة ١٩٣٢، وظل شعره بعد وفاته وسيظل على الدوام  
رمزاً للحكمة والحرية والخلود.

# حافظ إبراهيم شاعر النيل

١٨٧٢ - ١٩٣٢



هو صِنُو شوقى فى إحياء دولة الشعر، ولثَن تميز شوقى بالزعامة كما أسلفنا فى الحديث عن شوقى، فإن حافظا يمتاز عنه بأن نشأته وحياته كانت شعبية، فى حين كانت نشأة شوقى وحياته أرستقراطية، فكان حافظ أقرب إلى رُوح الشعب ومشاعره، وأقدر على تصوير آلامه التى شاركة فيها، واكتوى بلهيبها، فكان لذلك أبلغ فى التعبير عنها، وكانت عباراته أسهل وأقرب إلى إدراك معانيها من عبارات شوقى، لأنه كان يحس إحساساً قويا أنه يخاطب الشعب فى مجموع مثقفيه وقارثيه.

ولد حافظ إبراهيم سنة ١٨٧٢ من أب مصرى وأم من أسرة تركية، كان أبوه إبراهيم أفندى فهمى مهندساً يشرف على قناطر ديروط حيث ولد حافظ، وتوفى وحافظ فى الرابعة من عمره، فكفله خاله محمد أفندى نيازى وعاش فى كنفه عيشة الطبقات المتوسطة التى كانت أقرب إلى الضيق منه إلى اليسار، فأحس حافظ منذ صباه بما تعانيه الطبقات الشعبية من جهد ورقة حال، ولما ظهرت مواهبه الشعرية كان الترجمان الصادق الأمين لهذه الطبقات.

تلقى التعليم الابتدائى وجزءاً من التعليم الثانوى، ولكنه لم يتمه، وانتقل مع خاله إلى طنطا وكان مهندس تنظيم بها وانقطع حافظ وقتاً ما عن متابعة التعليم، واتجهت نفسه إلى الأدب والشعر.

واشتغل وقتاً وجيزاً بالمحاماة بطنطا، ولكنه لم يستمر فيها إذ لم يجد من نفسه ميلاً إليها لما كانت تقتضيه من دأب على العمل المتواصل وهو لم يكن يميل إلى التقيد بمثل هذا الدأب، بل كان كالطير ينطلق مغرداً بين مختلف الأشجار والأغصان.

ولقد فكر فى أن يكون ضابطاً بالجيش إذ كانت الحياة العسكرية مما يستثير فى نفسه روح

الشعر والخيال، أو لعله أراد أن يقلد البارودي في نشأته العسكرية، فالتحق بالمدرسة الحربية بالقاهرة، وتخرج منها سنة ١٨٩١ ضابطاً برتبة ملازم ثان، وكان إذ ذاك في سن العشرين تقريباً، وانتظم في حملة السودان بقيادة اللورد كتشنر سردار الجيش المصرى وقتئذ، ولما انتهت الحملة بانفراد الإنجليز بحكم السودان عافت نفسه البقاء في ربوعه، فالتمس إحالته إلى المعاش وأجيب طلبه وعاد إلى مصر، وغشى مجالس الشعراء والأدباء والعلماء، وأفاض فيها من شعره وأدبه، فتألفت شاعريته، وعرف له معاصروه فضله ومكانته في عالم الأدب والشعر، وإذ كان الشعر لا يدرّ عليه ما يحفظ مكانته من الوجهة المادية فقد عينه أحمد حشمت وزير المعارف في سنة ١٩١١ رئيساً للقسم الأدبي في دار الكتب المصرية، وظل بها إلى فبراير سنة ١٩٣٢ إذ أحيل إلى المعاش لبلوغه السن القانونية، وتوفي يوم ٢١ يولييه سنة ١٩٣٢.

كان حافظ شاعراً بطبعه، ظهرت مواهبه الشعرية وهو في السادسة عشرة من عمره، لم يتلقها عن معلم أو أديب، ولا تعلمها في المدارس التي انتظم بها، بل كانت وحى الإلهام والسليقة، فكان يقول الشعر وهو في هذه السن المبكرة، ويأخذ نفسه بالمطالعات الشعرية ويحفظ قصائد فحول الشعراء المتقدمين، واشتدت به الرغبة إلى محاكاتهم في جيد الشعر، فواتته سليقته الشعرية وساعدته على تحقيق رغبته، وبذمّع الزمن أولئك الشعراء، وبلغ الذروة في عالم الشعر والأدب.

وحافظ يمتاز في شعره بقوة البلاغة وإشراق الديباجة وطلاوة الأسلوب والروح الخطابية، ولقد أنصفه شوقي إذ قال في رثائه:

يا حافظ الفصحى وحارس مجدها	وإمام من نَجَلت من البُلغاء <sup>(١)</sup>
مازلت تهتف بالقديم وفضله	حتى همت أمانة القُدماء
خلفت في الدنيا بيانا خالدا	وتركت أجيالا من الأبناء
وغدا سيذكرك الزمان ولم يزل	للدهر إنصاف وحسنُ جزاء

أضفت الوطنية على شعر حافظ هالة من العظمة والمجد، فقد كان بلا مرأى خير ترجمان للشعب في أحاسيسه وآماله، وخير مواس له في مآسيه وآلامه، وتغنى بمصر والنيل في قصائده الغرّ، ولعلّ بقاءه في السودان عدة سنين، ومشاهدته غدر الإنجليز هناك، وتدابيرهم في تحقيق أغراضهم الاستعمارية، قد زاده سخطا على الاستعمار واستمساكا بوحدة وادى النيل، وتجلّت هذه المواهب في شعره في شتى المناسبات حتى سمي بحق «شاعر النيل»، وهو إلى جانب ذلك

(١) سجل: أى ولد.

نساعر الوطنية والاجتماع والأخلاق. كان لا يفتأ يدعو قومه إلى التسليح بالأخلاق في جهادهم للحرية، إذ يرى الأخلاق قوام الجهاد الصحيح، وبلغت دعوته إلى الأخلاق حدّ التقرير في مخاطبته لبني وطنه ومجاهتهم بالحق الصريح.

وحافظ وإن كانت ثقافته شرقية إلا أنه قد تعلّم الفرنسية على كبر، واقتبس من الآداب الفرنسية ما استطاع أن يقتبسه، وساعده ذكاؤه وألميته على محاكاة الشعر الغربي أحياناً، وكان ميل إلى التجديد في شعره، وفي ذلك يقول:

آن يا شعر أن تفك قيودا      قيّدتنا بها دعاة المحال  
فارفعوا هذه الكرائم عنا      ودعونا نشم ريح الشمال

ولقد نجح حافظ في أن يرتفع بشعره في كثير من المواطن إلى التجديد واقتباس المعاني والأفكار والأساليب الحديثة، فزاد شعره طلاوة ورنيناً موسيقياً حبيّاً إلى النفوس وجعل بعض قصائده أشبه بالأغاني والتغاريده.

### الوطنية في شعر حافظ

تجلى الروح الوطنية ويتألق نورها في شعر حافظ، ولقد وجدت الحركة الوطنية في قصائده البديعة قوة تستمد منها الحماسة والصمود في الجهاد، والنورة على الاحتلال.

كان شعره معيّن لا ينضب من الكفاح الوطني، وكان حبه للوطن يملك عليه شغاف قلبه، ويلهمه الذود عن حريته واستقلاله، ولقد عبر عن هذه العاطفة الملهبة بقوله من قصيدة له سنة ١٩٠٠:

مَتَى أَرَى النَّيْلَ لَا تَحُلُو مَوَارِدُهُ      لَغَيْرِ مُرْتَهَبٍ لِلَّهِ مُرْتَقِبٍ  
فَقَدْ غَدَتِ مِصْرُ فِي حَالٍ إِذْ ذُكِرَتْ      جَادَتْ جَفَوْنِي هَا بِاللُّؤْلُؤِ الرُّطْبِ  
كَأَنِّي عِنْدَ ذِكْرِي مَا أَلَمَّ بِهَا      قَرْمٌ تَرَدَّدَ بَيْنَ الْمَوْتِ وَالْهَرَبِ<sup>(١)</sup>  
إِذَا نَطَقْتُ فِقَاعَ السَّجْنِ مَتَكَاً      وَإِنْ سَكَتُ فَإِنَّ النَّفْسَ لَمْ تَطِبْ  
أَيْسَتَكِي الْفَقْرَ غَادِينَا وَرَائِحُنَا      وَنَحْنُ نَمِشِي عَلَى أَرْضٍ مِنَ الذُّهَبِ؟!

وقوله في قصيدة له سنة ١٩٠٩:

لعمرك ما أرقّت لغير مصر      ومالي دونها أمل يرام

(١) القرم: أي الرجل الشجاع.

ذكرتُ جلالها أيام كانت  
وأيامَ الرجال بها رجالٌ  
تصول بها الفراعنة العظام  
وأيامَ الزمان لها غلام

وقوله من قصيدة له سنة ١٩١٠:

كَمْ ذا يُكَايِدُ عاشقٌ ويُلاقِي  
إِنِّي لأَجْمَلُ في هَوَاكِ صَبَابَةً  
لَهْفِي عَلَيْكَ مَتَى أَرَاكَ طَلِيقَةً  
كَيْفَ بِخَمُودِ الْخِلَالِ مَتِيماً  
في حُبِّ مَصْرٍ كَثِيرَةِ الْعُشَاقِ  
يَا مَصْرُ قَدْ خَرَجْتَ عَنِ الْأَطْوَاقِ<sup>(١)</sup>  
يَجْمِي كَرِيمَ حِمَاكِ شَعْبٌ رَاقِي  
بِالْبَذْلِ بَيْنَ يَدَيْكَ وَالْإِنْفَاقِ

وقوله من قصيدة له سنة ١٩١٩ نظمها في (ملجأ الحرية):

فَتَعَاهَدْنَا عَلَى دَفْعِ الْأَذَى  
وَتَوَاصَيْنَا بِصَبْرِ بَيْنِنَا  
أَنْشَرْتَ فِي مَصْرٍ شَعْبًا صَالِحًا  
كَمْ مُحِبُّ هَائِمٍ فِي حُبِّهَا  
بِرُكُوبِ الْحَزْمِ حَتَّى نَظْفَقُوا  
فَغَدَوْنَا قُوَّةً لَا تُزْدَرَى  
كَانَ قَبْلَ الْيَوْمِ مُنْفَكِّ الْعُرَا<sup>(٢)</sup>  
ذَادَ عَنْ أَجْفَانِهِ سَرَحَ الْكَرَى<sup>(٣)</sup>  
أَنْ يَشِيدُوا بِجَدِّهَا فَوْقَ الذُّرَا<sup>(٤)</sup>  
وَشَابَ وَكُھُولٍ أَقْسَمُوا

### حافظ ومصطفى كامل

عاصر حافظ مصطفى كامل. وكان صديقاً له معجباً بجهاده. رغم صداقته وصلته بخصومه السياسيين. وكان مصطفى شديد الإعجاب بشعره وأدبه. وعندما ظهر الجزء الأول من ديوانه سنة ١٩٠١ قرظه في «اللواء»<sup>(٥)</sup> تقریظاً يدل على عظم تقديره لشاعر النيل وأسهب في الثناء عليه سنة ١٩٠٣ حين عرّب كتاب (البؤساء) لفكتور هيغو.

### قصيدة حافظ

#### في حفلة مدرسة مصطفى كامل

وببدو إعجاب حافظ بمصطفى وجهاده في قصيدته التي ألقاها يوم ٢٩ نوفمبر سنة ١٩٠٦ في احتفال مدرسة مصطفى كامل تعليقاً على خطبة مصطفى. قال في مطلعها:

(٤) الذرا: جمع ذروة وهي المكان المرتفع.  
(٥) عدد ٩ أكتوبر سنة ١٩٠١.

(١) الأطواق جمع طوق: أى الجهد والطاقة.  
(٢) أنشرت: أحييت.  
(٣) الكرى: النوم.



فجَدُّ في النفس ما جَددا  
وأضحى لآمالنا من عِشَّا  
وَأَمْسَى لآمالنا من عِشَّا

وقال يستثير في النفوس روح الأمل والحياة وهى الدعوة المحبية إلى الفقيه:

فَدْنِيَاكَ يَا شَرْقُ لَا تَجْزَعَنَّ  
فَكَمْ مَحْنَةً أَعْقَبَتْ مَحْنَةً  
فَلَا يُبْسِنَنَّكَ قَيْلُ الْعُدَاةِ  
أَتَوَدَّعُ فِيكَ كَنُوزَ الْعُلُومِ  
وَتُبْعَثُ فِي أَرْضِكَ الْأَنْبِيَاءُ  
وَتَقْضَى عَلَيْكَ قَضَاةُ الضَّلَالِ  
أَتَشْقَى بِعَهْدِ سَمَا بِالْعُلُومِ  
إِذَا شَاءَ بَزَّ لِسُهَا سِرُّهُ  
وَإِنْ شَاءَ أَدْنَى إِلَيْهِ النُّجُومِ  
وَإِنْ شَاءَ زَعَزَعَ شَمَّ الْجِبَالِ  
وَإِنْ شَاءَ شَاهَدَ فِي ذَرَّةٍ  
وَمَا نَ تُسَخَّرُ فِيهِ الرِّيحُ  
وَتَعْنُوا الطَّبِيعَةُ لِلْعَارِفِينَ  
إِذَا مَا أَهَابُوا أَجَابَ الْحَدِيدُ  
وَطَارَتْ إِلَيْهِمُ مِنَ الْكَهْرِبَاءِ

إِذَا الْيَوْمَ وَلَّى فِرَاقُ غَدَا  
وَوَلَّتْ سِرَاعًا كَرَجْعُ الصَّدَى  
وَإِنْ كَانَ قَيْلًا كَحَزِّ الْمُدَى<sup>(٢)</sup>  
وَيَعِشَى لَكَ الْغَرْبُ مُسْتَرْفِدًا<sup>(٣)</sup>  
وَيَأْتِي لَكَ الْغَرْبُ مُسْتَرْشِدًا  
طَوَالَ اللَّيَالِي بِأَنْ تُرْقِدَا؟  
فَأُضْحَى لِلضَّعِيفِ بِهَلَا أَيْدَا<sup>(٤)</sup>  
وَأَدْرَكَ مِنْ جَرِيهِ الْمَقْصِدَا<sup>(٥)</sup>  
فَنَاجَى الْمَجْرَةَ وَالْفَرْقِدَا<sup>(٦)</sup>  
فَخَرَتْ لِأَقْدَامِهِ سُجْدًا  
عَوَالِمٌ لَمْ تَحْشَى فِيهَا سَدَى  
وَيَغْدُو الْجَمَادُ بِهِ مَنَشِدَا<sup>(٧)</sup>  
بِمَعْنَى الْوُجُودِ وَسِرُّ الْهُدَى  
وَقَامَ الْبَخَارُ لَهُ مُسْعِدَا<sup>(٨)</sup>  
بِرُوقٍ عَلَى السَّلَكِ تَطْوِي الْمُدَى

\*\*\*

أَيَّجَمَلُ مِنْ بَعْدِ هَذَا وَذَاكَ  
بِأَنْ نَسْتَكِينُ وَأَنْ نَجْمُدَا؟

(١) يقصد خطبة مصطفى كامل في الحفلة.

(٢) المدى بالضم جمعادية؛ وهى السكين.

(٣) مستر فدا: أى يطلب الرفد وهو العطاء.

(٤) الأيدى، بتشديد الياء: القوى، من الأيدى بمعنى القوة.

(٥) بزه سلبه، والسها الكوكب المعروف، أى إذا ساء ذو العلم سلب من السهى سره وأظهره للناس.

(٦) المجرة والفرقد: نجوم فى السماء.

(٧) يشير إلى الطيران والفوتوغراف.

(٨) مسعدا: أى معينا.

وها أمة (الصفّر) قد مهّدت لنا النهج فاستبقوا المورد<sup>(١)</sup>

وقال فيها مخاطبا الشباب:

فيا أيها الناشئون اعملوا  
ستظهر فيكم ذوات الغيوب<sup>(٢)</sup>  
فيا ليت شعري من منكم  
على خير مصر وكونوا يدا  
رجالاً تكون لمصر الفدا  
إذا هي نادت يلبي النداء

وقال في ختامها مخاطبا مصطفى كامل:

لَكَ الله يا (مصطفى) من فتى  
إذا ما حمدتكَ بين الرجال  
سيحصى عليك سجل الزمان  
ويستف باسمك أبناؤنا  
كثير الأيادي كثير العدا  
فأنت الخليق بأن تُحمدا  
ثناء يُخلد ما خُلدا  
إذا آن للزرع أن يُحصدا

والقصيدة من أبلغ شعر حافظ. وتأمل في البيت الأخير منها تجد حافظا يقر لمصطفى بأنه الموجد للحركة الوطنية، وأنه الجدير بأن تعرف الأمة له هذا الفضل عندما تجنى ثمار هذه الحركة. وقد ظل على هذا الرأي بعد وفاة الفقيد وبعد ظهور زعامة سعد زغلول للحركة الوطنية سنة ١٩١٩. وجهر به في رثائه للمرحوم محمد فريد في ديسمبر سنة ١٩١٩، إذا قال مناجيا روح فريد:

قل (لصبّ النيل)<sup>(٣)</sup> إن لاقيته  
إن مصرًا لا تنى عن قصدها  
جنّت عنها أحمل البشرى إلى  
فاسترح واهنأ ونم في غبطة  
في جوار الدائم الفرد الصمد  
رغم ما تلقى وإن طال الأمد  
(أول البانين) في هذا البلد  
قد بذرت الحب والشعب حصص

فحافظ يعترف هنا أيضًا لمصطفى بأنه أول البانين في صرح الحركة الوطنية، وبأنه بذر الحب وأن الشعب حصد وجنى نمار ما بذر. ورأى حافظ سنة ١٩١٩ هو تأييد وتوكيد لرأيه سنة ١٩٠٦.

(١) أمة الصفّر: أى اليابان.

(٢) ذوات الغيوب: أى الأقدار التى فى عالم الغيب.

(٣) يريد مصطفى كامل.

## قصيدة حافظ في حادثة دنشواي

لقيت حادثة دنشواي<sup>(١)</sup> صداها في شعر حافظ، فنشر في ٢ يولييه سنة ١٩٠٦ - أى بعد صدور الحكم فيها بخمسة أيام - قصيدته المشهورة عن الحادثة. ندد فيها بسياسة الاحتلال، وسبق بها شوقي بعام، إذ أن شوقي لم يقل قصيدته عن الحادثة إلا بعد عام من وقوعها.

قال حافظ في مطلع قصيدته مخاطباً المحتلين:

أيها القائمون بالأمر فينا!	هل نسيتم ولأئنا والوداد؟!
خَفَضُوا جيشكم وناموا هنيئاً	وابتغوا صيدكم وجوبوا البلاد
وإذا أُغَوِّزَتْكُمْ ذاتُ طوقٍ <sup>(٢)</sup>	بين تلك الرُّبَا فصيدوا العباد
إنما نحن والحمام سواءٌ	لم تُغادرْ أطواقنا الأجياد <sup>(٣)</sup>
لا تظنُّوا بنا العقوق ولكن	أرشدونا إذا ضللنا الرُّشاد
لا تُقيدوا من أمةٍ بقتيلٍ	صادت الشمسُ نفسَه حين صادا <sup>(٤)</sup>

وقال يصف الحادثة وفضائع المحاكمة والتنفيذ:

جاء جُهَّالنا بأمر وجئتم	ضَعَفَ ضعفيه قسوةٌ واشتدادا
أَحْسِنُوا القتل إن ضننتم بعفوٍ	أَقْصَا أُرْدم أم كِيادا؟
أَحْسِنُوا القتل إن ضننتم بعفوٍ	أَنفوساً أَصَبْتُم أم جَمادا؟

\* \* \*

ليت شعري أتلك (محكمة التف	تيش) عادت أم عهد(نيرون) عادا؟
كيف يحلو من القوى التَّشْفَى	من ضعيفٍ ألقى إليه القيادا؟
إنَّها مُثَلَّةٌ تشفُّ عن الغي	ظ ولسنا لَغِيظكم أُنْدادا
أَكْرِمونا بأَرْضنا حيث كنتم	إنَّما يُكرم الجوادُ الجوادا
إنَّ عشرين جِجَّةً بعد خمسٍ	علمتنا السُّكون مهما تَمادى

(١) راجع تفصيلها في كتابنا (مصطفى كامل باعث الحركة الوطنية).

(٢) ذات طوق: أى الحمامة.

(٣) الأطواق هنا سلاسل الأسر والاستعباد والأجياد الأعناق، جمع جيد.

(٤) أى لا تأخذوا الأمة بقتيل ثبت أنه مات بضربة الشمس، وهو الكابتن بول... وأقاد الحاكم القاتل بالقتيل أى قتله به قودا.

أُمَّة النِيل أَكْبَرَتْ أَنْ تُعَادَى      مَنْ رَمَاهَا وَأَشْفَقَتْ أَنْ تُعَادَى  
لَيْسَ فِيهَا إِلَّا كَلَامٌ وَإِلَّا      حَشْرَةٌ بَعْدَ حَشْرَةٍ تَتَهَادَى

وقال مخاطباً المدعى العمومى فى القضية:

أَيُّهَا الْمَدْعَى الْعُمُومِيُّ<sup>(١)</sup> مَهْلًا      بَعْضُ هَذَا فَقَدْ بَلَغَتْ الْمَرَادَا  
قَدْ ضَمَّنَّا لَكَ الْقَضَاءَ بِمَصْرٍ      وَضَمَّنَّا لِنَجْلِكَ الْإِسْعَادَا  
فَإِذَا مَا جَلَسْتَ لِلْحُكْمِ فَادْكُرْ      عَهْدَ (مَصْرٍ) فَقَدْ شَفِيتِ الْفُؤَادَا  
لَا جَرَى النَّيْلِ فِي نَوَاحِيكَ يَا (مَصْرُ)      وَلَا جَادِكِ الْحَيَا حَيْثُ جَادَا<sup>(٢)</sup>  
أَنْتِ أَنْبَتِ ذَلِكَ النَّبْتُ يَا (مَصْرُ)      فَأُضْحِى عَلَيْكَ شَوْكًا قَتَادَا  
أَنْتِ أَنْبَتِ نَاعِقًا قَامَ بِالْأَمِّ      سِيسَ فَأَدْمَى الْقُلُوبَ وَالْأَكْبَادَا

\* \* \*

إِيَّاهُ يَا مِدْرَةَ الْقَضَاءِ وَيَا مَنْ      سَادَ فِي غَفْلَةِ الزَّمَانِ وَشَادَا  
أَنْتِ جَلَّادُنَا فَلَا تَنْسِ أَنْتَا      قَدْ لَبَسْنَا عَلَى يَدَيْكَ الْحَدَادَا

والقصيدة كما ترى من أروع ما قال حافظ، وفيها تصوير لتلك الحادثة الفظيعة التى أظهرت مبلغ الظلم البريطانى ومبلغ هوان المصرى فى نظر الاحتلال، ولقد حمل حافظ بأسلوبه اللاذع القوى على هذا الظلم حملات اهتزت لها أركانها، كما حمل على الضعف الذى كان من أسباب استفحال هذا الظلم. فكانت هذه الحملة دعوة صادقة إلى اطراح الضعف والأخذ بأسباب النهوض والقوة فى محاربة الاحتلال.

### قصيدته فى استقبال اللورد كرومر

بعد حادثة دنشواى

وعاد يصف فظائع الاحتلال فى حادثة دنشواى فى قصيدة له قالها فى أكتوبر سنة ١٩٠٦  
لمناسبة عودة اللورد كرومر المعتمد البريطانى فى أجازته وكان صاحب الحول والطول وقتئذ فى البلاد.

(قَصْرَ الدُّبَابَةِ)<sup>(٣)</sup> هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُنَا      فَالْشَّرْقُ رُيْعَ لَهُ وَضَجَّ الْمَغْرِبُ

(٣) يريد دار المعتمد البريطانى.

(١) إبراهيم الهلباوى.

(٢) الحيا · المطر.

أهلاً بساكنك الكريم ومرحباً  
نَقَلْتُ لَنَا الْأَسْلَافُ عَنْكَ رِسَالَةً  
بعد التحية إننى أتعجب  
بأتت لها أحشائنا تتهلّب

إلى أن قال :

إن ضاق صدر النيل عما هاله  
أو كلها باح الحزين بأنة  
رفقاً عميد الدولتين بأمة  
رفقاً عميد الدولتين بأمة  
إن أرهقوا صيادكم فلعلهم  
ولربما ضنَّ الفقيرُ بقوته  
في (دنشواي) وأنت عنا غائب  
حسبوا النفوس من الحمام بديلة  
نكبوا وأقفرّت المنازل بعدهم  
خلّيتهم والقاسطون<sup>(٣)</sup> بمرصِد  
جُلِدُوا ولو منّيتهم لتعلقوا  
شُنِقُوا ولو منحوا الخيار لأهلوا  
يتحاسدون على المات وكأسه  
موتان: هذا عاجلٌ متمرُّ  
والمستشار<sup>(٥)</sup> مكائِرٌ برجاله  
يختال في أنحائها متبسماً  
طاحوا بأربعة فأردوا خامسا  
حبٌ يحاولُ غرسه في أنفـس

يوم الحمام أى يوم صيد الحمام في حادثة دنشواي.  
(٢) يشير إلى ما زعم اللورد كرومر من أن التعصب الدينى هو سبب حادثة دنشواي.  
(٣) القاسطون الظالمون.  
(٤) أهلوا ورحبوا أى قالوا أهلاً ومرحباً.  
(٥) يريد الكبتن متمثل مستشار وزارة الداخلية. وكان يشرف على تنفيذ الحكم ومعاجز من عاجزت الرجل إذا أتيت بما يجعله عاجزاً. وحزب أى جمع أعوانه وأحزابه فبعضهم يتولى الشنق وبعضهم يتولى الجلد.

يوم الحمام فإن صدرك أرحب<sup>(١)</sup>  
أمست إلى معنى التعصب تُتسب<sup>(٢)</sup>  
ضايق الرجاء بها وضايق المذهب  
ليست بغير ولائها تتعذب  
للقوت لا للمسلمين تعصبوا  
وسخا بمهجته على من يغصب  
لعب القضاء بنا وعزّ المهرب  
فتسابقوا في صيدهن وصوبوا  
لو كنت حاضراً أمرهم لم يُنكبوا  
وسياطهم وحبأهم تتأهب  
بحال من شنقوا ولم يتهيبوا  
بلظى سياط الجالدين ورحبوا<sup>(٤)</sup>  
بين الشفاء وطعمه لا يعذب  
يرنو وهذا آجلٌ يترقب  
ومعاجزٌ ومناجزٌ ومحزّب  
والدمع حول ركابه يتصيب  
هو خير ما يرجو العميد ويطلب  
يُجنى بمغرسها الثناء الطيب

كن كيف شئت ولا تكلُّ أرواحنا للمستشار فإن عدلك أخصب  
وأفرض على (بُند)<sup>(١)</sup> إذا ولى القضا رفقا يهش له القضاء ويطرَب

### قصيدته في شكوى مصر من الاحتلال

قالها في يناير سنة ١٩٠٧ :

لقد كان فينا الظلم فوضى فهذبت حواشيه حتى بات ظلماً منظها  
ثم<sup>(٢)</sup> علينا اليوم أن أخضب الثرى وأن أصبح المصري خراً منعها  
أعد عهد (إسماعيل) جلدًا وسخرة فإني رأيت المَن أنكى وآلما  
عملتم على عزِّ الجماد وذلنا فأغليتم طينًا وأرخصتم دما  
إذا أخضبت أرض وأجذب أهلها فلا أطلعت نبتًا ولا جادها السما  
نَهش إلى الدينار حتى إذا مشى به ربه لل سوق ألفاهُ درهما  
فلا تحسبوا في وفرة المال - لم تُفد متاعًا ولم تعصم من الفقر - مَغنا  
فإن كثير المال - والحفص وارف قليل إذا حلَّ الغلاء وخيًّا<sup>(٣)</sup>

### قصيدته في استقالة اللورد كرومر

ففي الشعر هذا موطن الصدق والهدى فلاتكذب التاريخ إن كنت منشدا  
لقد حان توديعُ العميد وإنه حقيق بتشجيع المحبين والعدا  
فودّع لنا الطود الذي كان شامخا وشيّع لنا البحر الذي كان مُزبدا  
إلى أن قال :

يناديك قد أزريت بالعلم والحجا ولم تُبقِ للتعليم يا (لورد) معهدا  
وأنتك أخضبت البلاد تعمدا وأجديت في مصر العقول تعمدا  
قضيت على أم اللغات وإنه قضاء علينا أو سبيل إلى الردى<sup>(٤)</sup>

(١) المسر بوند وكيل محكمة الاستئناف وأحد فضاة المحكمة المخصوصة التي حاكت المتهمين في حادنه دنسواي وكان القاضى الموجه للأسئلة وتمت أسئلته على سوء نيته وميله إلى الانتقام والتشفى.

(٢) يحاطب المعتمد البريطاني.

(٣) الحفص سعة العيش. يريد أن كثرة المال مع غلاء الأسعار لاتغنى شيئا

(٤) أم اللغات أى اللغة العربية. يشير إلى محاربة الاحتلال للغة العربية وجعل دراسة العلوم في أكثر المدارس باللغة الإنجليزية.

وواقيتَ والقطران في ظل رايَةٍ  
فطاح كما طاحت (مصوَع) بعده  
حَجَبَتْ ضياءَ الصحف عن ظُلُماته  
وأودعتَ تقرير الوداع مغامرًا  
غمرتَ بها دينَ النبی وإننا  
فمازلت (بالسودان) حتى تمردا  
وضاعت مساعينا بأطماعكم سدى  
ولم تستقل حتى حَجَبَتْ (المؤيدا)<sup>(٣)</sup>  
رأينا جفاء الطبع فيها مجسداً  
لنغضب إن أغضبتَ في القبر (أحدًا)

\*\*\*

يناديك أين النابغون بعهدكم  
فما عهد إسماعيل والعيش ضيقُ  
يناديك ولَّيت الوزارة هيئةً  
فليس بها عند التشاور من فتي  
بربك ماذا صدنا ولوى بنا  
أشرت برأى في كتابك لم يكن  
وحاولت إعطاء الغريب مكانةً  
فياويل مصرٍ يوم تشقى بندوةً  
وأى بناء شامخ قد تجددًا؟  
بأجذب من عهد لكم سال عَسَجدا  
من الصمِّ لم تسمع لأصواتنا صدى  
أبي إذا ما أصدر الأمر أوردًا  
عن القصد إن كان السبيل ممهدًا؟  
سديداً ولكن كان سهماً مسدداً  
تجر علينا الويل والذلُّ سمردا  
يبئُ بها ذاك الغريب مسوداً<sup>(٢)</sup>

\*\*\*

ألم يكفنا أنا سُلْبنا ضياعنا  
وزاحمنا في العيش كل ممارسٍ  
وما الشركات السود في كل بلدة  
على حين لم نبلغ من الفطنة المدى  
خبير وكنا جاهلين ورُقُدا  
سوى شريكٍ يُلقى به من تصيدا

### قصيدته في استقبال السير جورست

استقال اللورد كرومر أو أقيل من منصبه في أبريل سنة ١٩٠٧ على أثر حادثة دنشواي، وخلفه في منصبه السير إلدون جورست، فاستقبله حافظ بقصيدة عبر فيها عن شكوى مصر من الاحتلال وآثامه، قال فيها في أسلوب التهكم والسخرية:

(١) حجبت المؤيد أى منعت من دخول السودان.

(٢) يشير إلى مشروع اللورد كرومر في إنشاء مجلس تشريعي مختلط.

أذيقونا الرجاء فقد ظمئنا  
ومئوا بالوجود فقد جهلنا  
إذا أعلو لي الصياح فلا تلمنا  
على قدر الأذى والظلم يعلو  
جراح في النفوس نغرن نغراً  
إذا ما هاجهن أسى جديد

- بعهد المصلحين - إلى الورود  
- بفضل وجودكم - معنى الوجود  
فإن الناس في جهد جهيد<sup>(١)</sup>  
صياح المشفقين من المزيد!  
وكن قد اندملن على صديد<sup>(٢)</sup>  
هتكن سرائر القلب الجليد

إلى أن قال:

فما جئنا نطاولكم بجاء  
ولكننا نطالبكم بحق

يطولكم ولا ركن شديد  
أضر بأهله نقض العهود

وعاد إلى ذكر حادثة دنشواي وكيف كانت مبعث اليقظة والحياة للحركة الوطنية:

رمانا صاحب التقرير ظلماً  
وأقسم لا يجيب لنا نداءً  
وبشر أهل مصر باحتلال  
وأنت في النفوس لكم جفاءً  
فأتمر وحشة بلغت مداها  
قتيل الشمس أورتنا حياةً  
فلت (كرومراً) فد دام فينا  
ويتحف (مصر) أنا بعد أن  
لينزع هذه الأكفان عنا

بكفران العوارف والكنود<sup>(٣)</sup>  
ولو جئنا قرآن مجيد  
يدوم عليهم أبد الأبد  
تعهد به بمنهل الصدود  
وزكاهها بأربعة شهود<sup>(٤)</sup>  
وأيقظ هاجع القوم الرقود<sup>(٥)</sup>  
يطوق بالسلال كل جيد  
مجلود ومقتول شهيد  
ونبعث في العوالم من جديد

### رثاؤه لمصطفى كامل

في يوم ١١ فبراير سنة ١٩٠٨ حين شيعت مصر جنازة مصطفى كامل وقف حافظ على قبره  
وأنشد قصيدته الرائعة في رثائه قال:

(١) اعلو أي علا.

(٢) نغر الجرح سال دمه، واندمل التأم

(٣) صاحب التقرير هو اللورد كرومر.

(٤) يريد بالشهود الأربعة أعدموا في قضية دنشواي وهم أربعة.

(٥) قتل الشمس هو الكاتب بول الضابط الإنجليزي الذي مات في حادثة دنشواي بضربة الشمس، يريد أن ما أصاب الناس من التنكيل بسبب هذا القتل جعلهم يثرون للمطالبة بالحرية.



فكبرٌ وهلل والقي ضيفك جاثيًا  
شهيدَ العُلا في زهرة العمر ذاويًا  
لكان التأسي من جوى الحزن شافيًا<sup>(١)</sup>  
وهيهات أن يأتى به الدهر ثانيًا  
وأين الحِجَا والرأى؟ ومحك هاهيا!  
فقد أسكت الصوتُ الذى كان عاليًا  
إلى المجد فاستحيا النفوس البواليًا

أيًا قبرٌ هذا الضيف آمالُ أمة  
عزيزٌ علينا أن نرى فيك مصطفى  
أيًا قبر لو أنا فقدناه وحده  
ولكن فقدنا كل شيء بفقده  
فيا سائلى أين المروءة والوفا  
هنيئًا لهم<sup>(٢)</sup> فليأمنوا كل صائح  
ومات الذى أحيا الشعور وساقه

\* \* \*

وإنى أجيدُ اليوم فيك المراتيا  
وفيك وإلا مالذا الشعب باكيًا  
لما فيه من داء النفوس مداويا  
فأسهدتنا حُزنًا وأمسييت غافيًا

مدحتك لما كنت حيًا فلم أجِدْ  
عليك<sup>(٣)</sup> وإلا مالذا الحزن شاملًا  
يموت المداوى للنفوس ولا يَرى  
وكنا نيامًا حينما كنت ساهدًا<sup>(٤)</sup>

\* \* \*

يَرُنْ كما قد كان بالأمس داويا  
فلا تهدموا بالله ما كنت بانيا  
قَضَيْتُ وأن الحى قد بات خاليا  
وكونوا رجالاً لا تَسْرُوا الأعاديًا  
تُشارفكم<sup>(٥)</sup> عنى وإن كنت باليا  
أخاف عليكم فى الخلاف الدواهيا

شهيد العلا لا زال صوتك بيننا  
يُهبُّ بنا: هذا بناء أقمته  
يصيح بنا: لاتشعروا الناس أننى  
يناشدنا بالله ألا تَفَرِّقُوا  
فَرُّوحى من هذا المقام مطلَّة  
فلا تحزنوها بالخلاف فإنى

\* \* \*

على العهد مادمنّا فتم أنت هانيا  
وصوتك مسموعٌ وإن كنت نائيا

أجل أيها الداعى إلى الخير إننا  
بناؤك محفوظ وطيفك مائلٌ

(٤) ساهدًا: ساهرا.

(٥) تشارفكم أى تنظر إليكم من علو.

(١) التأسي بمعنى الصبر.

(٢) يريد الإنجليز.

(٣) عليك: أى عليك الحزن.

عَهْدُناكَ لا تَبْكِي وَتُتَكَرَّ أَنْ يُرَى  
فَرَحُصْ لَنَا الْيَوْمَ الْبُكَاءَ وَفِي غَدٍ  
فِيانِيلُ إِنْ لَمْ تَجْرِ بَعْدَ وَفَاتِهِ  
وَيَا (مِصْرَ) إِنْ لَمْ تَحْفَظِي ذِكْرَ عَهْدِهِ  
وَيَا أَهْلَ (مِصْرَ) إِنْ جَهِلْتُمْ مِصَابِكُمْ  
أَخُو الْبَأْسِ فِي بَعْضِ الْمِوَاطِنِ بِاَكِيَا  
تَرَانَا كَمَا تَهْوَى جِبَالًا رِوَاسِيَا  
دَمًّا أَحْمَرًا لَا كُنْتَ يَانِيلُ جَارِيَا  
إِلَى الْحَشْرِ لَا زَالَ انْحِلَالُكَ بِاقِيَا  
ثِقُوا أَنْ نَجْمَ السَّعْدِ قَدْ غَارَ هَاوِيَا

\* \* \*

ثَلَاثُونَ عَامًا<sup>(١)</sup> بَلْ ثَلَاثُونَ دَرَّةً  
سَتَشْهَدُ فِي التَّارِيخِ أَنَّكَ لَمْ تَكُنْ  
بَجِيدَ اللَّيَالِي سَاطِعَاتٍ زَوَاهِيَا  
فَتَى مَفْرَدًا بَلْ كُنْتَ جَيْشًا مَغَازِيَا

### قصيدته في حفلة الأربعين

وله في رثاء مصطفى قصيدة أخرى ألقاها في حفلة الأربعين قال:

نَثَرُوا عَلَيْكَ نِوَادِي الْأَزْهَارِ<sup>(٢)</sup>  
زَيْنَ الشَّبَابِ وَزَيْنَ طُلُوبِ الْعُلَا  
غَادَرْتَنَا وَالْحَادِثَاتُ بِمِرْصَدِ  
مَا كَانَ أَحْوجْنَا إِلَيْكَ إِذَا عَدَا  
أَيْنَ الْخَطِيبِ وَأَيْنَ خَلَابُ النُّهْيِ؟  
بِاللَّهِ مَالِكَ لَا تَجِيبُ مَنَادِيَا  
قُمْ وَامْحُ مَآخِطُتْ يَمِينِ (كِرُومِرِ)  
قَدْ كُنْتَ تَغْضَبُ لِلْكِنَانَةِ كُلِّهَا  
غَضَبَ التَّقْيِ لِرَبِّهِ وَكِتَابِهِ  
قَدْ ضَاقَ جِسْمُكَ عَنْ مَدَاكَ فَلَمْ يُطِيقْ  
أُودِيَ بِهِ ذَاكَ الْجَهَادُ وَهَدَّهْ  
لِعَبْتِ يَمِينِكَ بِالْإِرَاعِ فَأَعْجَزَتْ  
وَجَرِيَّتَ لِلْعُلِيَاءِ تَبْغَى شَأُوهَا

وَأَتَيْتُ أَنْثَرَ بَيْنَهُمْ أَشْعَارِي  
هَلْ أَنْتَ بِالْمُهْجِ الْحَزِينَةِ دَارِي؟  
وَالْعَيْشُ عَيْشُ مَذَلَّةٍ وَإِسَارِ  
عَادِ وَصَاحِ الصَّائِحُونَ: بَدَارِ  
طَالَ انْتِظَارُ السَّمْعِ وَالْأَبْصَارِ  
مَاذَا أَصَابَكَ يَا أَبَا الْمَغْوَارِ؟  
جَهْلًا بِدِينِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ  
هَمَّتْ وَهَمَّ رَجَاؤُهَا بِعِثَارِ  
أَوْ غَضَبَتِ (الْفَارُوقُ لِلْمَخْتَارِ)<sup>(٣)</sup>  
صَبْرًا عَلَيْكَ وَأَنْتَ شُعْلَةُ نَارِ  
عَزَمْتُ يَهْدُ جَلَاتِلِ الْأَخْطَارِ  
لَعِبَ الْفُؤَارِسُ بِالْقَنَا الْخَطَّارِ<sup>(٤)</sup>  
بَدَرْتُ إِلَيْهِ غَوَائِلَ الْأَقْدَارِ؟

\* \* \*

(١) إشارة إلى عمر الفقيه وهو رقم تقريبي لأنه توفي في الرابعة والثلاثين من عمره.

(٢) نوادي الأزهار: أي الرطبة المبللة بالندى.

(٣) الفاروق: عمر بن الخطاب، والمختار: النبي عليه الصلاة والسلام.

(٤) القنا: الرماح.

عَزَّ الْقَرَارُ عَلَى لَيْلَةٍ نَعِيهِ  
وَتَسَابَقَتْ فِيهِ النَّعَاءُ فُطَائِرُ  
شَاهَدْتُ يَوْمَ الْحَشْرِ يَوْمَ وَفَاتِهِ  
وَرَأَيْتُ كَيْفَ تَفَى الشُّعُوبُ رَجَالَهَا  
تَسْعُونَ أَلْفًا حَوْلَ نَعْشِكَ خُشْعُ  
خَطَاوَا بِأَدْمَعِهِمْ عَلَى وَجْهِ الثَّرَى  
أَنَا يُوَالُونَ الضَّجِيجُ كَأَنَّهُمْ  
وَتَحَاهُمُ أَنَا لِفَرْطِ خُشُوعِهِمْ  
غَلَبَ الْخُشُوعُ عَلَيْهِمْ فَدَمَوْعِهِمْ  
قَدْ كُنْتُ تَحْتَ دَمُوعِهِمْ وَزَفِيرِهِمْ  
أَسْعَى فَيَأْخُذْنِي اللَّهْبُ فَأَنْثَى  
لَوْلَمْ أَلْذُ بِالنَّعْشِ أَوْ بِظِلَالِهِ

\*\*\*

كَمْ ذَاتُ خَدِرٍ يَوْمَ طَافَ بِكَ الرَّدَى  
سَفَرْتُ تَوَدُّعَ أُمَّةٍ مَحْمُولَةٍ  
أُمِنْتُ عَيُونَ النَّاطِرِينَ فَمَزَّقْتُ  
قَدْ قَامَ مَا بَيْنَ الْعَيُونِ وَبَيْنَهَا

\*\*\*

أُدرِجَتْ فِي الْعَلَمِ الَّذِي أَصْفَيْتَهُ  
عَلِمَانٌ<sup>(٤)</sup> مِنْ فَوْقِ الرُّؤْسِ كِلَاهُمَا  
نَادَاهُمَا دَاعِي الْفِرَاقِ فَأُتْسِيَا  
تَالَهُ مَا جَزَعَ الْمَحَبَّ وَلَا بَكِي  
جَزَعَ (الْهَلَالِ) عَلَيْكَ يَوْمَ تَرَكْتَهُ  
مُتَلَفَّتَا مُتَحَيِّرًا مُتَخَيِّرًا  
إِنَّ الثَّلَاثِينَ الَّتِي بِكَ فَاخَرْتُ

وشهدتُ موكبه فقرّر قرارى<sup>(١)</sup>  
بالكهرباء وطائرٌ ببخار  
وعلمتُ منه مراتبَ الأقدار  
حقَّ الولاءِ وواجبَ الإكبار  
يمشون تحت (لوائك) السيّار  
للحزن أسطارًا على أسطار  
ركب الحجيّج بكعبة الزّوار  
عند المصلّي ينصتون لقارى  
تجرى بلا كلج<sup>(٢)</sup> ولا استنتار  
ما بين سيل دافقٍ وشّرار  
فيصدني متدفق التّيار  
لقضيتُ بين مراجيلٍ وبخار

هتكتُ عليك حرائرَ الأستار  
في النعش لا خبرًا من الأخبار  
وجه الخمار فلم تَلْذُ بخمار<sup>(٣)</sup>  
سترٌ من الأحزان والأكدار

منك الوداد فكان خيرَ شعار  
في طيّبة يسلم من الأسرار  
يتعانقان على شفير هارى  
لِنَوَى مَرُوعَةٍ وَبَعْدَ مَزَارٍ  
ما بين حَرٍّ أَسَى وَحَرٍّ أَوَارٍ<sup>(٥)</sup>  
رجلا يناضل عنه يوم فخار  
باتت تُقاس بأطول الأعمار

(١) أى استقرت نفسه بعد أن شهد وفاء الأمة للفقيد في موكب الجنازة.

(٢) الكلج العبوس أى تجرى الدموع بطبيعتها بلا عبوس.

(٣) الخمار: الحجاب.

(٤) يريد بالعلمين الفقيد فهو علم الوطنية والثانى علم الوطن.

(٥) الأسى: الحزن؛ والأوار: الظلم والتعطش، أى التعطش إلى الفقيد.

ضمتُ إلى التاريخ بضَع صحائف  
شَبَّهْتُهُنَّ بنقطة عِطرية  
خَلَفْتُهَا كالمشْق يحذو حَذُوهَا  
ماذا على السارى وَهْنٌ<sup>(٢)</sup> منائرُ  
بيضاء مثل صحائف الأبرار  
وسعت محصل روضةٍ مِعْطَار<sup>(١)</sup>  
راجى الوصول ومقتفى الآثار  
لو سار بين مجاهل وقفار

\* \* \*

مازلت تختارُ المواقفَ وعُرة  
وهدمت سوراً قد أجاد بناءه  
ووصلت بين شكاتنا ومشايخ  
كشفوا الغطاء عن العيون فأبصروا  
نبذوا كلام (اللورد) حين تبيينوا  
ورماهم بمجلدين<sup>(٥)</sup> رَمَوْهُمَا  
حتى وقفت لذلك الجبَّار<sup>(٣)</sup>  
فرعون<sup>(٤)</sup> ذو الأوتاد والأنهار  
في (البرلمان) أَجَلَةً أخيار  
ما في الكنانة من أذى وضرار  
حَنَقَ المغيظ ولهجة الثرثار  
في رتبة الأصفار لا الأسفار

\* \* \*

وأها على تلك المواقف إنها  
لم يَلُوه عنها الوعيدُ ولا ثنى  
فاهناً بمنزلك الجديد ونم به  
واستقبل الأجرَ الكبير جزاء ما  
نعمَ الجزاء ونعم ما بلغته  
كانت مواقف ليت غاب ضارى  
من عزمه قولُ المريب: حذار  
في غبطةٍ وانعم بخير جوار  
ضَحَّيتَ للأوطان من أوطار  
في منزليك<sup>(٦)</sup> ونعم عقبى الدار

### قصيدته في الذكرى الأولى للفقيد

وله قصيدة ثالثة ألقاها عند قبره يوم ١١ فبراير سنة ١٩٠٩ في الاحتفال بإحياء ذكره  
الأولى، وهى من أبلغ روائع الشعر العربى، قال:

طوفوا بأركان هذا القبر واستلموا<sup>(٧)</sup> واقضوا هنالك ما تقضى به الذمم

(١) الروضة المعطار: هى الكثيرة الأزهار والرياحين.

(٢) هن إشارة إلى الثلاثين عاماً: أى ماذا على السارى فى المجاهل والقفار إذا اعتدى بنور هذه الأعلام.

(٣) اللورد كرومر.

(٤) شبه كرومر بفرعون.

(٥) يريد بالمجلدين كتاب مصر الحديثة للورد كرومر.

(٦) أى الدنيا والآخرة.

(٧) استلم القبر: قبله أو لمسه بيده.

ضاقَت بِأَمَالِهِ الْإِقْدَارُ وَالْهَمَمُ  
فِي الشَّرْقِ فَجَزُّ تَحِيٍّ ضَوْءِ الْأُمَمِ  
نَثْرًا تَسِيرُ بِهِ الْأَمْثَالُ وَالْحِكْمُ  
لِطَالِبِ الْحَقِّ رُكْنًا لَيْسَ يَنْهَدُمُ  
حَامِي الذُّمَارِ هُنَا الشُّهُمُ الَّذِي عَلِمُوا

هَنَا جَنَانُ تَعَالَى اللَّهِ بَارئِهِ  
هَنَا قَمٌّ وَبِنَانُ لَاحَ بَيْنَهَا  
هَنَا قَمٌّ وَبِنَانُ طَالَمَا نَتَرَا  
هَنَا الْكَيْمَى<sup>(١)</sup> الَّذِي شَادَتْ عَزَائِمُهُ  
هَنَا الشَّهِيدُ هَنَا رَبُّ اللِّوَاءِ هَنَا

\*\*\*

لَيَهْنَكَ النَّوْمُ لَا هَمُّ وَلَا سَقَمُ  
عَنْكَ الْمَنَابِرُ وَالْقُرْطَاسُ وَالْقَلَمُ  
إِلَّا أَيْ ذَكْيُ الْقَلْبِ مَضْطَرَمُ  
آثَارِهِ عَمَمُ آمَالِهِ أُمَمُ

يَا أَيُّهَا النَّائِمُ الْهَانِي بِمَضْجَعِهِ  
بَاتَتْ تَسَائِلُنَا فِي كُلِّ نَازِلَةٍ  
تَرَكْتَ فِينَا فِرَاقًا لَيْسَ يَشْغَلُهُ  
مَنْفَرَةُ النَّوْمِ<sup>(٢)</sup> سَبَاقُ لَغَايَتِهِ

\*\*\*

رُوحًا يَحْفُ بِهَا الْإِكْبَارُ وَالْعَظَمُ  
أَرَى مُحْيَا يَحْيِينَا وَيَبْتَسِمُ  
هَذَا فَيُ النَّيْلُ هَذَا الْمُفْرَدُ الْعَلَمُ  
مِنَ الْقُلُوبِ إِذَا لَمْ تُسْعِدْ<sup>(٣)</sup> الْكَلَمُ  
فَنَحْنُ فِي مَوْقِفٍ يَحْلُو بِهِ الْقَسَمُ

إِنِّي أَرَى وَفَوَادِي لَيْسَ يَكْذِبُنِي  
أَرَى جِلَالًا أَرَى نُورًا أَرَى مَلَكًا  
اللَّهُ أَكْبَرُ هَذَا الْوَجْهَ أَعْرِفُهُ  
غَضُّوا الْعَيُونَ وَحَيَّوهُ تَحِيَّتَهُ  
رَأَقِيسُوا أَنْ تَذُودُوا عَنْ مِبَادِيهِ

\*\*\*

لَمَّا سَكَنْتَ وَلَمَّا غَالَكَ الْعَدَمُ  
وَنَسْتَمِدُّ وَنَسْتَعْدِي<sup>(٤)</sup> وَنَحْتَكِمُ  
عَفُّ الْجَفَاءِ<sup>(٥)</sup> وَأَعْلَى صَوْتِنَا الْأَلَمُ  
إِنْ الضَّعِيفُ عَلَى الْحَالِينَ مُتْهِمُ  
وَاللَّهُ يَعْلَمُ أَنَّ الظَّالِمِينَ هُمُ  
إِنْ نَطَقْنَا تَنَادَوْا: فَتَنَةُ عَمَمُ

لَبِيكَ نَحْنُ الْأَوَّلَى حَرَكْتَ أَنْفُسَهُمْ  
جَنْنَا نُؤَدِي حَسَابًا عَنْ مَوَاقِفِنَا  
قِيلَ اسْكُتُوا فَسَكْتْنَا ثُمَّ أَنْطَقْنَا  
قَدْ أَتْهِمْنَا وَلَمَّا نَطْلُبُ جِلَالًا  
قَالُوا لَقَدْ ظَلَمُوا بِالْحَقِّ أَنْفُسَهُمْ  
إِذَا سَكْتْنَا تَنَاجَوْا: تِلْكَ عَادَتُهُمْ

\*\*\*

(٤) نَسْتَمِدُّ: نَطْلُبُ الْمَدَدَ وَنَسْتَعْدِي: نَسْتَنْصِرُ.

(٥) يَرِيدُ بِالْجَفَاءِ الْمُحْتَلِينَ الْجَنَانَةَ.

(١) الشَّجَاعُ.

(٢) مَنْفَرَةُ النَّوْمِ أَيْ مَسْهَدُ.

(٣) أَسْعَدَهُ: أَعَانَهُ.

قد مرَّ عامٌ بنا والأمرُ يحزُّبنا<sup>(١)</sup>  
فالناس في شدَّةٍ والدَّهرُ في كلبٍ<sup>(٢)</sup>  
وللسياسةِ فيناكلُ آونةً  
بيننا نرى جمرها تخشى ملامسهُ  
تصغى لأصواتنا طوراً لتخدعنا  
فمن ملاينةٍ استأرَّها خدعُ

أنا وآونةٌ ننتابنا النقم  
والعيشُ قد حارَّ فيه الحاذقُ الفهم  
لونٌ جديدٌ وعهدٌ ليس يُحترم  
إذا به عند لَسِ المصطفى فحُمُ  
وتارةٌ يزدهيها الكبرُ والصَّم  
إلى مصالبةٍ استأرَّها وهم

\* \* \*

ماذا يريدون<sup>(٣)</sup>؟ لا قرَّت عيونهم  
كم إمةٌ رغبَتْ فيها فما رسخت  
ما كان ربك ربُّ البيت تاركها

إن الكنانة لا يُطوى لها عَلم  
لها - على حو لها<sup>(٤)</sup> - في أرضها قدم  
وهي التي بحبالٍ منه تعصم

\* \* \* حث

لبيك إنا على ما كنت تعهده  
فيعلم النيل أنا خيرٌ من وَرَدوا

حتى نسود وحتى تشهد الأمم  
ويستطيل اختيالاً ذلك الهرم

إلى أن قال:

يا أيها النشء سيروا في طريقته  
فكلكم (مصطفى) لوسار سيرته  
قد كان لاوائياً يوماً ولا وِكلاً<sup>(٦)</sup>  
وأنت يا قبر قد جننا على ظمياً  
أين الشباب الذي أودعتْ نصرته  
وما صنعت بآمالٍ لنا طُويت  
ألا جوابٌ يروى من جوانحنا؟

وثابروا: رضى الأعداءُ أو نقموا  
وكلكم (كامل) لوجازه<sup>(٥)</sup> السَّام  
يستقبل الخطب بسَّاماً ويقتحم  
فجد لنا بجوابٍ جادك الدِّيم<sup>(٧)</sup>  
أين الخلال - رعاك الله - والشيم؟  
يا قبر فيك وعفى رسمها القدم؟  
ما للقبور إذا ما نوديت تَجْم<sup>(٨)</sup>؟

(١) حزه الأمر: اشتد عليه.

(٢) الكلب الشدة.

(٣) يريد المحتلين.

(٤) الحول: القوة.

(٥) جازه: أى جازه.

(٦) الوكل: العاجز الذى يكل الأمر إلى غيره.

(٧) الديم جمع ديمة السحاب.

(٨) وجم يجم سكت عن الهم.

ثم أنت يكفيك ما عانيت من تعب  
هذا (لواؤك) خفاق يظللنا  
فنحن في يقظة والشمل ملتئم  
وذاك شخصك في الأكباد مُرتسم

### تحية العام الهجرى

أعد الشباب في سنة ١٩٠٩ (١٣٢٧ هجرية) احتفالاً كبيراً بالعام الهجرى الجديد تولى الطلبة تنظيمه برعاية نادى المدارس العليا، وكان احتفالاً رائعاً أقيم بدار التمثيل العربى مساء الجمعة غاية ذى الحجة سنة ١٣٢٦ (٢٢ يناير سنة ١٩٠٩) برآسة أحمد بك لطفى، وألقى فيه حافظ قصيدته المشهورة في تحية العام الجديد. قال في مطلعها:

أطلّ على الأكوان والخلق تنظرُ	هلالُ رآه المسلمون فكبروا
تجلّى لهم في صورةٍ زاد حسنُها	على الدهر حُسناً أنها تتكرر
وبشّرهم من وجهه وجبينه	وغرته والناظرين مبشّر
وأذكرهم يوماً <sup>(١)</sup> اغرّ بحجلاً	به توجّ التاريخ والسعدُ مسفر
وهاجر فيه خيرُ داع إلى الهدى	يُخفّ به من قوة الله عسكر
يُماشيهِ جبريلٌ وتسعى وراءه	ملائكةُ ترعى خطاه وتُخفر
يُسراهِ برهان من الله ساطعُ	هدى ويُميناه الكتاب المطهر
فكان على أبواب (مكة) ركبُهُ	وفي (يثرب) <sup>(٢)</sup> أنواره تتفجّر
مضى العام ميمونَ الشهور مباركا	تعدّد آثارُ له وتسطرّ
مضى غيرَ مذموم فإن يذكروا له	هناتٍ فطبع الدهر يصفو ويكدرُ
وإن قيل أودى بالألوف اجابهم	مجيّب لقد أحيا الملايين فانظروا
إذا قيس إحسان امرئٍ بأساءةٍ	فأربى عليها فالإساءة تغفر
ففيه اقام النائمون وقد اتت	عليهم كأهل الكهف في النوم اعصرُ
وفي عالم الإسلام في كل بقعة	له أثر باقٍ وذكرٌ معطر

وبعد أن سرد الحوادث في مختلف البلاد الإسلامية طوال العام المنصرم، عرج على الحركة الوطنية في مصر فحياها أحسن تحية وكان ترجمان الشعر والأدب في تمجيدها وتأييدها، قال:

(١) يريد يوم هجرة الرسول عليه الصلاة والسلام من مكة إلى المدينة.

(٢) المدينة المنورة.

وفيه سرّت في مصر روحٌ جديدةٌ  
خبّتُ زمنًا حتى توهمتُ أنها  
تصدّي فأوراها وهيّهات أن يرى  
مضى زمن التّنويم يا نيل وانقضى  
وقد كان «مرفين» الدهاء مخدراً  
شعرنا بحاجات الحياة فإن وُنت  
شعرنا وأحسننا وباتت نفوسنا  
إذا الله أحيّا أمةً لن يردّها

وحيا الشباب بقوله :

رجال الغد المأمول إنا بحاجة  
رجال الغد المأمول إنا بحاجة  
رجال الغد المأمول إنا بحاجة  
رجال الغد المأمول إنا بحاجة  
رجال الغد المأمول إنا بحاجة  
رجال الغد المأمول لا تتركوا غداً  
رجال الغد المأمول إن بلادكم  
عليكم حقوقٌ للبلاد أجلّها  
قصارى مُنى أوطانكم أن ترى لكم  
فكونوا رجالاً عاملين أعزة

وعرج على حركة المطالبة بالدستور، قال :

وياطلبي (الدستور) لاتسكنوا ولا  
أعدوا له صدر المكان فإنني  
ولاتنطقوا إلا صواباً فإنني  
فما ضاع حق لم ينم عنه أهله

مباركة من غيرة تتشعر  
تجافت عن الإبراء لولا (كرومر)<sup>(١)</sup>  
سيلا إلى إخمادها وهي تنفر  
ففى مصر إيقاظٌ على مصر تسهر  
فأصبح فى أعصابنا يتخدر  
عزائمنّا عن نيلها كيف نُعذّر؟  
من العيش إلا فى ذرا العز تسحر  
إلى الموت قهّار ولا متجبر

إلى قادة تبني وشعبٍ يعمر  
إلى مصلح يدعو وداع يذكر  
إلى عالم يدري وعلمٍ يقرر  
إلى حكمة تملى وكف تحرّر  
إليكم فسدوا النقص فينا وشمروا  
يمر مرور الأمس والعيش أغبر  
تناشدكم بالله أن تتذكروا  
تعهدُ روض العلم فالروض مقفر  
يبدأ تبنتى مجداً ورأساً يفكر  
وصونوا حمى أوطانكم وتحجروا

تبيتوا على يأس ولا تتضجروا  
أراه على أبوابكم يتخطّروا  
أخاف عليكم أن يقال تهوّروا  
ولا ناله فى العالمين مقصّر

(١) خست. خدمت، وتجاغت: تباعدت، وإبراء النار، إشعالها. وكرومر هو المعتمد البريطاني فى ذلك الحين والحاكم المطلق فى مصر وقتئذ، يريد أن فظائع كرومر قد اشعلت روح الكراهية للاحتلال.



لقد ظفر الأتراك عدلا بسؤلهم<sup>(١)</sup> ونحن على الآثار لا شك نظفّر  
هم لهم العام القديم مقدرٌ ونحن لنا العام الجديد مقدر  
وقد قوبلت القصيدة بالتصفيق والإعجاب والحماسة البالغة من الحاضرين، وكان  
إلقاؤه رائعا أخاذاً، ولبت في إلقائه ساعة من الزمان كاملة.

وفي ١٢ يناير سنة ١٩١٠ أقام الشباب أيضا احتفالا فخما بعيد رأس السنة الهجرية  
(١٣٢٨) بمسرح (البيلوت باسك) بشارع عماد الدين، والقي فيه حافظ قصيدة من أبلغ  
شعره، قال في مطلعها يحیی هلال العام الجديد:

لی فیک حین بدّا سنّاک وأشرقّا أملّ سألتُ الله أن يتحققا

ثم ذكر العام الذي مضى وما أصاب مصر فيه من كوارث، قال:

أشرق علينا بالسّعود ولا تكنْ كأخيك مشنوم المنازل أخرقا

إلى أن قال يعنى حرية الصحافة ويذكر ما أصابها من الضغط والاضطهاد:

ورمى على أرض الكنانة جرّمه	بالتأزلات السّود حتى ارهقا
حصّدت مناجله غراس رجائنا	ولو أنها أبقت عليه لأورقا
فتقيّدت فيه (الصحافة) عنوة	ومشى الهوى بين الرعية مُطلقا
وأقى يساوم في (القناة) خديعة	ولو أنها تمت لتّم بها الشّقّا <sup>(٢)</sup>
إن البلية أن تُباع وتُستري	مصرٌ وما فيها وأن لا تنطقا
كانت تواسينا على آلامنا	صحفٌ إذا نزل البلاء وأطبّقا
فإذا دعوتُ الدمع فاستعصى بكت	عنا اسى حتى تغصّ وتشرقا
كانت لنا يوم الشدائد اسهّا	نرمى بها وسوايقا <sup>(٣)</sup> يوم اللقا
كانت صماما للنفوس إذا علت	فيها الهُموم وأوشكت أن تزهقا
كم نفست عن صدر حرٍّ واجد <sup>(٤)</sup>	لولا الصمّام من الأسى لتمزقا

(١) يريد إعلان الدستور في تركيا عام ١٩٠٨.

(٢) يشير إلى مشروع مد امتياز قناة السويس، وقد ظهر في أواخر سنة ١٩٠٩ ورفضته الجمعية العمومية، في أبريل سنة ١٩١٠.

(٣) السوابق من صفات الخيل، أى كانت لنا عدة في الجهاد.

(٤) الواجد: الحزين.

مالي انوح على الصحافة جازعاً  
قصوا حواشيها ووطنوا أنهم  
وأوتوا بحاذقهم<sup>(١)</sup> يكيدها بما  
ماذا ألم بها وماذا أحدقها  
أمنوا صواعقها فكانت أصعقا  
يثنى عزائمها فكانت أحدقا

وقال يخاطب الشباب ويهيب بهم أن يعملوا ليردوا إلى مصر مجدها واستقلالها:

أهلاً بنايتة البلاد ومرحباً  
لا تياسوا أن تستردوا مجدكم  
مدت له الآمال من أفلاكها  
فتجشموا للمجد كل عزيمة  
من رام وصل الشمس حاك خيوطها  
جددت العهد الذي قد أخلقا  
فلرب مغلوب هوى ثم ارتقى  
خيطة الرجاء إلى العلا فتسلقا  
إني رأيت المجد صعب المرتقى  
سبباً إلى آماله وتعلقا

\* \* \*

عارٌ على ابن النيل سباق الوري  
أو كلما قالوا تجمع شملهم  
فتدققوا حُججاً وحوطوا نيلكم  
حملوا علينا بالزمان وصرّفه  
هزّوا مغاريها فهابت بأسهم  
فتعلموا فالعلم مفتاح العلا  
نم استمدوا منه كل قواكم  
وابنو حوائى حوضكم من يقظة  
وزنوا الكلام وسدّوه فليتهم  
وامشوا على حذرٍ فلن طريقكم  
نصبوا لكم فيه الفخاخ وأرصدوا  
الموت في غشيانه وطروقه  
مهما تقلب دهره أن يسبقا  
لعب الشقاق بجمعنا ففترقا  
فلكم أفاض عليكم وتدققا  
فتأنقوا في سلبنا وتأنقا<sup>(٢)</sup>  
يا ويلكم إن لم تهزوا المشرقاً<sup>(٣)</sup>  
لم يبق باباً للسعادة مغلقا  
إن القويّ بكل أرض يُتقى  
سوراً وخطوا من حذارٍ خندقا  
خبّأوا لكم في كل حرفٍ مزلقا  
وعرّ أطاف به الهلاك وحلقا  
للسالكين بكل فج موبقا<sup>(٤)</sup>  
والموت كل الموت ألا يطرقا<sup>(٥)</sup>

(١) يريد بطرس غالى رئيس الوزراء، ولكن الحق أن تبعة ذلك يتحملها الوزراء جميعاً لا بطرس غالى وحده.

(٢) أى حاربنا المحتلون بأحداث الزمان ونوائيه، وتأنق فى الأمر؛ أى بالغ فيه.

(٣) يشير إلى الإنجليز، أى أنهم مدّوا سلطانهم فى دول الغرب، ويدعو المصريين إلى أن يجعلوا مصر هذه المكانة فى الشرق.

(٤) الفج: الطريق، الموبق: الهلاك.

(٥) أى إذا كان فى الإقدام موت فإن فى الاستسلام موتاً أكبر.

فتحينوا فرصَ الحياة كثيرة  
أو فاخلقوها قادرين فإنما  
وتعجلوها بالعزائم والرق  
فرص الحياة خليفة أن تخلقا

### مسألة قناة السويس

في أواخر سنة ١٩٠٩ وأوائل سنة ١٩١٠ شغلت الرأي العام مسألة كبرى تتصل بحياة البلاد الاقتصادية والسياسية، وهي مشروع مدّ الامتياز الممنوح لشركة قناة السويس أربعين عاما أخرى، وقد أثار هذا المشروع سخط الأمة واحتجاجها وطالبت بوقفه وبعرضه على «الجمعية العمومية» قبل البت فيه.

حركت هذه المسألة الهامة رُوح الشعر في نفس حافظ، فنظم في نوفمبر سنة ١٩٠٩ قصيدة من بليغ شعره القومي، وصف فيها الحالة السيئة التي وصلت إليها البلاد، وأيد الحركة الوطنية في مطالبها، وعبر أصدق تعبير عن آلامها وآمالها، قال في مطلعها:

لقد نَصَلَ الدُّجَى فمتى تَنَامُ      أهُمُّ ذَاذَ نَوْمِكَ أَمْ هُيَامُ<sup>(١)</sup>  
إلى أن قال:

أيحمل بالأديب أديب مصر	بكاء الطفل أرهقه الفُطَامُ
ويصرفه الهوى عن ذكر مصر	ومصرٌ في يد الباغى تُضَامُ
عدمتُ يراعى إن كان ما بي	هوى بين الضلوع له ضِرامُ
وما أنا والغرامُ وشابَ رأسى	وغال شبابي الخطبُ الجسامُ
وربّاني الذى ربّى (البیدَا)	فعلمنى الذى جهل الأنام <sup>(٢)</sup>
لعمرك ما أرقّتُ لغير مصرٍ	ومالى دونها أمل يرامُ
ذكرت جلالها أيام كانت	تصول بها الفراعنة العظامُ
وأيام الرجال بها رجالٌ	وأيام الزمانُ لها غلامُ
فأقلق مضجعى ما بات فيها	وباتت مصر فيه فهل ألام؟

وأهاب بالشعب أن يدع التواكل والتخاذل والانقسام قال:

(١) الدجى: ظلام الليل.

(٢) لبید، هو الشاعر العربى صاحب المعلقة التى أولها:

عفت الديار محلها فرسومها

أرى شعباً بِمَدْرَجَةِ العوادي  
إذا ما مرَّ بالبأساء عام  
سرى داء التواكل فيه حتى  
قد استعصى على الحكماء منا  
هلاك الفرد منشؤه تَوَانٍ  
وإنّا قد وَنَيْنَا وانقسمنا  
فساء مُقَامُنَا في أرض مصر  
فلا عجبٌ إذا مُلِكت علينا

تَمَخَّخَ عَظْمَهُ دَاءٌ عُقَامٌ<sup>(١)</sup>  
أطل عليه بالبأساء عام  
تَخَطَّفَ رِزْقَهُ ذَاكَ الزَحَامُ<sup>(٢)</sup>  
كما اسنصى على الطب الجُذَام  
وموت الشعب منشؤه انقسام  
فلا سعىً هناك ولا وئام  
وطاب لغيرنا فيها المُقَام  
مذاهبنّا وأكثرنّا نيام

وناجي الأمير حسين كامل وكان رئيساً لمجلس شورى القوانين أن يث روح الحياة  
والتضامن في نفوس أعضاء مجلس الشورى والجمعية العمومية، وناشدهم ألا يثقوا بوعود  
الاحتلال، قال :

(حسينُ. حسينُ) أنت لنا فَنَبِّهْ  
وكن - بأبيك - لابن أخيك عَوْنًا  
أَفِضْ في قاعة الشورى وئامًا  
وعَلِّمهم مصادمة الأعداى  
ففى (حزب اليمين) لديك قومٌ  
وفى (حزب الشمال) لديك أَسَدٌ  
فكونوا للبلاد ولا يَفْتَكُم  
فما سادوا بمعجزة علينا  
فلا تَثَقُّوا بوعود القوم يوما  
وخافوهم إذا لانوا فإِنّى  
فكم ضحك (العميد) على لحانا

رجالا عن طِلاب الحق ناموا  
فأنت بكفه نَعَمَ الحسام  
فقد أودى بنا وبها الخِصام  
فمثلك لا يُرَوِّعه الصدام  
وإن قُلوا فإنهم كرام  
كُماةٌ لا يطيب لها انهزام  
من النهزات والفرص اغتنم  
ولكنْ في صفوفهم انضمام  
فإن سَحَابَ ساستهم جَهَامٌ<sup>(٣)</sup>  
أرى السُّوَّاس ليس لهم ذِمَامٌ<sup>(٤)</sup>  
وغر سراتنا منه ابتسام

(١) المدرجة: الطريق، والوادي: النواذب، وتمخخ العظم: إذا أخرج مخد.

(٢) أى مزاحمة الأجانب للمصريين.

(٣) السحاب الجهم: الذى لا ماء فيه.

(٤) الذمام: الذمة والعهد.

ونادى بالدستور وندد بمشروع مد امتياز القناة، قال:

ليس العلمُ يسكننا وحيثاً	إذا لم ينصر العلمُ اعتزام
وإن لم يدرك (الدستور) مصرًا	فما لحياتها ابدا قوام
حمونا ورد النيل عذباً	وقالوا: انه موت زوام
وما الموت الزوام إذا عقلنا	سوى (الشركات) حل لها الحرام
لقد سعدت بغفلتنا فراحنا	بشروتنا وأولها (الترام)

\*\*\*

فيا ويل (القناة) اذل احتواها	بنو (التاميز) وانحسر اللثام
لقد بقيت من الدنيا حطاماً	بأيدينا وقد عَزَّ الحطام
وقد كنا جعلناها زماماً	فواللهي اذا قُطع الزمام!

\*\*\*

فيا (قصر الدبارة) لست أدري	احربُ في جرابك أم سلام؟
أجنبنا هل يُراد بنا وراء	فنقضي أم يراد بنا أمام؟
ويا (حزب اليمين) إليك عنا	لقد طاشت نبالك والسهام
ويا (حزب الشمال) عليك منا	ومن ابناه نجدتك السلام

وقد اضطرت الوزارة تحت ضغط الرأي العام إلى عرض المشروع على الجمعية العمومية التي قررت رفضه، وبذلك حبط المشروع.

### تنديده بالكولونل روزفلت

جاء الكولونل تيودور روزفلت الرئيس الأسبق لجمهورية الولايات المتحدة إلى مصر عن طريق السودان في مارس سنة ١٩١٠، وألقى بالخرطوم خطبة سياسية مجد فيها الاحتلال البريطاني، ودعا إلى الخضوع لحكمه، ولما وصل إلى القاهرة ألقى بالجامعة المصرية خطبة أخرى أشد وطأة من خطبته، بالخرطوم، وقد أثارت خطبته احتجاج الرأي العام، وشارك حافظ الأمة في سخطها على روزفلت، ونظم قصيدة عصماء لاه فيها على إطرانه الاحتلال، نشرها قبيل إلقاء خطبته الثانية بالقاهرة، قال.

أئى خطيب الدنيا شنفُ سَمِعَ مصر بقولك المأثور

إنما شوقها لقولك يا (روز)  
قِفْ غَدًا أيها الرئيس وعَلِّمْ  
وأخبر الناس كيف سدتهم على الننا  
وملكتم أعنة الريح والمنا  
قِفْ وَعَدِّدْ مآثر العلم واذكر  
وإذا ما ذكرت أنعمه الكب

فلت) شوق الأسير للتحرير  
أهل مصر حرية التعبير  
س وجئتم بمعجزات الدهور  
ء ودستهم على قارب العصور  
نعم الله ذكر عبد شكور  
رى فلا تنس نعمة (الدستور)

\*\*\*

يا نصير الضعيف مالك تطرى  
لم تطيقوا جوارهم بل اقمتم  
أنت تطريهم وتثنى عليهم  
ليت شعري أكنت تدعو إليهم  
يوم كانوا قذى بعين (نيويور  
يوم نادى (واسنجتون) فلما  
يوم سجلتم على صفحات الده  
ووثبتم إلى الحياة ثوبا  
إنما النيل والمسيبي<sup>(٣)</sup> صنوا  
وعجيب أن يفوز هذا بإطلا  
يانصير الضعيف حُبب إليهم  
فعلهم أن يهجروا وعلى المص

خطة القوم<sup>(١)</sup> بعد ذاك النكير  
في حماكم من دونهم ألف سور  
نائبًا آمنًا وراء البحور  
يوم كانوا على تخوم التغور  
ك) وداء مستحکمًا في الصدور  
ه من الغيل كل ليث هصور<sup>(٢)</sup>  
ر تاريخ مجدكم بالنور  
ونفضتم عنكم غبار القبور  
ن هما حليتان للمعمور  
ق وهذا في ذلة المأسور  
هجر مصر<sup>(٤)</sup> تفز بأجر كبير  
رى ذكر المتيم المهجور

### رثاؤه لمحمد فريد

نظم حافظ في رثاء محمد فريد قصيدة من غرر شعره ألقاها بصوته الجمهورى في حفلة التأبين  
التي أقامها الحزب الوطنى يوم الأربعين لوفاته (١٩ ديسمبر سنة ١٩١٩)، فهزت مشاعر

(٣) هو النهر المشهور بأمريكا  
(٤) أى الجلاء عنها.

(١) يقصد الإنجليز.  
(٢) الغيل: موضع الأسد

السامعين والمواطنين لما حوته من المعاني الرائعة والتقدير البالغ للزعيم الراحل، قال:

مَنْ لِيَوْمٍ نَحْنُ فِيهِ مَنْ لَعْدُ؟      مات ذو العزيمة والرأى الأسد  
حَلَّ (بالجمعة) حزنٌ وأسى      ومشى الوجد الى (يوم الأحد)<sup>(١)</sup>  
وبدا شِعْرى على قرطاسه      لَوْعَةً سالت على دمع جمد

\* \* \*

أَيُّهَا النِيلَ لَقَدْ جَلَّ الْأَسَى      كُنْ مِدَاداً لِي إِذَا الدَّمْعُ نَفَدَ  
وَأَذْبَلِي يَازَهْرَةَ الرُّوضِ وَلَا      تَبْسُمِي لِلطَّلِّ فَالْعَيْشُ نَكَدَ  
وَالزَّمِ التُّوْحَ أَيَّاطِيرُ وَلَا      تَبْتَهَجِ بِالشَّدْوِ فَالشَّدْوُ حَدَدُ<sup>(٢)</sup>  
فَلَقَدْ وَلَّى (فَرِيدُ) وَانطوى      ركن مصرٍ وفتاها والسُّنْدُ

\* \* \*

خَالِدَ الْأَنَارِ لَا تَخْشِ الْبَلَى      لَيْسَ يَبْلَى مِنْ لَهُ ذِكْرٌ خَلَدَ  
زَرَتْ (بِرْلِينَ) فَنَادَى سَمْتُهَا      نَزَلَتْ شَمْسُ الضُّحَى بِرَجِ الْأَسَدِ  
وَاخْتَفَتْ سَمْسَكَ فِيهَا وَكَذَا      تَخْتَفِي فِي الْغَرْبِ أَقْمَارُ الْأَبَدِ<sup>(٣)</sup>

\* \* \*

يَا غَرِيبَ الدَّارِ وَالْقَبْرِ وَيَا      سَلْوَةَ النَّيْلِ إِذَا مَا الْخَطْبُ جَدَّ  
وَحُسَامًا فَلْ حَدِّثْهُ الرَّدَى      وَشَهَابًا ضَاءَ وَهْنًا وَخَمَدَ  
قَلْ (لِصَبِّ النَّيْلِ)<sup>(٤)</sup> إِنْ لَاقَيْتَهُ      فِي جَوَارِ الدَّائِمِ الْفَرْدِ الصَّمَدِ  
إِنْ مَصْرًا لَاتْنِي عَنْ قَصْدِهَا      رَغْمَ مَا تَلْقَى وَإِنْ طَالَ الْأَمَدُ  
جِئْتُ عَنْهَا أَحْمِلُ الْبُشْرَى إِلَى      (أَوَّلِ الْبَانِينَ)<sup>(٥)</sup> فِي هَذَا الْبَلَدِ  
فَاسْتَرِحْ وَهْنًا وَنَمْ فِي غِبْطَةٍ      قَدْ بَذَرْتَ الْحَبَّ وَالشَّعْبَ حُصَدَ<sup>(٥)</sup>

\* \* \*

(١) كنى بيومى الجمعة والأحد عن المسلمين والمسيحيين.

(٢) الحدد: الحرام الذى لا يحل أن يرتكب.

(٣) كانت وفاة الفقيه فى برلين يوم ١٥ نوفمبر سنة ١٩١٩.

(٤) يريد مصطفى كامل.

(٥) يشير إلى قيام ثورة سنة ١٩١٩.

آثر النيل على أمواله      وقواه وهوأه والولد  
يطلب الخير لمصر وهو في      سُقْوَة أحلى من العيش الرغد  
ضارب في الأرض يبغي مأرباً      كما قاربه عنه ابتعد  
لم يَعْبِهْهُ أَنْ تَجْنَى دهره      رب جِدِّ حاد عن مجراه جَدِّ<sup>(١)</sup>  
يستحم العزم حتى إن بدت      فرصة شدَّ إليها وصمد  
فهو لا يثنى عناناً عن منى      وهو هجيراه (من جد وجد)  
فأياديه إذا ما أنكرت      إنما تنكرها عين الحسد

\* \* \*

فقدت مصر (فريداً) وهى في      موطن يُعَوِّزها فيه المدد  
فقدت مصر (فريداً) وهى في      لهوة الميدان والموت رصد  
فقدت منه خبيراً حُولا<sup>(٢)</sup>      وهى والأيام في أخذ ورد  
لم سكد يُتبعها الدهر به      في ربوع النيل حيّا لم يكد  
ليته عاش قليلاً فترى      شعب مصر عينه كيف اتحد  
وَوَح مصر بل فويحاً للثرى      إنه أبلغ حزناً وأشد  
كم تَمْنَى وتمنى أهله      لو يوارى فيه ذباك الجسد<sup>(٣)</sup>

\* \* \*

لطف نفسى هل (ببرلين) امرؤ      فوق ذاك القبر صلّى وسجد؟  
هل بكت عينُ فروّت تُربّه      هل على أحجاره خَطَّ أحد؟  
ها هنا قبرٌ شهيد في هوى      أمةٍ أيقظها ثم رقد!

### ثورة سنة ١٩١٩

حيا حافظ ثورة ١٩١٩ في قصيدة نظمها عن أول مظاهرة للسيدات قمن بها يوم ١٦ مارس ١٩١٩ احتجاجاً على عسف الإنجليز حيال المظاهرات السابقة وما ارتكبه مع المتظاهرين من

(١) الحد (بالكسر) الاجتهاد، وبالفتح الحظ. والمعنى: رب اجتهاد أخطأ الحظ.

(٢) الحول: الحادق البصير بتحويل الأمور.

(٣) يشير في هذا البيت والبيت الذى سبقه إلى أن جثمان الفقيد ثوى في برلين، وقد نقل إلى مصر في يونية سنة ١٩٢٠.



فظائع القتل والتنكيل، وقد مجد حافظ شعور السيدات المتظاهرات وشجاعتهن، وحمل في قصيدته حملة لاذعة على مسلك الجنود الإنجليز حيالهن، قال:

خَرَجَ الغَوَايِ يَحْتَجِجْنَ وَرُحْتَ أَرْقُبَ جَمْعَهُنَّ	فَإِذَا بَهْنٌ تَحْذَنَ مِنْ
سُودِ النِّيَابِ شِعَارَهُنَّ	فَطَلَعْنَ مِثْلَ كَوَاكِبٍ
يَسْطَعْنَ فِي وَسْطِ الدُّجْنَةِ <sup>(١)</sup>	وَأَخْذَنَ يَجْتَزْنَ الطَّرِيقَ
وَدَارَ «سَعْدٍ» قَصْدَهُنَّ	يَمِشْنَ فِي كَنَفِ الْوَقَا
رَ وَقَدْ أَيْنَ تَعُورُهُنَّ	وَإِذَا بِجَيْشٍ مُقْبِلٍ
وَالْخَيْلِ مُطْلَقَةِ الْأَعْنَةِ	وَإِذَا الْجَنُودُ سَيُوفُهَا
قَدْ صُوبَتْ لِنُحُورِهِنَّ	وَإِذَا الْمَدَافِعُ وَالْبَنَا
دَقَّ وَالصَّوَارِمُ وَالْأَسْنَةُ	وَالْخَيْلُ وَالْفَرَسَانُ قَدْ
ضَرَبَتْ نَاطِقًا حَوْلَهُنَّ	وَالْوَرْدَ وَالرَّيْحَانَ فِي
ذَاكَ النَّهَارِ سِلَاحَهُنَّ	فَتَطَاحَنَ الْجَيْشَانِ سَا
عَاتٍ تَشِيبُ لَهَا الْأَجْنَةُ	فَتَضَعُضُجُ النِّسْوَانُ وَالنُّسُ
وَأَنْ لَيْسَ لِهْنِ مُنَّةٍ <sup>(٢)</sup>	نَمَ انْهَزَمْنَ مَشْتَاتِ الشَّمُ
لِ نَحْوِ قُصُورِهِنَّ	

\*\*\*

رَ بِنَصْرِهِ وَبِكُسْرِهِنَّ!	فَلِيَهْنَا الْجَيْشُ الْفَخْوَ
لَبَسُوا الْبَرَاقِعَ بَيْنَهُنَّ	فَكَأَنَّمَا (الْأَلْمَانُ) قَدْ
بِفِيَا بِمَصْرِ يَقُودُهُنَّ	وَأَتَوْا (بِهَنْدُئِيرَجِ) <sup>(٣)</sup> مُحْتَمَةً
وَأَشْفَقُوا مِنْ كَيْدِهِنَّ!	فَلِذَاكَ خَافُوا بِأَسْهَنَ

وأنشأ قصيدة حيا بها جمعية المرأة الجديدة، وألح فيها إلى بطولة المرأة في ثورة سنة ١٩١٩. قال:

(١) الدجنة: الظلام.

(٢) المنة: القوة.

(٣) المارشال هندنيرج، القائد الشهير في الحرب العالمية الأولى.

إِلَيْكَ يَهْدِي النِّيلُ أَلْفَ تَحِيَّةٍ  
وَيُثْنِي عَلَى أَعْمَالِكُنْ مَوْكَلِي<sup>(١)</sup>  
أَقْمَتُنْ بِالْأَمْسِ الْأَسَاسَ مَبَارَكًا  
صَنَعْتُنْ مَا يُعْبَى الرِّجَالُ صَنِيعُهُ  
مُعْطَرَّةٍ فِي أَسْطَرِ عَطَرَاتِ  
بِإِطْرَاءِ أَهْلِ الْبِرِّ وَالْحَسَنَاتِ  
وَجِئْتُنْ يَوْمَ الْفَتْحِ مُغْتَبَّطَاتِ  
فَزِدْتُنْ فِي الْخَيْرَاتِ وَالْبَرَكَاتِ

\*\*\*

يَقُولُونَ: نِصْفُ النَّاسِ فِي الشَّرْقِ عَاطِلٌ  
وَهَذِي بَنَاتُ النِّيلِ يَعْمَلْنَ لِنَهْيِ  
وَفِي السَّنَةِ السُّودَاءَ كُنْتُنْ قُدُوءَ  
وَقَفْتُنْ فِي وَجْهِ الْخَمِيسِ مُدَجَّجًا  
وَمَا هَالِكُنَّ الرُّمَحَ وَالسَّيْفَ مُصَلَّتَا  
تَعْلَمُ مِنْكُمْ الرِّجَالُ فَأَصْبَحُوا  
نِسَاءً قَضَيْنَ الْعُمَرَ فِي الْحُجَرَاتِ  
زَيْغَرِسُنْ غَرْسَادَانِي الثُّمَرَاتِ  
لَنَا حِينَ سَأَلَ الْمَوْتَ بِالْمَهْجَاتِ  
وَكُنْتُنْ بِالْإِيمَانِ مُعْتَصِمَاتِ  
وَلَا الْمَدْفَعُ الرَّشَاشُ فِي الطَّرْقَاتِ  
عَلَى غَمَرَاتِ الْمَوْتِ أَهْلُ ثَبَاتِ

### مصر تتحدث عن نفسها

قصيدة غراء قالها سنة ١٩٢١ على أثر قطع مفاوضات عدلى - كيرزون، حين سفرت نيات الإنجليز في العدوان على مصر، وقد أشاد فيها بمجد مصر وعظمتها، ثم أشار إليها وهي تستنجد بينها البررة على غدرات الأيام ويهيب بهم أن ينظروا من تليد مجدها إلى المثل الأعلى ليحتذوه، وينعاونوا على التمسك بالحق كاملاً حتى يبلغوه، وقد أجرى الخطاب في القصيدة على لسان مصر لينصت الجميع لصوتها، إذ هي فوق الجميع، وكان عنوان القصيدة حين نشرت (مصر فوق الجميع) وهذه القصيدة أنشدتها سيدة الطرب أم كلثوم من روائع أغانيها:

وَقَفَ الْخَلْقُ يَنْظُرُونَ جَمِيعًا  
وَبِنَاءُ الْأَهْرَامِ فِي سَالَفِ الدَّهْدِ  
أَنَا تَاجُ الْعِلَاءِ فِي مَفْرِقِ<sup>(٢)</sup> الشَّرِّ  
أَيُّ شَيْءٍ فِي الْغَرْبِ قَدْ بَهَرَ النَّاسَ  
كَيْفَ ابْنِي قَوَاعِدَ الْمَجْدِ وَحْدِي  
رَ كَفَوْنِي الْكَلَامِ عِنْدَ التَّحْدِي  
قِ وَدَرَاتِهِ فَرَائِدُ عِقْدِي  
سَ جَمَالًا وَلَمْ يَكُنْ مِنْهُ عِنْدِي؟

(١) موكلي، أى أن النيل قد أنابه عنه في إبلاغه ثناءه عليهن.

(٢) المفرق: وسط الرأس.

فترابى تَبْرُ ونهرى فُراتٌ  
أينما سِرْتُ جَوَلَ عندكم كَرَمٌ  
ورجالي لو أنصفوهم لَسَادُوا  
لو أصابواهم مجالاً لَأَبْدُوا  
أنا إن قَدَّرَ الإلهُ مِمَّا قَى  
وسمائي مَصْقُولَةٌ كالْفِرْنِدِ<sup>(١)</sup>  
عند زَهْرٍ مُدْنَرٍ عند رَنْدِ<sup>(٢)</sup>  
مِنْ كُهُولٍ مِلءِ العُيُونِ ومُرْدِ<sup>(٣)</sup>  
مُعْجَزَاتِ الذِّكَاءِ فى كُلِّ قَصْدِ  
لا تَرَى الشَّرْقَ يَرْفَعُ الرُّأْسَ بَعْدَى

\*\*\*

ما رَمَانِي رَامٍ رَاحَ سَلِيماً  
كَمْ بَغَتْ دَوْلَةٌ عَلَى وَجَارَتْ  
إِنِّى حُرَّةٌ كَسَرْتُ قَيْودى  
مِنْ قَدِيمِ عَنَايَةِ اللَّهِ جُنْدَى  
نَمْ زَالَتْ وَتِلْكَ عُقْبَى التَّعْدَى  
رَغْمَ رُقْبَى الْعِدَا وَقَطَعْتَ قَدَى<sup>(٤)</sup>

\*\*\*

قُلْ لِمَنْ أَنْكُرُوا مَفَاخِرَ قَوْمى  
هَلْ وَقَفْتُمْ بِقِمَّةِ الْهَرَمِ الْأَكْبَرِ  
هَلْ رَأَيْتُمْ تِلْكَ النُّقُوشَ اللَّوَاتِى  
حَالَ لَوْنُ النَّهَارِ مِنْ قَدَمِ الْعَهْدِ  
هَلْ فَهَمْتُمْ أَسْرَارَ مَا كَانَ عِنْدَى  
دَاكِ قُنْ التَّحْنِيطِ قَدْ غَلَبَ الدَّهْدُ  
مِثْلَ مَا أَنْكُرُوا مَآثِرَ وَلَدَى  
بِرِ يَوْمًا فَرَيْتُمْ بَعْضَ جُهْدَى؟<sup>(٥)</sup>  
أَعْجَزْتَ طَوَّقَ صَنْعَةِ الْمُتَحَدَّى؟  
سَدَ وَمَا سَلَّ لَوْنَهَا طُولُ عَهْدِ  
مِنْ عُلُومٍ مَخْبُوءَةٍ طَيَّ بُرْدَى؟  
رَوَّابِلَى الْبَلَى وَأَعْجَزَ نِدَى

\*\*\*

قد عَقَدْتَ الْعَهْدَ مِنْ عَهْدِ فِرْعَوْنَ  
إِنَّ مَجْدَى فى الْأَوَّلِيَّاتِ عَرِيقُ  
أَنَا أُمُّ (التَّشْرِيعِ) قَدْ أَخَذَ الرُّوْ  
وَرِصْدَتُ النُّجُومِ مِنْذُ أَضَاءَتْ  
نَ فَفَى (مِصْرَ) كَانَ أَوَّلُ عَقْدِ  
مَنْ لَهْ مِثْلُ أَوَّلِيَّاتِى وَمَجْدَى؟  
مَا نَ عَنِ الْأَصُولِ فى كُلِّ حَدِّ  
فى سَهَاءِ الدُّجَى فَأَحْكَمْتَ رِصْدَى

(١) الفرات، العذب، والفرند: السيف.

(٢) المندر، أى مختلف الألوان، أو المشرق المتلألئ، والرند: شجر طيب الرائحة.

(٣) مرد: جمع أمرد، وهو الشاب.

(٤) القد: القيد، بقدر منجلد.

(٥) فريتم، أى فرأيتهم.

وَشَدَا (بنتنور<sup>(١)</sup>) فَوقَ رُبُوعِي  
اتراني وقد طَوَيْتَ حَيَاتِي  
أَيُّ شَعْبٍ أَحَقُّ مِنِّي بِعَيْشٍ  
قَبْلَ عَهْدِ الْيُونَانِ أَوْ عَهْدِ (نَجْدِ)  
فِي مَرَّاسٍ لَمْ أَبْلُغِ الْيَوْمَ رُشْدِي؟  
وَارِفِ الظِّلَّ أَخْضَرَ اللَّوْنَ رَغْدِي؟

\* \* \*

أَمِنَ الْعَدْلَ أَنَّهُمْ يَرُدُّونَ الـ  
أَمِنَ الْحَقَّ أَنَّهُمْ يُطْلِقُونَ الـ  
نَصْفُ قَرْنٍ إِلَّا قَلِيلًا أَعَانِي  
نَظَرَ اللَّهِ لِي فَأَرْشِدْ أَبْنَا  
إِنَّمَا الْحَقُّ قُوَّةٌ مِنْ قُوَى الدُّ  
هَاءَ صَفَوْا وَأَنْ يُكَدَّرَ وَيَرْدِي؟  
أَسَدَ مِنْهُمْ وَأَنْ تُقَيَّدَ أَسْدِي؟  
مَا يُعَانِي هَوَانَهُ كُلُّ عَبْدٍ<sup>(٢)</sup>  
نِي فَسَدُّوا إِلَى الْعَلَا أَيْ سَدَّ  
يَا نَ أَمْضَى مِنْ كُلِّ أَيْضَ هِنْدِي

وقال في تمجيد التضحية والصمود والصبر أمام الشدائد:

قَدْ وَعَدْتُ الْعُلَى بِكُلِّ أَيٍّْ  
أَمْهَرُوهَا بِالرُّوحِ فَهِيَ عَرُوسُ  
وَرَدُّوْا بِي مِنْهَا هَلِ الْعَزَّ حَتَّى  
وَارْفَعُوا دَوْلَتِي عَلَى الْعِلْمِ وَالْأَخْـ  
وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ فَالصَّبْرُ إِنْ فَـ  
خُلِقَ الصَّبْرُ وَحْدَهُ نَصَرَ الْقَوِ  
شَهِدُوا حَوْمَةَ الْوَعْدِ بِنُفُوسٍ  
فَمَحَا الصَّبْرُ آيَةَ الْعِلْمِ فِي الْحَرْبِ  
مِنْ رَجَالِي فَأَنْجِزُوا الْيَوْمَ وَعْدِي  
تَسْنَأُ الْمَهْرَ مِنْ عُرُوضٍ وَنَقْدٍ<sup>(٣)</sup>  
يَخْطُبُ النِّجْمُ فِي الْمَجَرَّةِ وَدَى  
لِقَاقٍ فَالْعِلْمُ وَحْدَهُ لَسَ يُحْدَى  
رَقَّ قَوْمًا فَمَا لَهُ مِنْ مَسَدٍ  
مَ وَأَغْنَى عَنْ اخْتِرَاعٍ وَعَدٍ  
صَابِرَاتٍ وَأَوْجِهٍ غَيْرِ رُبْدٍ  
وَأُنْحَى عَلَى الْقَوَى الْأَشَدِّ

وقال يدعو إلى توحيد الكلمة ونبذ الشقاق وكانت البلاد وقتئذ في غمرة من الانقسام:

إِنَّ فِي الْغَرْبِ أَعْيُنًا رَاصِدَاتٍ  
فَوْقَهَا يَجْهَرُ يُرِيهَا خَفَايَا  
فَاتَّقَوْهَا بِجَنَّةٍ مِنْ وَثَامٍ  
كَحَلَّتْهَا الْأَطْمَاعُ فِيكُمْ بِسَهْدٍ  
كُمُ وَيَطْوِي شُعَاعَهُ كُلُّ بُعْدٍ  
غَيْرِ رَثِّ الْعُرَا وَسَعْيٍ وَكَدِّ

(١) ستور: أقدم شاعر عرفه التاريخ وهو مصري، وقبل عهد اليونان الخ، أي قبل سغراء اليونان وشغراء العرب

(٢) يقصد عهد الاحتلال البريطاني.

(٣) تسناً: تكرة.

رُبَّ هَافٍ هَفَا عَلَى غَيْرِ عَمَدٍ  
رَأَى فِيهِ وَعَثْرَةَ الرَّأْيِ تُرِيدِي  
مِنْ خِلَافٍ وَالْخَلْفِ كَالسُّلِّ يُعِيدِي  
فِيُعِيدُ الْجَهْلُ فِيهَا وَيُعِيدِي  
وَيَقُولُ الْقَوِيُّ قَدْ جَدَّ جِدِّي  
جَانِبِيهِ بَعَزَمَةَ الْمُسْتَعِدِّ  
قَدْ قَطَعْنَاهُ بَيْنَ سُهْدٍ وَوَجَدٍ  
وَالْأَمَانِ بَيْنَ جَزَرٍ وَمَدِّ  
وَهُوَ رَمَزُ لَعَهْدِي الْمُسْتَرَدِّ  
فَالْعَالِي مَخْطُوبَةٌ لِلْمُجِدِّ

وَاصْفَحُوا عَنْ هَنَاتٍ مَنْ كَانَ مِنْكُمْ  
نَحْنُ نَجْتَازُ مَوْقِفًا تَعَزُّرُ الْآ  
وَنُعِيرُ الْأَهْوَاءَ حَرْبًا عَوَانًا  
وَنُثِيرُ الْفَوْضَى عَلَى جَانِبِيهِ  
وَيَظُنُّ الْعَوِيُّ أَنَّ لَنَا نِظَامًا  
فَقِفُوا فِيهِ وَقْفَةً الْحَزْمِ وَارْمُوا  
إِنَّا عِنْدَ فَجْرٍ لَيْلٍ طَوِيلٍ  
عَمَرْتَنَا سُودُ الْأَهَاوِيلِ<sup>(١)</sup> فِيهِ  
وَتَجَلَّى ضِيَاؤُهُ بَعْدَ لَيْلٍ  
فَاسْتَبَيْنَا قَصْدَ السَّبِيلِ وَجِدُّوا

### الاستقلال المقيد

قالها عندما أعلن تصريح ٢٨ فبراير سنة ١٩٢٢:

أَجَدَّتِ الْأَيَّامُ أَمْ تَمَزَّحُ؟  
أَمْ ذَاكَ لِلَّهِ بِنَا مَسْرَحُ؟  
فِي حَالِكَ الشُّكِّ فَاسْتَرْوَحُ  
فَأَتْنِي أَنْكُرُ مَا أَلْمَحُ  
إِنْ لَمَّحُوا بِالْقَصْدِ أَوْ صَرَّحُوا  
مَكَانَكُمْ بِالْأَمْسِ لَمْ تَبْرَحُوا  
وَرَاءَهَا الْغَايَةُ وَالْمَطْمَحُ  
هَذَا هُوَ اسْتِقْلَالُكُمْ فَافْرَحُوا  
وَاسْتَوْثِقُوا فِي عَهْدِكُمْ تَرَبَّحُوا  
لِلرَّأْيِ فِيهَا وَالْجَبَا أَفْسَحُوا  
أَلَّا تَرَى عِزَّتَهَا تُجْرَحُ  
فَمِنْهُمْ الْمُخْلِصُ وَالْمُصْلِحُ

أَصْبَحْتُ لَا أَدْرِي عَلَى خَيْرَةٍ  
أَمْ وَقِفٌ لِلْجِدِّ نَجْتَازُهُ  
أَلَمْحُ لاسْتِقْلَالِنَا كَلْعَةً  
وَتَطْمِئِسُ الظُّلُمَةُ آثَارَهَا  
قَدْ حَارَتِ الْأَفْهَامُ فِي أَمْرِهِمْ  
فَقَائِلُ لَا تَعْجَلُوا إِنَّكُمْ  
وَقَائِلُ أَوْيَسَعُ بِهَا خُطْوَةٌ  
وَقَائِلُ أَسْرَفَ فِي قَوْلِهِ:  
إِنْ تَسْأَلُوا الْعَقْلَ يَقُلْ عَاهِدُوا  
وَأَسْأَلُوا دَارًا لِنُؤَابِكُمْ  
وَلْتَذْكُرِ الْأُمَّةُ مِيثَاقَهَا  
وَلْتَنْتَخِبْ صَفْوَةَ أَبْنَائِهَا

(١) الأهوايل جمع أهوال.

وَلْيَتَّقِ اللَّهَ أُولُو أَمْرَهَا      أَنْ يُسَكِّتُوا الْأَصْوَاتَ أَوْ يُرْفَحُوا<sup>(١)</sup>  
 أَوْ تَسْأَلُوا الْقَلْبَ يُقِلَّ حَازِرُوا      وَصَابِرُوا أَعْدَاءَكُمْ تُفْلِحُوا  
 إِنْ أَرَى قَيْدًا فَلَا تَسْلِمُوا      أَيْدِيَكُمْ فَالْقَيْدَ لَا يَسْجَحُ<sup>(٢)</sup>  
 إِنْ هِيَ أَوْهَ مِنْ حَرِيرٍ لَكُمْ      فَهُوَ عَلَى لَيْنٍ بِهِ أَفْذَحُ  
 حَتَّامٌ - وَالصَّبْرُ لَهُ غَايَةٌ -      لَغَيْرِنَا مِنْ بَثْرِنَا نَمْتَحُ؟  
 حَتَّامٌ - وَالْأَمْوَالُ مَشْفُوهَةٌ -<sup>(٣)</sup>      نَمْنَحُ إِلَّا (مِصْرَ) مَا نَمْنَحُ؟  
 حَتَّامٌ يُمِضِي أَمْرَنَا غَيْرِنَا      وَذَاكَ بِالْأَحْرَارِ لَا يَمْلَحُ؟

وعاد يدعو إلى الوحدة والوئام ويستنكر الفرقة والانقسام:

أَسَاءَ بَعْضُ النَّاسِ فِي بَعْضِهِمْ      ظَنَّا وَقَدْ أَمْسَوْا وَقَدْ أَصْبَحُوا  
 فَانْتَهَزَتْ أَعْدَاؤُنَا نَهْرَةً      فِينَا وَمَا كَانَتْ لَهُمْ تَسْنَحُ  
 فَالرَّأْيُ كُلُّ الرَّأْيِ أَنْ تُجْمِعُوا      فَإِنَّمَا إِجْمَاعُكُمْ أَرْجَحُ  
 وَكُلُّ مَنْ يَطْمَعُ فِي صَدْعِكُمْ      فَإِنَّهُ فِي صَخْرَةٍ يَنْطَحُ  
 أَخْشَى إِذَا اسْتَمَثَرْتُمْ بَيْنَكُمْ      مِنْ قَادَةِ الْأَرَاءِ أَنْ تُفْضَحُوا  
 فَلْتَقْصِدُوا مَا اسْتَطَعْتُمْ فِيهِمْ      فَإِنَّمَا فِي الْقَلَّةِ الْمَنْجَحُ

### يستحث المواطنين على التضحية والجهاد

نظم حافظ سنة ١٩٠٤ قصيدة رائعة عن (غادة اليابان) ضرب فيها الأمثال في التضحية والجهاد، وجعلها على لسان غادة وطنية من اليابان وأشاد بشجاعته في الحرب التي شبت بين بلادها والروسيا عام ١٩٠٤، إذ ذهبت متطوعة إلى ميادين القتال تواسى الجرحى، وترعى حقهم قال:

لَاتِلَمْ كَيْفَ إِذَا السَّيْفُ نَبَاً<sup>(٤)</sup>      صَحَّ مِنْي الْعِزُّمُ وَالْدَهْرُ أَبَى  
 رَبِّ سَاعٍ مُبْصِرٍ فِي سَعِيهِ      أَخْطَأُ التَّوْفِيقَ فِيمَا طَلَبَا  
 مَرْحَبًا بِالْخَطْبِ يَلُونِي إِذَا      كَانَتْ الْعِلْيَاءُ فِيهِ السَّبَبَا

(١) يريد تأنيث المواطنين من النفي إلى (رفع) وكانت منذ ثورة سنة ١٩١٩ منفي للأحرار.

(٢) بلين وسهل.

(٣) أى مستنفدة مضیعة.

(٤) نبا السيف: كل وارث.

إيه يادنيا اعبسى أو فابسمى لا أرى برقك إلا خلباً<sup>(١)</sup>

إلى أن قال:

كنتُ أهوى في زمانى غادةً  
حملتُ لى ذات يوم نبأ  
وأنت تخطر والليل فتى  
ثم قالت لى بشعر باسم  
نبأونى برحيل عاجل  
ودعانى موطنى أن أغتدى<sup>(٢)</sup>  
نذبح الدب<sup>(٣)</sup> ونفرى جلده  
وهب الله لها ما وهبها  
لارعاك الله ياذاك النبأ  
وهلال الأفق فى الأفق حباً  
نظم الدر به والحباً  
لا أرى لى بعده مُنقلباً<sup>(٤)</sup>  
علنى أقضى له ما وهبها  
أيظن الدب أن لا يغلباً؟

\*\*\*

قلت والآلام تغرى مهجتي  
ما عهدناها لظبي مسرحة  
ليست الحرب نفوساً تشتري  
أحسبت القد من عُدتها  
فدعيها للذى يعرفها  
ويك! ماتصنع فى الحرب الظبا؟  
يبتغى ملهى به أو ملعباً  
بالتمنى أو عقولا تُستبى  
أم ظننت اللحظ فيها كالشبا<sup>(٥)</sup>  
والزمنى ياطيبة البان الحبا<sup>(٦)</sup>

\*\*\*

فأجابتنى بصوت راعنى  
إن قومى استعذبوا ورد الردى  
أنا يابانية لا أنسى  
أنا إن لم أحسن الرمى ولم  
أخدم الجرحى وأقضى حقهم  
هكذا (الميكاد) قد علمنا  
وأرتنى الظبى ليثاً أغلبا  
كيف تدعونى ألا أشرباً؟  
عن مرادى أو أذوق العطبا  
تستطع كفاى تقلاب الظبا  
وأواسى فى الوغى من نكبا  
أن نرى الأوطان أما وأبا

(٤) الدب: رمز لروسيا.

(٥) الشبا: جمع شبابة وهى حد السيف.

(٦) البان: شجر لين تألفه الظبا، والحبا: البيت.

(١) الرق الخلب الذى ينتظر الناس مطره ويخلفهم.

(٢) المنقلب: العودة.

(٣) أغتدى، أى أبادر مبكرة للدفاع عنه.

ملكٌ يكفيك منه أنه      أنهض الشرق فهزَّ المغرباً  
بعث الأمة من مرقدِها      ودعا للعلا أن تَبدأها  
فَسَمَتَ للمجد تبغى شأوه      وقضت من كل شيء مأرباً

### يَسْتَنهضُ الهمم، ويدعو إلى توحيد الكلمة

قال من قصيدة له سنة ١٩٢٣ يخاطب المواطنين :

ويدُّ الإله مع الجماعة فاضربوا      بعضا الجماعة تَظْفَرُوا بنجاح  
كونوا رجالاً عاملين وكذبوا      -والصبحُ أبلجُ- حامل المصباح<sup>(١)</sup>  
ودعوا التخاذل في الأمور فإئما      شَبَحُ التخاذل أنكرُ الأشباح  
والله ما بلغ الشقاء بنا المدى      بسوى خلافٍ بيننا وتلاحي<sup>(٢)</sup>

\* \* \*

قُم يا ابنَ مصر فأنت حرٌّ واستعد      مجد الجود ولا تُعدِّ لمراح<sup>(٣)</sup>  
شمر وكافح في الحياة فهذه      دُنْيَاكَ دارُ تناحر وكفاح  
وإذا ألح عليك خطبٌ لا تَهَن      واضرب على الإلحاح بالإلحاح  
وخُضِ الحياة وإن تلاطم موجهاً      خوض البحار رياضةُ السباح  
في البحر لا تثنيك نارُ بوارجٍ      في البر لا يلويك غابُ رماح  
وانظر إلى الغربي كيف سَمَتَ به      بين الشعوب طبيعة الكداح

إلى أن قال :

وابنُ الكنانة في الكنانة راكدٌ      يَرْنُو بعينٍ غير ذات طماح  
لا يستغل كما علمت ذكاءه      وذكاؤه كالخاطف اللماح  
فانهض ودع شكوى الزمان ولا تُنح      في فادح البؤسى مع الأنواح  
واربح لمصر برأس مالك عزَّةً      إن الذكاء حُبالة الأرباح  
واشرب من الماء القراح مُنعمًا      فلكم وردت الماء غير قَرَّاح

(١) الإشارة إلى الفيلسوف ديوجنس الذي كان يحمل في رابطة النهار مصباحاً يبحث عن رجل.

(٢) التلاحي: التخاصم.

(٣) يريد بمراح: الأخذ بأسباب المرح واللهو.



## يحذر سعدا من خداع الإنجليز

قال سنة ١٩٢٤ يخاطب سعد زغلول من قصيدة له في تهنته بنجاته من محاولة اغتياله وكان إذ ذاك معترفاً السفر إلى لندن لمفاوضة الحكومة البريطانية في القضية الوطنية:

لا تقرب (التاميز) واحذر ماءه	مهما بدا لك أنه معسول
الكيد ممزوج بأصفي مائه	والقتل <sup>(١)</sup> فيه مُدَوَّب مصقول
كم وارد يا (سعد) قبلك ماءه	قد عاد منه وفي الفؤاد غليل <sup>(٢)</sup>
القوم قد ملكوا عَنَانَ زمانهم	ولهم روايات به وفصول
ولهم أحابيل <sup>(٣)</sup> إذا أَلَقُوا بها	فَنَصُوا النُّهى أَسِيرُهُمْ مخبول
ولكل لفظ في المعاجم عندهم	معنى يقال بأنه معقول
نَصَلَتْ <sup>(٤)</sup> سياستهم وحال صباغها	ولكل كاذبة الخضايب نُصول
جمعوا عقاقير الدواء ورَّكَبُوا	ما ركبوه وعندك التحليل

## حافظ والإنجليز وجهها لوجه

في سنة ١٩٣٢ ساهم الإنجليز مع العناصر الرجعية في إلغاء الحياة الدستورية، وتظاهروا بأنهم على الحياد في هذه المحنة، مع أنهم مدبروها، وقد هاجمهم حافظ بقصائد رائعة نعى فيها عليهم بغيتهم وعدوانهم، وكشف فيها الستار عن حيادهم الكاذب، وطعن على سياسة الاستعمار عامة، وأعاد بحملاته عليهم ذكرى قصائده الوطنية الخالدة التي نظمها في تمجيد الحركة الوطنية ومهاجمته الاحتلال في عهد مصطفى كامل ومحمد فريد.

قال في مارس سنة ١٩٣٢ مخاطباً الإنجليز مندداً بسياسة «الحياد» التي أعلنوها، ناعياً عليهم ظلمهم وإخلافهم وعودهم للأمة:

بَنَيْتُمْ عَلَى الْأَخْلَاقِ آسَاسَ مُلْكِكُمْ	فَكَانَ لَكُمْ بَيْنَ الشُّعُوبِ ذِمَامٌ <sup>(٥)</sup>
فَمَالِي أَرَى الْأَخْلَاقَ قَدْ شَابَ قَرْنُهَا <sup>(٦)</sup>	وَحَلَّ بِهَا ضَعْفٌ وَدَبَّ سِقَامٌ

(١) المختل: الخداع والمكر.  
(٢) الغليل: شدة العطش.  
(٣) الأحابيل: المصايد.  
(٤) نصلت: انكشفت وخرجت من لونها الكاذب إلى لونها الحقيقي. وحال: تحول.  
(٥) الذمام هنا الحق والحرمة.  
(٦) القرن: النوبة من الشعر.

أخاف عليكم عُثْرَةً بعد نهضة  
أَضَعْتُمْ وداداً لو رَعَيْتُمْ عهوده  
أبعد «حيادٍ» لا راعى الله عهدَه  
إذا كان في حسن التفاهم مَوْتُنَا

وقال في هذا المعنى:

لا تَذْكُرُوا الأخلاقَ بعد «حيادكم»  
حاربتمو أخلاقكم لِتَحَارِبُوا

وقال عن (الحياد الكاذب):

قَصَرَ الدُّبَارَةَ قد نقض  
أخفيت ما أضمرتَه  
الحربُ أروحُ للنفو  
ت العهدَ نقض الغاصب  
وأبنت ود الصاحب  
س من «الحياد» الكاذب

وقال مخاطباً السير برسى لورين المندوب السامى البريطانى وقتئذ، مندداً بحياد الإنجليز المصطنع:

ألم تَرَ في الطريق إلى «كياد»<sup>(٢)</sup>  
ألم تلمح دموعَ الناس تجرى  
ألم تخبر بنى «التأميز» عنا  
بأننا قد لمسنا الغدر لمسا  
كشفنا عن نواياكم فلستم  
سنجمع أمرنا فترون منا  
ونأخذ حقنا رغم العوادي  
ضربتم حولَ قادتنا نطقا  
تصيد البَطَّ يؤس العالمينا؟  
من البلوى - ألم تسمع أنينا؟  
وقد بعثوك مندوباً أميناً؟  
وأصبح ظننا فيكم يقيناً  
وقد برح الخفاء محايديننا  
لدى الجلي<sup>(٣)</sup> كراماً صابرينا  
تُطيفَنا ورغم القاسطينا<sup>(٤)</sup>  
من النيران يُععى الدّارعينا

(١) الناعرات: الداميات.

(٢) بركة بمركز فاقوس بالشرقية كان المندوب السامى البريطانى يذهب إليها لصيد الطيور.

(٣) الجلى: النازلة الشديدة.

(٤) القاسطون: الظالمون.

عل رغم المروءة قد ظفرت  
فهل يجديكم الأسطول نفعا  
ولكن بالأسود مصفدينا  
إذا ما نازل الحق المبينا؟

وقال في هذا المعنى (ابريل سنة ١٩٣٢):

### (إلى المحايدين)

أُمْحَايِدُ أُمَّ حَائِدُ	عن منهج الحق المبين؟
نَازَلَتْ شَعْبًا أَعَزَّلَا	بِمَدْرَعَيْنِ مَدَجَّجَيْنِ
وَأَمْنَتْ عَقَبِي الظَّالِمِينَ	وَبُشَّ عَقَبِي الظَّالِمِينَ
مَهْمَا تُصَبُّ مِنَّا فِلَسَا	نَا الْجَازَعِينَ الْيَاسِينَ
إِنَّا بِجَبَّارِ السَّمَاءِ	وَبِالْعَقِيدَةِ نَسْتَعِينِ
إِنَّ الْعَقِيدَةَ لَا تَزَلُ	زَلْهَا حَرَابُ الْغَاصِبِينَ
فَلْتَنِّ مَلَكْتِمَ يَوْمِكُمْ	لَعْدُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ
أَأْمَنْتُمْوْ صَرْفَ الزَّمِ	سَانِ وَفَتْكِهِ بِالْغَاشِمِينَ؟

\*\*\*

كَمْ مِنْ قَوًى هَدَّهْ	كَيْدُ الضَّعِيفِ الْمُسْتَكِينِ
أَوْ لَمْ تَرَوْا مَا ذَاقَهُ	بِالْأَمْسِ ذِيَاكَ السَّجِينِ <sup>(١)</sup> ؟
فِي (سَنْتِ هِيلِينَ) قَضَى	مِنْ دَوَّخِ الدُّنْيَا سَنِينَ
مَنْ كَانَ فِي غَارَاتِهِ	فِي الْكُونِ مَنْقَطَعَ الْقَرِينِ
أَمْسَى أَلَاتَتْهُ الْخُطُوبُ	وَكَانَ صَلْبًا لَا يَلِينُ
أَوْ تَتَقَوْنَ مَصِيرَهُ	أَمْ لَسْتُمْوْ بِالْمُتَّقِينَ؟

\*\*\*

ضُفْنَا بِكَيْدِ مُحَايِدِ	مَنْ لَنَا وَكَيْدِ مَبْشَرِ
ثَارُوا عَلَى دِينِ الْهَدَى	وَتَخَطَّفُولِمْ مِنْهُ الْبَنِينِ
دَاسُوا الْعَرِينَ وَقَدْ خَلَا	مَنْ أَسَدُهُ ذَاكَ الْعَرِينِ

(١) نابليون، وقد مات أسيرا سجيناً في جزيرة سنت هيلين.

الحق دين المسلمين      خسر المبشر، إنَّ دين  
الله حاميه وكافيه      شرور المعتدين

## نحن والإنجليز وجها لوجه

وقال أيضاً:

قل للمحايد هل شهدت دماءنا	تجرى وهل بعد الدماء سلام؟
سفكت مودتنا لكم وبدالنا	أن الحياء على الخصام إثم
إن المراحل شرُّها لا يُتقى	حتى ينفس كريهن صمام
لم يبق فينا من يئى نفسه	بودادكم فودادكم أحلام
أمن السياسة والمروءة أننا	نشقى بكم في أرضنا ونضام؟
<u>إنَّا جعنا للجهاد صفوفنا</u>	<u>سنموت أو نحى ونحن كرام</u>

وقال في أبريل سنة ١٩٣٢ تحت عنوان (إلى الإنجليز)، وهى من أبلغ ما قيل في تحدى القوة الغاشمة والصمود أمام الشدائد مهما عظمت:

حَوِّلُوا النِّيلَ واحجبوا الضوء عنا	واطمسوا النجم واحرمونا النسيب
واملاؤا البحر إن أردتم سفيناً	واملاؤا الجو إن أردتم رُجوما
وأقيموا للعسف في كل شبرٍ	(كونستبلا) بالسوط يَفْرِى الأديماً <sup>(١)</sup>
إننا لن نحول عن عهد مصرٍ	أو ترونا في التراب عظمًا رميما

\*\*\*

عاصفٌ صانٌ مُلككم وحاكم	وكفاكم بالأمس خطباً جسيماً
غال (أرمادة) <sup>(٢)</sup> العدو ففزتم	وبلغتم في الشرق شأوا عظيماً
فعدلتم هنيهةً، وبَغَيْتُم	وتركتُم في النيل عهداً ذميماً
فشهدنا ظلماً يقال له العد	لُ ووداً يسقى الحميم الحميماً <sup>(٣)</sup>
فاتَّقُوا غضبَةَ العواصفِ إلى	قد رأيت المصير أمسى وخيماً

(١) يفرى الأديم أن يشق الجلد.

(٢) الأرمادة هى الأسطول الأسباني الذى تحطم في القرن السادس عشر بعاصفة حالت بينه وبين مهاجمة الأسطول الإنجليزى الذى كان دونه قوة وعددا.

(٣) الحميم الأول الصديق، والحميم الثانى الشراب الشديد الحرارة.

وقال أيضًا (أبريل سنة ١٩٣٢):

لقد طال الحياءُ ولم تكفوا	أما أرضاكم ثمنُ الحياء؟
أخذتم كل ما تبغون منا	فما هذا التحكُّم في العباد؟
بلونا شدَّةً منكم ولينا	فكان كلاهما ذرَّ الرِّماد
وسألتم وعاديتم زمانا	فلم يُغنِ المُسالم والمعادى
فليس وراءكم غير التَّجنى	وليس أماننا غير الجهاد

### وعود الانجليز في الجلاء

وقال في سنة ١٩٣٢ يندد بكاتب فرنسى زعم أن جلاء الإنجليز سيكون في أكتوبر من ذلك العام:

كم حددوا يوم الجلاء الذى	أصبح في الإيهام كالمحشر
وسن قوم الطيش من جهلهم	كذبة (إبريل لأكتوبر)

### حافظ وصدقى باشا

وقال في سنة ١٩٣٢ يندد بسياسة صدقى باشا رئيس الوزارة وقتئذ من قصيدة لم ينشر منها إلا النزر اليسير:

قد مرَّ عامٌ يا سعادٌ وعام	وابنُ الكنانة في حماء يضام
صَبُّوا البلاءَ على العباد فنصفهم	يجبى البلاد ونصفهم حكام
أشكو إلى (قصر الدبارة) ماجتى	(صدقى) الوزير وماجى (علام) <sup>(١)</sup>

ومنها في مخاطبة صدقى باشا:

ودعا عليك الله في محرابه	الشيخُ والقسيسُ والهاخام
لا همَّ أحى ضميره ليدوقها	غصَّصا وتنسف نفسه الآلام

### يكافح الاستعمار ويدعو إلى الفداء

قال في حرب طرابلس (سنة ١٩١١ - ١٩١٢) حين اعتدت إيطاليا على العرب يستحث أمم الشرق أن تنهض وتكافح الاستعمار، ويمجد التضحية في سبيل الحرية:

(١) محمد علام باشا، وكيل حزب الشعب الذى ألفه صدقى باشا. يشير إلى ما كانوا يجبونه من الأموال إعانة لحزب الشعب.

فَاسْتَفِقْ يَا شَرْقُ وَاحْذَرْ أَنْ تَنَامَا !  
كُلٌّ مِنْ يَسْكُنُ فِي الشَّرْقِ السَّلَامَا  
فِي سَبِيلِ الْحَقِّ قَدْ مِتْنَا كِرَامَا  
مِنْ دَمِ الْقَتْلِ حَلَالاً وَحَرَامَا  
فَاعْلُوا<sup>(٢)</sup> مِنْ دَرَارِينَا الْحُسَامَا  
بَذَوَاتِ الْخَدْرِ، طَاحُوا بِالْيَتَامَا  
يَرْحَمُوا طُفْلًا، وَلَمْ يُبْقُوا غُلَامَا  
حَرَمَتْ (لَاهَائِي) فِي الْعَهْدِ احْتِرَامَا  
فَسَلُوهُ : بَارِكِ الْقَوْمَ عِلَامَا ؟  
أَمْرًا يُلْقَى عَلَى الْأَرْضِ سِلَامَا ؟  
وَجَلُّوا عَنْ أَفْقِ الشَّرْقِ الظَّلَامَا  
أَقْسَمْتُ تَلْتَهُمُ الشَّرْقُ التَّهَامَا

تَقْنَطِي الْيَوْمَ فَإِنَّ الْجَدَّ قَامَا  
تُعَشِّقُ الْمَجْدَ، وَتَأْبِي أَنْ تُضَامَا

طَمَعُ أَلْقَى عَنِ الْغَرْبِ اللَّثَامَا  
وَاحْمِلِي أَيْتَهَا الشَّمْسُ إِلَى  
وَاشْهَدِي يَوْمَ التَّنَادِي<sup>(١)</sup> أَنَّنَا  
مَادَتِ الْأَرْضُ بِنَا حِينَ انْتَشَتْ  
عَجَزَ الطَّلِيَانُ عَنْ أَبْطَانِنَا  
كَبَلُوهُمْ، قَتَلُوهُمْ، مَثَلُوا  
ذَبَحُوا الْأَشْيَاخَ وَالزَّمْنَى<sup>(٣)</sup>، وَلَمْ  
أَحْرِقُوا الدُّورَ، اسْتَحْلُوا كُلَّ مَا  
بَارَكَ الْمَطْرَانُ فِي أَعْمَالِهِمْ  
أَبْهَذَا جَاءَهُمْ إِنْجِيلُهُمْ  
كَشَفُوا عَنْ نِيَّةِ الْغَرْبِ لَنَا  
فَقَرَأْنَاهَا سَطُورًا مِنْ دَمٍ

وختم قصيدته بقوله :

فَاطْنِي أُمَمَ الشَّرْقِ وَلَا  
إِنَّ فِي أَضْلَاعِنَا أَفْتَدَا

### تمجيده للشورى

قال في عمريته المشهورة التي أنشأها في سيرة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب :

جَزَاكَ رَبُّكَ خَيْرًا عَنْ مُحِبِّيْهَا  
وَلِلْمَنِيَّةِ آلَامُ تُعَانِيهَا  
إِلَى الْجَمَاعَةِ إِنْذَارًا وَتَنْبِيْهَا  
فَجَرَّدَ السِّيفَ وَاضْرَبَ فِي هَوَادِيهَا  
طَعْمُ الْمَنِيَّةِ مُرًّا عَنْ مَرَامِيهَا

يَا رَافِعًا رَايَةَ الشُّورَى وَحَارِسَهَا  
لَمْ يُلْهِكَ التَّنَزُّعُ عَنْ تَأْيِيدِ دَوْلَتِهَا<sup>(٤)</sup>  
لَمْ أُنْسَ أَمْرَكَ لِلْمَقْدَادِ يَحْمِلُهُ  
إِنْ ظَلَّ بَعْدَ ثَلَاثٍ<sup>(٥)</sup> رَأْيُهَا شُعْبَا  
فَاعْجَبْ لِقُوَّةِ نَفْسٍ لَيْسَ بِصَرْفِهَا

(٤) دولتها، أي دولة الشورى.

(٥) بعد ثلاث، أي بعد ثلاث ليال. والهادي: الأعناق.

(١) يوم القيامة.

(٢) أعلوا أي سقوا.

(٣) الزمنى: ذوو العاهات.

دَرَى عَمِيدُ بَنَى الشُّورَى بِمَوْضِعِهَا      فَعَاشَ مَا عَاشَ بَيْنَهِمَا وَيُعَلِّمُهَا  
وَمَا اسْبَدَّ بِرَأْيٍ فِي حُكُومَتِهِ      إِنَّ الْحُكُومَةَ تُفَرِّى مَسَبِّدُهَا  
رَأَى الْجَمَاعَةَ لَا تَشْقَى الْبِلَادُ بِهِ      رَغْمَ الْخِلَافِ وَرَأَى الْفَرْدَ يُشْقِيهَا

### الاستمرار في الكفاح

قال سنة ١٩٢٤ يدعو إلى الاستمرار في الكفاح:

إِنَّا سَنَعْمَلُ لِلْخِلَاصِ وَلَا نَبْنِي      وَاللَّهِ يَقْضِي بَيْنَنَا وَيُدِيلُ<sup>(١)</sup>  
كَمْ دَوْلَةٍ شَهِدَ الصَّبَاحُ جَلَالَهَا      وَأَتَى عَلَيْهَا اللَّيْلُ وَهِيَ قُلُوبُ  
وَقُصُورِ قَوْمٍ زَاهِرَاتٍ فِي الدُّجَى      طَلَعَتْ عَلَيْهَا الشَّمْسُ وَهِيَ طُلُوبُ

\*\*\*

يَأْيَا النِّشْءَ الْكَرَامَ تَحِيَّةً      كَالرَّوْضِ قَدْ خَطَرَتْ عَلَيْهِ قَبُولُ<sup>(٢)</sup>  
يَا زَهْرَ مِصْرَ وَزَيْنَا وَمُحَامَاتِهَا      مَدْحَى لَكُمْ بَعْدَ الرَّئِيسِ<sup>(٣)</sup> فُضُولُ  
جُدُّتُمْ لَهَا بِالنَّفْسِ فِي وَرْدِ الصَّبَا      وَالْوَرْدُ لَمْ يُنْظَرْ إِلَيْهِ ذُبُولُ  
كَمْ مِنْ سَجِينٍ دُونَهَا وَبِجَاهِدٍ      دُمُهُ عَلَى عَرَصَاتِهَا مَطْلُوبُ  
سِيرُوا عَلَى سَنَنِ الرَّئِيسِ وَحَقَّقُوا      أَمَلِ الْبِلَادِ فَكُلُّكُمْ مَأْمُولُ  
أَنْتُمْ رِجَالٌ غَدٍ وَقَدْ أَوْفَى غَدُ      فَاسْتَقْبِلُوهُ وَحَاجِّلُوهُ وَطُولُوا<sup>(٤)</sup>

### تقريره للمواطنين

وبلغ حثه المواطنين على النهوض ضد التفرغ أحياناً. وله سنة ١٩٠٤ قصيدة ينعى فيها على مواطنيه بعض عيوبهم الاجتماعية، وقد نظمها لمناسبة قضية شخصية تار لها الرأي العام بغير موجب، إذ تزوج صاحب المؤيد المرحوم الشيخ على يوسف بكريمة السيد عبد الخالق السادات، فرفع هذا دعوى أمام المحكمة الشرعية طالباً فسخ عقد الزواج بحجة عدم الكفاءة في النسب، وانحاز الرأي العام إلى جانب المدعى، وأخذ القضاء بوجهة نظره رغم علو مكانة الشيخ على يوسف في الهيئة الاجتماعية، قال حافظ:

(١) يدل، أى يجعل الدولة لنا عليهم.

(٢) القبول؛ ربح الصبا.

(٣) يقصد هنا سعد زغلول.

(٤) حجلوه، أى اجعلوه يوماً أبيض، وطولوا أى افخروا واعتزوا.

حَطَمْتُ الْيِرَاعَ فَلَا تَعْجَبِي  
فَمَا أَنْتِ يَا مَصْرَ دَارَ الْأَدِيبِ  
وَكَمْ فِيكَ يَا مَصْرَ مِنْ كَاتِبٍ  
فَلَا تَعْذِلِينِي لِهَذَا السُّكُوتِ  
أَيَعْجِبُنِي مِنْكَ يَوْمَ (الْوَفَاقِ)<sup>(١)</sup>  
وَكَمْ غَضَبَ النَّاسُ مِنْ قَبْلُنَا

وَعَفْتُ الْبَيَانَ فَلَا تَعْتَبِي  
وَلَا أَنْتِ بِالْبَلَدِ الطَّيِّبِ  
أَقَالَ الْيِرَاعَ وَلَمْ يَكْتُبِ  
فَقَدْ ضَاقَ مِنْكَ مَا ضَاقَ بِي  
سَكُوتَ الْجَمَادِ وَلِعَبُّ الصَّبِيِّ؟  
لَسَلِبِ الْحَقُوقِ وَلَمْ تَغْضَبِ

\*\*\*

أُنَابَتَ الْعَصْرَ إِنَّ الْغَرِيبَ  
يَقُولُونَ: فِي النَّشْءِ خَيْرٌ لَنَا  
أَفِي (الْأَزْبَكِيَّة) مَثَوَى الْبَنِينَ  
(وَكَمْ ذَا بِمَصْرَ مِنَ الْمُضْحَكَاتِ)  
أُمُورٌ تَمُرُّ وَعَيْشٌ يَمُرُّ<sup>(٣)</sup>  
وَشَعْبٌ يَفِرُّ مِنَ الصَّالِحَاتِ  
وَصُحُفٌ تَطْنُ طَنِينَ الذُّبَابِ  
وَهَذَا يَلُودُ بِقَصْرِ الْأَمِيرِ  
وَهَذَا يَلُودُ بِقَصْرِ السَّفِيرِ  
وَهَذَا يَصِيحُ مَعَ الصَّائِحِينَ

جُحْدٌ بِمَصْرَ فَلَا تَلْعَبِي  
وَلِلنَّشْءِ شَرٌّ مِنَ الْأَجْنَبِيِّ  
وَبَيْنَ الْمَسَاجِدِ مَثَوَى الْأَبِ؟  
كَمَا قَالَ فِيهَا (أَبُو الطَّيِّبِ)<sup>(٢)</sup>  
وَنَحْنُ مِنَ اللَّهْوِ فِي مَلْعَبٍ  
فِرَارَ السَّلِيمِ مِنَ الْأَجْرِبِ  
وَأُخْرَى تَشْنُ عَلَى الْأَقْرَبِ  
وَيَدْعُو إِلَى ظِلِّهِ الْأَرْحَبِ  
وَيُطْنِبُ فِي وَرْدِهِ الْأَعْذَبِ  
عَلَى غَيْرِ قَصِيدٍ وَلَا مَأْرَبِ

\*\*\*

وقالوا: (المؤيد) في غمرة  
دعاه الغرام بسن الكهول  
فضج لها العرش والحاملوه  
ونادى رجال بإسقاطه

رماه بها الطمع الأشعبي  
فجن جنونا بينت النبي  
وضج لها القبر في (يثرِب)<sup>(٤)</sup>  
وقالوا: تَلَوْنُ فِي الْمَشْرَبِ

(١) يقصد الاتفاق الذي عقد بين فرنسا وبريطانيا سنة ١٩٠٤ ويقتضاه أقرت فرنسا الاحتلال البريطاني لمصر.

(٢) يشير إلى قول أبي الطيب المتنبي: (وكم ذا بمصر من المضحكات ولكنه ضحك كالبكاء).

(٣) عيش يمر، أى يصير مرأ.

(٤) اسم قديم للمدينة المنورة.



وَعَدُّوا عَلَيْهِ مِنَ السَّيِّئَاتِ  
وَقَالُوا لَصِيقُ بَيْتِ الرَّسُولِ  
وَزَكَّى (أَبُو خَطُوةٍ) قَوْلَهُمْ  
فَمَا لِلتَّهَانِ عَلَى دَارِهِ  
وَمَا لِلوَفودِ عَلَى بَابِهِ  
وَمَا لِلخليفةِ أَسَدَى إِلَيْهِ

\*\*\*

فِي أُمَّةٍ ضَاقَ عَنْ وَضْفِهَا  
تَضِيعُ الْحَقِيقَةُ مَا بَيْنَنَا  
وَيُكْرَمُ فِينَا الْإِمَامُ الْحَكِيمُ  
وَيُضَلَّى الْبَرِيُّ مَعَ الْمَذْنِبِ  
وَيُكْرَمُ فِينَا الْجَهْلُ الْغَبِيُّ

\*\*\*

عَلَى الشَّرْقِ مَنَى سَلَامُ الْوَدودِ  
لَقَدْ كَانَ خِصْبًا يَجْدِبُ الزَّمَانَ  
وَإِنْ طَاطَأَ الشَّرْقُ لِلْمَغْرِبِ  
فَأَجْدَبَ فِي الزَّمَنِ الْمُخْصِبِ

### شعره الاجتماعي

يزخر شعر حافظ بالاجتماعيات، فهو من هذه الناحية أغزر مادة وأعمق غورا من شوقي، ولا غرو فقد كان أكثر اتصالا بالطبقات الشعبية، وعانى ما تعانيه من الألم والحرمان، فصار أدق تصويرا لأحوالها وآلامها، وفي ذلك يقول بحق عن نفسه في قصيدته التي أنشدها بدار الأوبرا سنة ١٩١١ في حفلة جمعية رعاية الأطفال:

لَمْ أَقِفْ مَوْقِفِي لِأَنْشِدَ شِعْرًا  
إِنَّمَا قَمْتُ فِيهِ وَالنَّفْسُ تَشْوَى  
فَلِهَذَا وَقَفْتُ أَسْتَعِظُ النَّاسَ  
ذُقْتُ طَعْمَ الْأَسَى وَكَابَدْتُ عَيْنَسَا  
وَتَنَقَّلْتُ فِي الْخُطوبِ الْجِسَامِ  
وَمَشَى الْحَزَنُ نَاجِرًا فِي عِظَامِ

## عطفه على منكوبي حريق ميت غمر

في سنة ١٩٠٢ شب حريق مروع في مدينة ميت غمر، وبقيت النار مشتعلة فيها عدة أيام، فدمرت كثيراً من دورها ومات في الحريق كثيرون؛ ولعظم النكبة تسابق أهل الخير في إعانة المنكوبين وإسعافهم، وفاضت أعمدة الصحف بأنباء ما أصابهم، وفي ذلك أنشأ حافظ قصيدته المشهورة في وصف هذه الكارثة والعطف على ضحاياها. قال:

سائلوا الليل عنهم والنهارا  
كيف أمسى رضيهم فقد الأ  
كيف طاح العجوز تحت جدار  
رب إن القضاء أنحي عليهم  
ومر النار أن تكف أذاها  
أين طوفان صاحب الفلك يروى  
أشعلت فحمة الدباجي فباتت  
غشيتهم والنحس يجرى يميناً  
فأغارت وأوجه القوم بيض  
أكلت دورهم قلما استقلت  
أخرجتهم من الديار غراً  
يلبسون الظلام حتى إذا ما  
حلة لا تقيهم البرد والحد  
أيها الرافلون في حلل الوشد  
إن فوق العراء قوماً جوعاً  
أيها السجين<sup>(٣)</sup> لا يمنع السج  
مر بألف لهم وإن شئت زدها

كيف باتت نساؤهم والعذارى؟  
م وكيف اصطلى مع القوم نارا؟  
يتداعى وأسف تتجاري؟  
فاكشف الكرب واحجب الأقدار  
ومر الغيث أن يسيل انهما را  
هذه النار فهي تشكو الأوارا<sup>(١)</sup>  
قللاً الأرض والسما شارا  
ورمتهم والبوس يجرى يسارا  
ثم غارت وقد كستهن قارا  
لم تغادر صغارهم والكبارا  
حذر الموت يطلبون الفارا  
أقبل الصبح يلبسون النهارا  
ر ولا عنهم ترد الغبارا  
سي<sup>(٢)</sup> يجرن للذيول افتخارا  
يتوارون ذلة وانكسارا  
من كريماً من يقل العثارا  
وأجرهم كما أجرت النصارى

\*\*\*

(١) الأوار: شدة الحرارة والعطش.

(٢) حلل الوشى الثياب المزركشة.

(٣) يقصد أحمد المشاوى باشا المحسن وصاحب المبرات المعروفة.

قد شَهِدْنَا بِالْأُمْسِ فِي مِصْرَ عُرْسًا<sup>(١)</sup>      مَلَأَ الْعَيْنَ وَالْفُؤَادَ ابْتِهَارًا  
سَالَ فِيهِ لِلنُّضَارِ حَتَّى حَسِبْنَا      أَنْ ذَاكَ الْفِنَاءَ يَجْرَى نُضَارًا  
بَاتَ فِيهِ الْمُنْعَمُونَ بَلِيلٍ      أَخْجَلَ الصُّبْحَ حُسْنَهُ فَتَوَارَى  
يَكْتَسُونَ السَّرُورَ طَوْرًا وَطَوْرًا      فِي يَدِ الْكَأْسِ يَخْلَعُونَ الْوَقَارَا  
وَسَمِعْنَا فِي (مِيتَ غَمْرٍ) صِيَاحًا      مَلَأَ الْبِرَّ ضَجَّةً وَالْبَحَارَا

\* \* \*

جَلَّ مِنْ قَسَمِ الْحِظْوَظِ، فَهَذَا      يَتَفَنَّى وَذَاكَ يَبْكِي الدِّيَارَا  
رُبَّ لَيْلٍ فِي الدَّهْرِ قَدْ ضَمَّ نَحْسًا      وَسُعُودًا وَعُسْرَةً وَيَسَارَا

### الجامعة في سبيل الكفاح

وقال من قصيدة له في سنة ١٩٠٨ يدعو إلى معاضدة مشروع الجامعة المصرية.

حياكم الله أحيوا العلم والأدبا      إِنْ تَنْشُرُوا الْعِلْمَ يَنْشُرْ فِيكُمْ الْعَرَبَا<sup>(٢)</sup>  
ولا حياة لكم إلا بجامعة      تَكُونُ أُمَّا لَطُلَّابِ الْعِلَّا وَأَبَا  
تَبْنِي الرِّجَالَ وَتَبْنِي كُلَّ شَاهِقَةٍ      مِنْ الْمَعَالِي وَتَبْنِي الْعِزَّ وَالْغَلْبَا  
ضَعُوا الْقُلُوبَ أُسَاسًا، لَا أَقُولُ لَكُمْ      ضَعُوا النُّضَارَ فَإِنِّي أَصْفِرُ الذُّهْبَا  
وابنوا بأكبادكم سورًا لها ودعوا      قِيلَ الْعَدُوُّ فَإِنِّي أَعْرِفُ السَّبْبَا<sup>(٣)</sup>  
لا تقنطوا إن قرأتم ما يزوقه      ذَاكَ الْعَمِيدُ وَيَرْمِيكُمْ بِهِ غَضْبَا<sup>(٤)</sup>  
وراقبوا يوم لا تغني حصائده      فَكُلُّ حَيٍّ سِيُجْزَى بِالذِّى اِكْتَسَبَا<sup>(٥)</sup>  
بنى على الإفك أبراجًا مُشَيَّدَةً      فَأَبْنُوا عَلَى الْحَقِّ بُرْجًا يَنْطَحُ الشُّهْبَا  
وجاوبوه بفعل لا يُقْوَضُهُ      قَوْلُ الْمَفْنَدِ أَنِّي قَالُ أَوْ خَطْبَا  
لا تهجعوا إنهم لن يهجعوا أبدًا      وَطَالِبُوهُمْ وَلَكِنْ أَجْلُوا الطُّلْبَا  
وختمها بقوله:

إِنْ تُقْرَضُوا اللَّهُ فِي أَوْطَانِكُمْ فَلَكُمْ      أَجْرُ الْمَجَاهِدِ طَوْبِي لِلَّذِي اِكْتَبَا

(١) يقصد عرس زواج (الأمير) حيدر فاضل من كريمة على فهمي (باشا) سنة ١٩٠٢ وكان من أعظم المهرجانات.

(٢) أى يبعث فيكم مجد العرب.

(٣) (٤،٣) يشير إلى ما كان يقيمه المعتد البريطاني من العقبات في سبيل إنشاء الجامعة.

(٥) حصائد أى حصائد الصيد أى ما يقوله ليثني به العزائم عن مشروع الجامعة.

## رعاية الأطفال

وألقي في إبريل سنة ١٩١٠ القصيدة الآتية في احتفال أقامته جمعية رعاية الأطفال يصف  
بؤس أم فقيرة حامل وكيف لقيت الرعاية والإسعاف في مستشفى الجمعية:

شَبَّحًا أرى أم ذاك طَيْفُ خَيَالٍ؟      لا ، بل فتاةً بِالْعَرَاءِ حَيَالِي  
أَمَسْتُ بِمَدْرَجَةِ الخُطُوبِ فَبِهَا      رَاعٍ هُنَاكَ وَمَا لَهَا مِنْ وَالِي  
حَسْرَى تَكَادُ تُعِيدُ فَحْمَةً لَيْلَهَا      نَارًا بِأَنَاتِ ذَكَّيْنِ<sup>(١)</sup> طِوَالِ  
مَا خَطْبُهَا عَجَبًا، وَمَا خَطْبِي بِهَا؟      مَالِي أَشَاطِرُهَا الْوَجِيعَةُ مَالِي؟  
ذَانِيتُهَا وَلِصَوْتِهَا فِي مَسْمَعِي      وَقَعَ النَّبَالُ عَطْفَنَ إِثْرِ نَبَالِ  
وَسَأَلْتُهَا: مَنْ أَنْتِ؟ وَهِيَ كَأَنَّهَا      رَسَمٌ عَلَى طَلَلٍ مِنَ الْأَطْلَالِ  
فَتَمَلَّلْتُ جَزَعًا وَقَالَتْ: حَامِلٌ      لَمْ تَذُرْ طَعْمَ الْغَمُضِ مِنْذُ لَيَالِ  
قَدْ مَاتَ وَالِدُهَا وَمَاتَتْ أُمُّهَا      وَمَضَى الْحِمَامُ بِعَمَّهَا وَالْخَالِ

\*\*\*

وإلى هنا حبس الحياء لسانها      وَجَرَى الْبُكَاءُ بِدَمْعِهَا الْهَطَالِ  
فَعَلِمْتُ مَا تُخْفِي الْفَتَاةُ وَإِنَّمَا      يَحْنُو عَلَى أَمْثَالِهَا أَمْثَالِي  
وَوَقَفْتُ أَنْظُرُهَا كَأَنِّي عَابِدٌ      فِي هَيْكَلٍ يَرْنُو إِلَى تَمثالِ  
وَرَأَيْتُ آيَاتِ الْجَمَالِ تَكْفَلْتُ      بِزَوَاهِنَ فَوَادِحِ الْأَثْقَالِ  
لأشياء أَفْعَلُ فِي النَفُوسِ كَقَامَةِ      هَبِفاءَ رَوَّعِهَا الْأَسَى بِهِزَالِ  
أَوْغَادَةٍ كَانَتْ تُرِيكَ إِذَا بَدَتْ      شَمْسُ النَّهَارِ فَأَصْبَحَتْ كَالْأَلِ<sup>(٢)</sup>

\*\*\*

قلت: انْهَضِي قَالَتْ: أَيْنَهُضُ مُيَّتٌ      مِنْ قَبْرِهِ وَيَسِيرُ شَنْ بَالِي<sup>(٣)</sup>  
فَحَمَلْتُ هَيْكَلِ عَظْمِهَا وَكَأَنِّي      حُمِلْتُ حِينَ حَمَلْتُ عُودَ خَالِ

(١) ذكَيْن، أى توقدن واشتعلن.

(٢) الألق السراب.

(٣) الشن. القرية الخلق البالية.

وطفقت أتنهب الخطا متيماً  
أمشى وأحملُ بئسئ: فطارقُ  
أبكيها وكأنما أنا ثالثُ  
بأليل (دار رعاية الأطفال)  
باب الحياة ومؤذنُ بزوال<sup>(١)</sup>  
لها من الإشفاق والإعوال<sup>(٢)</sup>

\*\*\*

وطرقتُ باب الدار لا مُتهيباً  
طرقَ المُسافرِ آب من أسفاره  
وإذا بأصوات تصيح: ألافتحوا  
وإذا بأيّد طأهرا عودتُ  
جاءتُ تُسابقُ في المبرة بَعْضُها  
فتناولتُ بالرفق ماأنا حاملُ  
وإذا الطبيبُ مُشمرٌ وإذا بها  
جاءوا بأنواع الدّواء وطوفوا  
وجنا الطبيبُ يحسُ نبضاً خافتاً  
لم يدر حين دنا ليلو<sup>(٣)</sup> قلبها

أحدًا ولا مترقبًا لسؤال  
أوطرقَ رب الدار غير مُبالٍ  
دقاتُ مرَضَى مُدلّجين عجال  
صنعَ الجميل تطوّعتُ في الحال  
بعضاً لوجه الله لاللمال  
كالأم تكلأ طفلها وتوالى  
فوق الوسائد في مكان على  
بسريِر ضيّقتهم كبعضِ الآل  
ويروُد مكمّن دائها القتال  
دقاتُ قلبٍ أم ديببِ نِمال؟

\*\*\*

ودعنتها وتركتُها في أهلها  
وعجزتُ عن شكر الذين تجردوا  
لم يُخجلوها بالسؤال عن اسمها  
خيرُ الصنائع في الأنام صنيعُ  
وإذا النّوال أتى ولم يهرقْ له  
من جياذ من بعد السؤال فإنه

وخرجتُ مُشرّحاً رضئ البال  
للباقيات وصالح الأعمال  
تلك المروءة والشعور العالى  
تنبؤ بحاملها عن الإذلال  
ماء الوجوه فذاك خير نوال  
- وهو الحواد- يُعدّ في البُخال

\*\*\*

لله درّهمُ فكم من بئسٍ  
جمّ الوجيعة سيئ الأحوال

(١) طارق باب الحياة: الجنين. ويريد بالمؤذن بالزوال، أمه.

(٢) الإعوال، اليكأ.

(٣) ييلو: أى يختبر.

ترمى به الدنيا فمن جوعٍ إلى  
عينٍ مُسَهَّدَةٍ وقلبٍ واجفٍ  
لم يدر ناظره أعريانا يرى  
فكأنَّ ناجِلَ جسمه في ثوبه  
يابِرُّدٌ فاحِلٌ قد ظَفِرَتْ بأعزلٍ  
يا عَيْنُ سُحَّى يا قلوبَ تَقَطَّرى  
لولا هُمُ لَقضى عليه شقاؤه  
لولا هم كان الردى وقفًا على

عُرَى إلى سُقْمٍ إلى إقلال  
نَفْسٍ مُرَوَّعةٍ وجَيْبٍ خالى  
أَمْ كاسِيًا فى تَلْكمِ الأَسْمال  
خَلْفَ الخُروقِ يُطِلُ من غُرْبال  
يا حَرًّا تلكَ فريسةُ المَغْتال  
يائِئُفُ رَقَى يا مروءةُ والى  
وَحْلا المِجالِ لِخاطفِ الآجال  
نفسَ الفقيرِ ثَقيلةُ الأحمال

\*\*\*

لله دَرُ الساهرين على الألى  
القائمين بخير ما جاءت به  
أهلِ اليتيم وكهفه ومجاته

سهروا من الأوجاع والأوجال<sup>(١)</sup>  
مدنيّة الأديان والأجيال  
وربيع أهل البؤس والإحمال<sup>(٢)</sup>

\*\*\*

لا تَهْمَلُوا فى الصالحات فإنكم  
إنى أرى فقراءكم فى حاجةٍ  
فَتَسابِقُوا الخيرات فهى أمامكم  
والمحسنون لهم على إحسانهم  
وجزاء رب المحسنين يجلُّ عن

لا تجهلون عواقب الإهمال  
- لا تعلمون - لقائل فعّال  
ميدان سَبَقٍ للجواد النال<sup>(٣)</sup>  
يوم الإثابة عَشْرَةُ الأمثال  
عَدُّ وعن وَزْنٍ وعن مكيال

وقال فى سنة ١٩١١ يدعو إلى العطف على البؤساء:

دعوة البائس المعذب سُورٌ  
وهى حرْبٌ على البخيل وذى البَغْ  
إنَّ هذا الكريم قد صان عِرْضى

يدفع الشَّرَّ عن حياض الكرامِ  
سى وَسَيْفٌ على رقاب اللُّثامِ  
وَحْمانى من عاديّات السقامِ

(١) الأوجال. المخاوف.

(٢) الإحمال. الجذب.

(٣) الجواد. الكريم. والنال. الكثير النائل وهو العطاء.

عال طفلى وعالى وحبانى  
وهو من معشر أغاثوا ذوى البؤ  
وأقاموا للبر داراً فكانت  
مِلَّت رَحْمَةً وفاضت حَنَانًا  
بكسائٍ وبدريةٍ وطعام  
س وقامواً في الله خير القيام  
خير ورِدِ يؤمُّه كلُّ ظامى  
فهى للبائسات دارُ السلام

إلى أن قال في الإحسان والزكاة:

قد نَجَا المنعم الجواد من المؤ  
فأطفنا بها وقد ملأ الأند  
وشهدنا ثغر الوفاء تجلى  
ورأينا شخص المروءة والـ  
وعلمنا أن الزكاة سبيل الله  
خصها الله في الكتاب بذكر  
بدأت مبدأ اليقين وظلّت  
لو وفى بالزكاة من جمع الدن  
ماشكا الجوع مُعِدِّمٌ أو تصدى  
راكباً رأسه طريداً شريداً  
سائلا عن وصية الله فيه  
ت بفضل الزكاة والإِنعام  
فس منّا جلالُ ذاك المقام  
إذ تجلى في ثغرها البسام  
مر تبدي في شخص ذاك الهمام  
فهي ركن الأركان في الإسلام  
لحياة الشعوب خير قوام  
يا وأهوى على اقتناء الحطام  
لركوب الشرور والآثام  
لايبالى بشريعة أودمى  
أخذاً قوته بحدّ الحسام

### ملجأ الحرية

ومن قصيدة له سنة ١٩١٩ في تحية ملجأ الحرية، وفيها يهيب بالأثرياء أن يبروا الأيتام  
والفقراء، ويشير إلى يقظة الأمة سنة ١٩١٩ وما أحدثته الثورة في النفوس من التطلع إلى المثل  
العلياء.

أيها الطفل لك البشرى فقد  
قدّر الله حياة حرة  
لاتخف جوعاً ولا عرياً ولا  
قدّر الله لنا أن ننشرا<sup>(١)</sup>  
وأبى سبحانه أن تقبرا  
تبك عيناك إذا خطب عرا<sup>(٢)</sup>

(١) نشر: أبى نحيا ونبعث.

(٢) عرا: ألم ونزل.

لك عند البرِّ في ملجئه  
حيث تلقى فيه حذبًا وترى  
حيث تأوى خاطرٌ لن يُكسرا  
بين أترابك عيشًا أنضرا

\*\*\*

لاتسىءَ ظنًّا بئرينا فقد  
كان بالأمس وأقصى همّه  
فقدنا اليوم يُواسى شعبه  
نبهت عاطفة البرِّ به  
جمعتنا في صعيد واحدٍ  
فتعاهدنا على دفع الأذى  
وتواصينا بصبر بيننا  
أنشرت<sup>(٢)</sup> في مصر شعبًا صالحًا  
كم محبِّ هائمٍ في حبها  
وشبابٍ وكهولٍ أقسموا

تاب عن آثامه واستغفرا  
- إن أتي عارفة<sup>(١)</sup> - أن يظهرها  
وهو لا يرغب في أن يُشكرا  
محنة عمت ومقدار جرى  
وأرادتنا على أن نُقهرها  
بركوب الحزم حتى نظفرا  
فغدونا قوة لا تُزدرى  
كان قبل اليوم مُنفك العرا  
زاد عن أجفانه سرح الكرى  
أن يشيدوا مجدها فوق الذرا

\*\*\*

يارجال الجدُّ هذا وقته  
ملجأً أو مصرفًا أو مصنعًا  
أنا لا أعذر منكم من وقي  
فابعدوا بالملجأ الحر الذي  
واكفلوا الأيتام فيه واعلموا  
أيها الثرى! ألا تكفل من  
أنت ما يُدريك لو أنيته  
ربما أطلعت (سعدًا) آخرًا  
ربما أطلعت منه (عبدّه)  
ربما أطلعت منه شاعرًا  
ربما أطلعت منه فارسًا

آن أن يُعملَ كُلُّ ما يرى  
أو نقابات لزراع القرى  
وهو ذو مقدرة أو قصّرا  
جئت للأيدى له مُستمطرا  
أن كل الصيد في جوف الفرا  
بات محرومًا يتيها معسرا؟  
ربما أطلعت بدرًا نيرًا  
يُحكّم القول ويرقى المنبرا  
من حمى الدّين وزان (الأزهر)  
مثل (شوقي) ناهيًا بين الورى  
يدخل الغيل على أسد الشرى<sup>(٣)</sup>

(١) العارفة: العطية والمعروف.

(٢) أنشرت، أى أحييت.

(٣) الغيل: الشجر الكثير الملف تأوى إليه الأسود، والشرى: مأسدة جانب الفرات يضرب بأساها المثل.



كم طوى البؤس نفوساً لورعت  
كم قضى العدم على موهبة  
منبتاً خصباً لكانت جوهراً  
فتوارت تحت أطباق الثرى

\* \* \*

كل من أحيأ يتيماً ضائعاً  
إنما محمد عُقبى أمره  
حسبه من ربّه أن يؤجرا  
من لأخراه بدنياه اشترى

### جمعية إعانة العميان

وقال في سنة ١٩١٦ في احتفال أقامته جمعية إعانة العميان:

إن حق الضير عند ذوى الأب  
لم يضره فقدانه نور عينيه  
أنسوا نفسه إذا أظلم العي  
وجّهوه إلى الفلاح يفتدكم  
أكملوا نقصه يكن عبقرياً  
كم رأينا من أكمه لا يجارى  
لم تقف آفة العيون حجازاً  
عديم الحس قائداً فحداه  
مثل هذا إذا تعلم أغنى  
ذاك أن الذكاء والحفظ خلا  
فعلى كل أكمه وبصير  
صار حق مستوجب التقديس  
ه إذا اعتاض عنها بأنيس  
ش بعلم فالعلم أنس النفوس  
فوق ما يستفيدة من دروس  
مثل (طه) مبرراً في الطروس  
وضرير يرجى ليوم عبوس  
بين وثباته وبين الشمسوس  
هدى وجدانه إلى المحسوس  
عن كثير وجاءنا بالنفيس  
في جوار النهى بتلك الرؤوس  
شكر أعضائكم وشكر الرئيس

### المال والعلم والأخلاق

قال سنة ١٩٢١ باسم مصر، قصيدته - مصر تتحدث عن نفسها -:

وارفعوا دولتي على العلم والأخلا  
ق فالعلم وحده ليس يجدى

وقال سنة ١٩١٠ من قصيدة له (ص ١٢٦) في الحث على إعانة مدرسة للبنات ببورسعيد:

كم ذا يكابد عاشق ويلاقى  
إني لأحمل في هواك صباة  
في حب مضر كثيرة العشاق  
يامصر قد خرجت عن الأطواق

هَفَى عَلَيْكَ مَتَى أَرَاكَ طَلِيقَةً  
كَلِيفٌ بِمَحْمُودِ الْخِلَالِ مُتَيِّمٌ  
إِنِّي لَتَطْرُبُنِي الْخِلَالُ كَرِيمَةً  
وَتَهْزُنِي ذِكْرِي الْمَرْوَةِ وَالنَّدَى  
يَحْمِي كَرِيمَ حِمَاكَ شَعْبٌ رَاقِي  
بِالْبَذْلِ بَيْنَ يَدَيْكَ وَالْإِنْفَاقِ  
طَرَبَ الْغَرِيبِ بِأَوْبَةٍ وَتَلَاوِي  
بَيْنَ الشُّمَائِلِ هِزَّةَ الْمُشْتَاقِ

\* \* \*

فَإِذَا رَزَقْتَ خَلِيقَةً مَحْمُودَةً  
فَالنَّاسُ هَذَا حَظُّهُ مَالٌ وَذَا  
وَالْمَالُ إِنْ لَمْ تَدْخِرْهُ مُحْصَنًا  
وَالْعِلْمُ إِنْ لَمْ تَكْتَفِهِ شُمَائِلُ  
لِتَحْسِنَ الْعِلْمَ يَنْفَعُ وَحْدَهُ  
فَقَدْ اصْطَفَاكَ مُقَسِّمُ الْأَرْزَاقِ  
عَلَّمَ وَذَاكَ مَكَارِمَ الْأَخْلَاقِ  
بِالْعِلْمِ كَانَ نَهَايَةَ الْإِمْلَاقِ<sup>(١)</sup>  
تُعْلِيهِ كَانَ مَطِيَّةَ الْإِخْفَاقِ  
مَا لَمْ يُتَوَجَّ رَبُّهُ بِخِلَاقِ<sup>(٢)</sup>

### فضل المرأة على المجتمع

وقال في هذه القصيدة ينوه بفضل المرأة في المجتمع:

من لى بتربية النساء؟ فإنها  
الأم مدرسة إذا أعدتها  
الأم روض إن تعهده الحيا<sup>(٤)</sup>  
الأم أستاذ الأساتذة الألى  
فى الشرق. علّة ذلك الإخفاق  
أعددت شعباً طيب الأعراق<sup>(٣)</sup>  
بالرئى أوزق أئما إىراق  
شغلت مآثرهم مدى الآفاق

\* \* \*

أنا لأقول دعوا النساء سوافراً  
يَدرُجن حىت أردن لا من وازع  
يفعلن أفعال الرّجال لواهيا  
فى دورهن شئونهن كَثيرة  
بين الرجال يُجلن فى الأسواق  
يحذرن رقبتَه ولا من وافى  
عن واجبات نواعس الأحداق  
كشّون ربّ السيف المزراق<sup>(٥)</sup>

(١) الإملاق: الفقر.

(٢) الأخلاق: النصب من الخير والصلاح.

(٣) الأعراق: الأصول، الواحد عرق.

(٤) الحيا: المطر.

(٥) المزراق: الرمح.

كَلَّا وَلَا أَدْعُوكُمْ أَنْ تُسْرِفُوا  
لَيْسَتْ نَسَاؤُكُمْ حَلًى وَجَوَاهِرًا  
لَيْسَتْ نَسَاؤُكُمْ أَثَا يُقْتَنَى  
تَتَشَكَّلُ الْأَزْمَانُ فِي أَدْوَارِهَا  
فَتَوَسَّطُوا فِي الْحَالَتَيْنِ وَأَنْصَفُوا  
رَبُّوا الْبَنَاتِ عَلَى الْفَضِيلَةِ إِنَّهَا  
وَعَلَيْكُمْ أَنْ تَسْتَبِينَ بِنَاتِكُمْ

فِي الْحُجُبِ وَالتَّضْيِيقِ وَالْإِزْهَاقِ  
خَوْفِ الضِّيَاقِ تَصَانٌ فِي الْأَحْقَاقِ  
فِي الدُّورِ بَيْنَ مَخَادِعِ وَطَبَاقِ  
دَوْلًا وَهَنَ عَلَى الْجُمُودِ بِوَأَقِي  
فَالشَّرُّ فِي التَّقْيِيدِ وَالْإِطْلَاقِ  
فِي الْمَوْقِفِينَ لَهُنَّ خَيْرٌ وَثَاقِ  
نُورُ الْهُدَى وَعَلَى الْحَيَاءِ الْبَاقِي

### المناصب والفضائل

من قوله في رثائه لمحمود سامي البارودي:

إِنَّ الْمَنَاصِبَ فِي عِزْلِ وَتَوَلِيَةِ      غَيْرِ الْمَوَاهِبِ فِي ذِكْرِ وَتَحْلِيدِ

ومات حافظ سنة ١٩٣٢ بعد أن خلف لمصر والشرق ذخيرة من الوطنية وكنوزا من الشعر والحكمة والأخلاق لا تفنى ولا تنفد على مر الزمان.

# خليل مطران

## شاعر الحرية

١٨٧٢ - ١٩٤٩



شاعر الحرية والعروبة، حمل لواء التجديد في الشعر،  
نيفاً ونصف قرن من الزمان، وبلغ الذروة في عالم الشعر  
والفن والبلاغة والخيال.

ولد سنة ١٨٧٢ في بعلبك إحدى المدن الشهيرة ببلدان،  
ونشأ نزاعاً إلى الحرية سمح النفس، كريم الخلق، صفى  
السريرة، محباً للخير، وديعاً في شمم وإباء، معتزاً بكرامته،  
عيوقاً عن الصغائر.

ضاق صدره منذ صباه بجو يضغط على حرية الرأي  
والفكر، فارتحل إلى باريس يتم فيها دراسته وعلومه،  
وهناك ارتوى من مناهل الآداب الغربية، وإذا كانت  
شاعريته وليدة فطرته وسليقته، فقد اتجهت نفسه بتأثير الأدب الفرنسي إلى التجديد في شعره،  
فجمع بين البلاغة العربية والأساليب والمعاني الأوروبية.

ثم هاجر إلى مصر، واتخذها موطنه الثاني، بل موطنه المختار.  
أخلص لها، وغرد في أكنافها، وتعشق نيلها وأرضها وسماها، وهو ثالث الثلاثة الذين عاشوا  
معا وانتهت إليهم زعامة الشعر في العصر الحديث: شوقي وحافظ ومطران.  
ألهمه حب الحرية نظم القصائد الرائعة في تمجيدها والذود عنها، والجهاد في سبيلها، فكان من  
أعلامها الخالدين.

كان إنساناً في شخصه وفي أخلاقه وفي شعره وأدبه.

كان في شعره ينشد الكمال، ويخلق في أجواء الحرية والوطنية.

كان يستلهم شعره من المثل العليا، وفي ذلك يقول عن نفسه في الاحتفال بيوبيله الذهبي  
سنة ١٩٤٨.

كان في الشعر لى مرأى خطير  
هائم في الوجود أسأله الوح  
أكبروني ولست أكبر نفسي  
لا يَضُقُّ صدرُ شاعر بأخيه  
والسماوات لو تأملتَ فيها  
كل جرم يعلو ويصبح نجما  
والنجوم التي تلوح وتخفَى  
فَعَدَا طَوْقِي المَرَامُ الخطيرُ  
سِ كَمَا يسألُ الغنىَّ الفقيرُ  
أنا في الفن مستفيد صغير  
يكره الفضلُ أن تضيق الصدور  
ليس تُحصى شمسُها والبدورُ  
فله حَيَزُ وفيه بدور  
رَبَوَاتُ وما يضيق الأثير

وبهذه الروح العالية، والنفس الصافية، والود الخالص، والإيثار والأريحية، عاش محبوباً من معاصريه: يحبهم ويحبونه، وينسب لهم الخير والكمال.

وقد أرخ في شعره الوطني العذب مراحل النهضة المصرية والشرقية، وسجل حوادثها ووقائعها، وترجم لرجالها وأشخاصها، وغذى بقصائده الروح الوطنية جيلاً بعد جيل.

يمتاز شعره بسعة الخيال وجمال التصوير وبلاغة التعبير، هذا إلى اقتباسه من آداب اللغة الفرنسية التي درسها وتمكن منها تمكنه من آداب اللغ العربية، فجمع بين الثقافة العربية والثقافة الأوروبية، وهو زعيم مدرسة التجديد في الشعر العربي، وسار على نهجه تلاميذه ومريدوه.

وقد عبر أبلغ تعبير وأرقه عن منهج التجديد في شعره، بقوله في مقدمة الطبعة الثانية لديوانه سنة ١٩٤٨ قال:

«هذا شعري، وفيه كل شعوري، هو شعر الحياة والحقيقة والخيال، نظمته في مختلف الآونة التي تخلّيت فيها عن العمل لرزقي، نظمته مصبّحاً وممسياً، منفرداً ومتحدثاً مع عشرائي، وقيدت فيه زفرائي وأحلامي، وسجلت بقوافيه أحداث زماني وبيئتي في دقة واستيفاء.

«أتابع السابقين في الاحتفاظ بأصول اللغة، وعدم لتفريط فيها، واستيحاء الفطرة الصحيحة، وأتوسع في مذاهب البيان مجارة لما اقتضاه العصر، كما فعل العرب من قبلي، أما الأمانة الكبرى التي كانت تجيش بي، فهي أن أدخل كل جديد في شعرنا العربي بحيث لا ينكره، وأن أستطيع إقناع الجامدين بأن لغتنا أم اللغات إذا حفظت وخدمت حق خدمتها، ففيها ضروب الكفاية لتجارى كل لغة قديمة وحديثة في التعبير عن الدقائق والجلائل من أغراض الفنون، وإنّي لأرجو أن يرى المطلعون على هذا الجزء الثاني وما يليه من أجزاء (ديوان الخليل) مصداقاً لدعواي».

وقال عنه صنوه وصديقه حافظ يشيد بنزعته في التجديد:

«هو في طليعة أولئك الذين خرجوا من أفق التقليد وصدعوا قيود التقييد، وأوسعوا صدر الشعر العربي للخيال الأعجمي، وأفسحوا فيه للقصص وتصوير الحوادث، وطوفوا بسرد وقائع التاريخ، ففتح بذلك فتحة جديداً شتّى فيه الغارة على أهل الحفاظ والتمسيك».

وكان من أركان المسرح العربي بما كتب لهذا المسرح وعرب، فقد ترجم ليالى البفريد دى موسيه، ورواية هرنانى لفكتور هيجو، كما ترجم لكورنيل مسرحيات (السيد) وسينا وبوليكت، وترجم روايات شكسبير: هاملت، ومكبث، وعطيل، وتاجر البندقية.

### النهضة العربية

قال سنة ١٩٠٨ يحيى نهضة الشعوب العربية:

داع إلى العهد الجديد دعاك	فاستأنفى فى الخافقين علاك
يا أمة العرب التى هى أمنا	أى الفخار نمتيه ونماك؟
يمضى الزمان وتنقضى أحداثه	وهواك منا فى القلوب هواك
إننا نقاضى الدهر فى أحسابنا	بالرأى لبالصّارم الفتاك
وملاك شيمتنا الوفا فائنه	لسعادة الأقوام خير ملاك
آمالنا آلامنا أرواحنا	أشباحنا يوم الفداء فداك
بالعلم ننشر ما انطوى من مجدنا	وبه نزكى فى الورى ذكراك

### مطران ومصطفى كامل

كان بينه وبين الزعيم مصطفى كامل صداقة وود داما طول العمر، كان مؤيدا لدعوته نصيرًا لرسائله، دافع عنها فى حياة مصطفى، وظل وقيا لها بعد وفاته، ويبدو مبلغ إعجابه به وتقديره لعبقريته فى قصيدته التى أنشدها سنة ١٩٠٨ فى حفلة الأربعين لوفاته، وقد نشرها فى ديوانه وصدرها فى طبعته الأولى بهذه الكلمة التى تعد فى ذاتها قصيدة من النثر المنظوم، قال: «مصائب الشرق فى رجله المفرد، وبطله الأوحده، مصطفى باشا كامل، أيتها الروح العزيزة! إن فى هذا الديوان الذى اختتمه برثائك، نفحات من نفحاتك، ودعوات من دعائك، فى هيكلك المدفون بالتكريم تحية الأخ المخلص للأخ الحميم، ووداع المجاهد المتطوع للقائد العظيم».

وجعل عنوان القصيدة (حق الوطن وحق الإخاء) قال:

فانعم بطيب جواره يا (مصطفى)  
خيرًا، وكلُّ واجدٍ ما أسلفا  
ومن الأسى الماضى بمقتبل الصفا

أعلى مكاتتك الإله وشرفا  
اليوم فُزت بأجر ما أسلفتُهُ  
وجزيت من فاني الوجود بخالد

\*\*\*

بك واصفًا ذاك الجلال فيوصفا  
حافين حولك فى السرير وعُكفا  
سربًا يحوز بك الدرارى موجفا  
والأرض مائدة عليك تأسفا  
يذرو الرجال به المدامع ذرفا  
بهم الرحيب من المسالك مصرفا  
ساروا بطيف ناحل أو أنحفا  
فلك يظلل اللواء مرفوفا  
آثاره من رفعة لا تفتفى

أعظم يومك فى الزمان ومن له  
حيث الوفود من الملائك أقبلوا  
وتحملوك على الأشعة وارتقوا  
فوردت وردك فى الخلود منعبا  
لم تُلَف قبلك أمة فى مشهد  
يمشون من حول الجنازة ضائقا  
متثاقلين من الوقار وإنما  
بحر من الأحياء نعشك فوقه  
يبكون فى آثاره العلم الذى

\*\*\*

مُلقي على الأبصار سِترا أغدفا  
خطبُ الآن برُوعه صم الصفا  
من دمعهم إن خانهم متكفكفا  
بعد الفقيد فتى بهم فتوقففا  
هو خير من والى وأوفى من وفى  
ليزيل ذاك العارض المتكشفا  
لما مضيت ولست فيهم تخلففا

سَعَت الخوايد حاسرات والأسى  
ولئن سفرن ولم يخلن فإنه  
فزح الشباب إلى الشيوخ بشأهم  
ومن الغضاظة أن دعا داعى العلا  
جزع النصارى واليهود لمسلم  
بگوا المرجى فى خلاف عارض  
واشترد رُزء المسلمين وحزنهم

\*\*\*

يُعلى لهم صوتًا وينشر مصحفًا؟  
ويرد نقد الناقدين مزيفًا؟  
ويزيل ما يلد التناكر من جفا

من بعد كاتبهم وبعد خطيبهم  
من يرى الإسلام من تهم العدى  
يُبدى لأعين جاهليه فضله

همّاً تعيد له المقام الأشرفا  
سُمراً تهزُّ لكل خطبٍ معطفاً  
ليذود عنه خصمه المتعسفا  
فلقد تجاوزت الهدى متفلسفا  
أَيكون منقصة لها أن تُكسفا؟  
يثنى أشعتها إلى أن يُكشفا  
للعالمين ورادعاً ومثقةفا  
أن قصر الأقوام عنه فأخلفا  
أن خالفوه فما استحال ولا انتفى  
نلنا به هذا الرقيُّ مُسلفا  
ومنى الساحة عوده مستأنفا  
والشرُّ كل الشر أن يتخلفا  
بين العناصر أويهن ويضعفا  
سَقَمٌ ولم يُتلاف عَمٌّ وأتلفا  
بسلامة الإسلام وهى لها ينفا  
أرضت خبيراً بالحياة ومنصفا  
حقُّ الإبانة هل تبالى مرجفا؟  
حتى أنار الكون منها مُشْرِفا

ويثير من غضب الغضاب لمجديه  
لكنَّ من أقلام جنديك حوله  
ولعل حُرّاً لا يدين به انبرى  
قِفْ أيها الناعى عليه جموده  
إن يعتر الشمس الكُسوفُ هنيهةً  
وهل الكُسوف سوى تعرض حائل  
لم تنزل الأديان إلا هاديا  
بشعارٍ حَيٍّ على الفلاح وما بها  
وبكل أمر موجبٍ إصلاحهم  
قد كان للإسلام عهدٌ باهرٌ  
ملاً البلاد إنارةً وحضارةً  
فالخيرُ كلُّ الخير فيه مقبلاً  
يدعو البقاء إلى التكافؤ بالقوى  
والخلق جسمٌ إن ألمَّ ببعضه  
بشرى البرية بعد مُزْمِن دائها  
إن أغضبت تلك السلامة جائراً  
يا من نهضت بنصره وأبنته  
مازلت في مصر تقيم مناره

\* \* \*

وأرى ترابك من حنين قد هفا  
وكأننى بك مُوشِكٌ أن تهتفا  
بأعز منك ولم تعزِّ بأحصفا  
في الحالتين ملايناً ومعنففا  
بصبيب دمعى جارياً مستنزفا  
متصدراً لرماتها مستهدفا  
ومنى لتكفيها المُغير المجحففا

مصر العزيزة قد ذكرت لك اسمها  
وكأننى بالقبر أصبح منبراً  
مصرُ التى لم تحط من نجباتها  
مصرُ التى لم تبغ إلا نفعها  
مصرُ التى غسلت يداك جراحها  
مصرُ التى كافحت لدُّعْداتها  
مصرُ التى سُقت الجيوش مناقبا



بلغ الفداء نزاهاً وتعففاً  
من شملها ما لم يكن ليؤلفا  
لو لم يضافرها رداك فيسعفنا  
شعبٌ يعزُّ بنفسه مستنصفاً

مصرُ التي أحببتها الحبُّ الذي  
حتى مضيتَ كما ابتغيتَ مؤلفاً  
أمنيةً أعييتَ خلالك دونها  
وهي التي لو قُسمتَ لنما بها

\*\*\*

بالحق لا شكساً ولا متصلفاً  
يُعيى الحكيمَ مدبراً ومصرفاً  
فيه مهيب الطبع والمستظرفاً  
يُجدي البلادَ فتبتغيه مُلحفاً  
تهوى ومعطاءً لغيرك مُسرفاً  
بما تقول ولا تعاهدُ مُخلفاً

من كان أجراً منك يوم كريمةٍ  
من كان أقدرَ منك تصرّيفاً لما  
من كان أظهرَ منك خُلُقاً جامعاً  
من كان أزهدَ منك إلا في الذي  
من كان أسمعَ منك مناعاً لما  
من كان أصدقَ منك لا متصلاً

\*\*\*

على اللواء حمى المروءة والوفا  
أغدت معالمهنّ قاعاً صفصفاً  
ورجائه كذب النعنى وأرجفاً  
ملء الوجودُ به ويصبح قد عفاً  
بك في جهادك أو أشد وأشففاً  
عن مصر تضربُ في البلاد مطوّفاً  
بضوء الطريق وتدفع المتخلفاً  
همماً وتوشك أن تطمّ فتجسرفاً  
ويكساد يعزفُ كلُّ حرف معزفاً  
فهو النسيم وقد ذكا وتلطفاً  
نقش المداد رسومها وتخففاً  
وتعاف تحلية لئلاً تكشففاً  
تلك النفوس مروّعا ومشنفاً  
ذكرى وعرفنا الحياة لنعرففاً

لهفى على فخر الصبى هادى النهى  
يا من نعى تلك الفضائل والعلّى  
للا وحقك يا شهيد وفائه  
ما أنت بالرجل الذى يمسى وقد  
إنى أراك ولا تزال كعهدنا  
ثابر على تلك العزائم ذائداً  
أصدر صحائفك التي تحيى بها  
تجربى بها الأنهار وهى دوافقُ  
وتكاد أسطرها تهب نواطقاً  
فإذا حنوت على الحمى متحبباً  
وكأنما الألفاظ ما خففتُ  
تُستام من أثوابها أرواحها  
قم للخطابة في المجامع واملك  
أعد القديم من الممالك والقرى

شَدُّ عَزَائِمِنَا وَقَاتِلُ ضَعْفِنَا  
مَا هَذِهِ الْآيَاتُ يَرْمِي لَفْظُهَا  
مَا ذَلِكَ التَّرْصِيعُ لَيْسَ مَرَصُّعًا  
وَحَيٌّ بِأَهْجِيَةٍ إِذْ مَا أَطْلَقَتْ  
تُحْيِي حَرَارَتَهَا وَتَهْدِي نَوْرَهَا  
تَاللهِ مَا أَنْتَ الْخَطِيبُ وَإِنَّمَا  
عَنْ نَطْقِهِ تَقَعُ الصُّرُوفُ مَوَاعِظًا

\*\*\*

يَا حَبِذَا لَوْ كُلُّ ذَلِكَ لَمْ يَزَلْ  
وَالْآنَ نَحْنُ لَدَى ثَرَاكَ نَحْجُّهُ  
نُثْنِي وَهَلْ يَوْفَى ثَنَاؤُكَ حَقَّهُ  
مَاذَا يُعْيِضُكَ مِنْ شَبَابِكَ نَظْمُنَا  
وَيُعْيِضُ مِنْكَ وَكُنْتَ جَوْهَرَةَ الْحَمَى

لَكِنَّهُ حُلُمٌ مَضَى مُسْتَطَرَفًا  
مُتْلَهِّبِينَ تَشْوِقًا وَتَشَوْفًا  
وَبَأَى أَلْفَاظَ الْمَحَامِدِ يُكَتَفَى  
فِيكَ الرِّثَاءَ مَنْسَقًا وَمُصَفَّفًا  
صَوغُ الْكَلَامِ مَرَصُّعًا وَمَزْخَرَفًا

\*\*\*

يَا أَخْلَصَ الْخُلَصَاءِ أَبْكِي بَعْدَهُ  
هَذَا مِثَالُكَ لَاحَ يَرْعَانَا وَقَدْ  
جَادَ الْهَلَالَ بِرِسْمِهِ تَاجًا لَهُ  
يَا مَنْ رَمَاهُ عُدَاؤُهُ بِتَطْرِفٍ  
كِهْوَاكَ لِلْأَوْطَانِ فَلْيَكُنِ الْهَوَى  
يَجْرِي عَلَى قَدَرِ الْمَطَالِبِ تَامِيًا  
أَنْشَأَتْ مِنْ مِصْرَ الشَّتَاتِ بِفَضْلِهِ  
أَحْدَثَتْ فِيهَا أُمَّةً أَنْدَى يَدًا  
عَرَفَتْ أَهْلِيهَا حَقِيقَةَ قَدَرِهِمْ  
نَفَحَاتُ رَوْحِكَ خَامَرَتْ أَرْوَاحَهُمْ  
حِصْنٌ أَشْمٌ تَسَانَدَتْ أَجْزَاؤُهُ

كَبِكَاءَ مِصْرَ تَحَرَّقَا وَتَلَهَّفَا  
كَشَفَ الْجَوَى عَنْهُ الْحِجَابَ فَأَشْرَفَا  
وَكَسَتْهُ نَاسِجَةُ الطَّهَارَةِ مُطَرَفَا  
حَقَّقَتْ آمَالَ الْهُدَى مُتَطَرَفَا  
لَا مِفْتَاحَ فِيهِ وَلَا مِتْكَلَّفَا  
وَيَجِلُّ فِي مِجْرَاهُ عَنْ أَنْ يَصْدِفَا  
مِصْرَ الْفِتْنَةِ حِمَى يُعْزِ وَمَأْلَفَا  
لِلصَّالِحَاتِ وَبِالْعِظَائِمِ أَكْلَفَا  
وَكَفَاهُمْ مِنْ قَدَرِهِمْ أَنْ يُعْرِفَا  
فَهُمْ مَرَامُكَ سَاءَ دَهْرٌ أَوْ صَفَا  
عِلْمًا وَأَمْنَهُ النَّهْيُ أَنْ يُنْسَفَا

فارقُ رقادَكَ إن ربك قد محا بك ذنبَ مصر كما رجوتَ وقد عفا

وله في سنة ١٩٣٣ قصيدة عصماء ألقاها لمناسبة مرور عام على وفاة حافظ إبراهيم، ضمنها وصفاً رائعاً للنهضة القومية التي كونت حافظاً، وجعلته الشاعر المطبوع المترجم عن آمالها وآلامها، وكيف أن هذه النهضة هي غرس مصطفى كامل، وكيف تعهدوا بجهاذه إلى أن مات، وبموته كانت الآية التي تم بها استقرارها، قال فيها:

طرأت حالةٌ تيقظ فيها      لدعاة الهدى ضمير السواد<sup>(١)</sup>  
 فإذا (حافظ) وقد بثَّ ما في      نفسه من تجهّم وإربداد  
 وبدا للمنى الجلائل فيها      أفقٌ واسع المدى لارتداد  
 ما تجلّى نبوغه كتجليه      وقد هبَّ (مصطفى) للجهاد  
 يوم نادى الفتى العظيم فلبى      من نَبأ<sup>(٢)</sup> قبله بصوت المنادى  
 وَوَرَى<sup>(٣)</sup> ذلك الشعور الذي كا      ن كميناً كالنار تحت الرماد  
 فتأقّى بعد القنوط الدُجوج      سى<sup>(٤)</sup> رجاءً للشاعر المجواد  
 مس منه السواد فانبجست نا      ر ونور من طيِّ ذاك السواد  
 أكبر الدهر وثبةً وثبتها      مصرٌ مفتكّة من الأصفاد  
 وثغاء<sup>(٥)</sup> غدا هزيماً<sup>(٦)</sup> فألقى      رُعبه في مرايض الآساد  
 ما الذى أخرج الشجاعة من حي      ث طوتها قرون الاستبداد  
 وجلا غرة الصلاح فلاح      تزدهى من غياهب الإفساد  
 فإذا أمةً أبيةً ضيم      مالها غير حقها من عتاد  
 نهضت فجأة تنافح في آ      نِ عدوين أسرفا في اللداد  
 أجنبيّاً ألقى المراسى حتى      تقلع الراسيات في الأطواد  
 وهواناً كأنما طبع الشعب      ب عليه تقادم الإخلاق  
 حلبة يُعذرُ المقصر فيها      والخواتيم رهن تلك المبادئ  
 ليس تغييرٌ ما يقوم يسيراً      كيف ما عُودوه من آماد؟  
 غير أن الإيمان كان حليفاً      لقلوب الطليعة الأنجاد

(١) يريد الجمهور.

(٢) نبأ: جأى وتباعد.

(٣) ورى الزند: خرجت ناره.

(٤) المظلم.

(٥) الثغاء: صوت الشاة والمعز.

(٦) الهزيم: صوت الرعد.

فاستعانوا به على ما ابتغوه غير باغين من بعيد المراد إلى أن قال:

بعد وثب في إثر وثبٍ عفيف ساور الأمة التردد والتا  
لا تسل يومذاك عن جلد القا كلما ازدادت الصعاب أبوا إ  
يبدلون القوى وفوق القوى غير مبالين أنها لنفاد  
و (الزعيم الأبر) أطيبهم نفساً عن النفس صراع العوادي  
هل ينجي شعباً من اليأس إلا حَدَثَ من خوارق المعتاد  
مصطفى مصطفى بحسبك إن يذ كر فداءً أن كنت أول فاد  
مصطفى مصطفى ليهنك أن أحـ بيت قومًا بذاك الاستشهاد  
دب فيهم روحٌ جديد له ما بعده في القلوب والأخلاق<sup>(٢)</sup>  
تنقضي الحادثات بعدك والرؤ ح مقيمٌ فيهم على الآباد  
كادَ يومٌ شيعت فيه يريم لحظةً من جلال يوم المعاد  
صدروا عنه بالتعارف فيما بينهم وهو قوة الأعداد  
واستشفوا لبأسهم فيه سرا كم تحامى أن يدركوه الأعادي  
هذه مصر الفتية هبت في صفوفٍ فتية للزيادة  
رجل مات مُخْلَقًا منه جيلًا رابط الجأش غير سهل المقاد  
عهد نور من الحفاظ ونار بعد طول الخمود والإخماد  
تخذت عبقرية الشعر فيه سلماً للعروج والإصعاد  
أبلغت (حافظًا) من الحظ أوجًا زاد منه العلياء كل مراد

### إزاحة الستار عن تثال مصطفى كامل

وله في سنة ١٩٤٠ قصيدة عن مصطفى كامل نظمها بمناسبة إزاحة الستار عن تثاله بعد ظل حبيسا في «مدرسة مصطفى كامل» من سنة ١٩١٤. قال:

(١) التأت عليه الأمر: اختلط والتبس.

(٢) الأخلاق: العقول.

ماذا خشوا من فتنة التمثال؟  
فاضت أسي ودموعهن غوال  
وجلاء من أوفى بنيتها جال  
وتُذادَ عنهم يوم الاستقلال؟  
في بدئها ولكل بدء تال  
فيما ادعى صلفا وجدك عال  
تلقاك بالإكرام والإجلال  
من غُرِّ فتیانٍ وصيد رجال  
في هذه الآساد والأشبال  
وسواك يحسبه رجاء محال  
سرف لمطلوب بعيد نوال

أمنوا بموتك صولة الرئبال  
حبسوه عن مقل إليه مشوقة  
حتى أرادت مصر غير مرادهم  
أُتِهيء استقلال قومك جاهداً  
أنصفت بعض الشيء بل هي توبة  
فلقد تتوب وجد غيرك عاثر  
يا حسن عودك والكنانة حرة  
أيروعك الحشد الذي بك يحتفى  
ماذا بثت من الحياة جديدة  
بعث لموطنك العزيز رجوتَه  
خاطرت فيه بالشباب وبذله

\*\*\*

شوقى إليك فهن جد طوال  
زالوا ولم يشأ القضاء زوالى  
فأحق حى بالأسى أمثالى  
وجب الرثاء فإنما يُرثى لى  
وشخوصهم ملء الزمان حيالى  
وإلى يمينى تارة وشمالى  
في كل حادثة ولست بآل  
يقضى الحمى من حقهم ويوالى  
متجددا بتعاقب الأحوال  
يغدو الفراق بها شبيه وصال  
لا ينقضى بتحول الأحوال

أى مصطفى! ولت سنون وما اشتفى  
عجب بقائى بعد أكرم رفقة  
هم صفوة الدنيا وكانوا صفوها  
حزن بعيد الغور فى قلبى فلإن  
ماذا أقول وهذه أسماؤهم  
تعتادنى فى مسمعى أو ناظرى  
إنى لأحفظ عهدهم وأصونه  
وكان حسى حسهم فرحا بما  
كم فى مغارسهم جنى ألفيته  
سلوى أتاحتها مآثرهم وقد  
وكذاك مجد العبقريّة والفدى

\*\*\*

لو كان يتصف امرؤ بكمال  
غير المكاره فيه والأهوال  
عانيت فى الغدوات والآصال  
من جهد أيام وسهد ليالى

أى مصطفى ما كنت إلّا كاملا  
ماذا لقيت من الصبى ونعيمه  
إنى شهدت شهادة العينين ما  
متطوعا تسخو بما يفنى القوى

إذ قمت بالأمر الجسام ولم يكن  
حال التورع دون إغراء المني  
والقوم في ظمأ ووعدك مطمع  
تسعى ويعترض السبيل قنوطهم  
فتظل تضرب في جوانبه وما  
لك دون ما تبغى مضاء مصمم  
حتى إذا وضح اليقين وصدقت  
فتويت أظهر ما تكون على عدى

\* \* \*

هزت منيتك البلاد ولم تكن  
فالقوم من جزع عليك كأنهم  
كشف الأسى لهم الحجاب فأيقنوا  
وتبينوا أن الخنوع مهانة  
لله حسن بلائهم لما أبوا  
وتوثبوا بعزيمة مصدوقة  
يردون حوضا والمنايا دونه  
حتى أتيح الفتح يجلو حسنه  
فتح بدا اسمك وهو في عنوانه  
إيها شديد الحب للبلد الذي  
أبهج بأوبتك السنية طالعا  
للذكر آفاق سحيقات المدى  
فإذا دنت منا فتلك عوالم  
تطوى من الأدهار مالا ينقضى  
أنوار وجهك طالعتنا اليوم من  
قد أثبتتها مصر بين عيونها  
نعم الثواب لذى مآثر في الفدى

\* \* \*

فتيان مصر وعهدا غير الذي عانت في الأصفاة والأغلال

حيوا مديل حياتها من يأسها      ومذلل الآلام لآمال  
حيوا زعيم اليقظة الأولى بها      وخطيب تورتها في الاستهلال  
هذى مواكبها وتلك وفودها      في ملتقى ذى روعة وجمال  
حفلت برمز نهوضها ومثاله      مالا تدانى صنعة المثال  
لكنها مهج بنته ولم تكن      إلّا ذرائعها فضول المال  
وكفاه فخرا أن ذاك المال لم      يك مكس جاب أو تطول وال  
رسم يلوح وفيه معنى أصله      فيروع بين حقيقة وخيال  
لان الحديد له فصاغ لعينه      أثرا على الأيام ليس يبال  
كم في بليغ سكوته من عبرة      أوفى وأكفى من فصيح مقال  
هو خالد ويظل مدره قومه      في كل نازلة وكل نضال

### تحيته للمجاهدين في المؤتمر الوطنى ببروكسل سنة ١٩١٠

ونظم في سنة ١٩١٠ قصيدة ناجى فيها الوطنيين الأحرار الذين اغتربوا عن مصر لحضور المؤتمر الوطنى الذى عقد برأسه المرحوم محمد فريد بمدينة بروكسل في سبتمبر سنة ١٩١٠. قال:

أتراه فوق مناكب الأدهار      شفقٌ تخلفَ عن بديع نهار<sup>(١)</sup>  
حقبٌ دَجَّتْ منها السُّفوح ولم يزل      فوق الذرى منها بريقٌ نضار<sup>(٢)</sup>  
يا مغرب الماضى أما من آية      فتعود فى سَحَرٍ من الأسحار؟  
هذا صباحٌ مقبل من غيبه      فتبينوه يا أولى الأبصار  
تجد العيون على نواصى أفقه      ضواءًا تألّق من وراء ستار  
سَحَرِ الرجاء بدا لكم وإزاءه      شفق البقية من علّاء وفخار<sup>(٣)</sup>  
شقان من حلى أغرّ تصوغه      تاجًا لمصر أناملُ المقدار<sup>(٤)</sup>

(١) يشير إلى ذكرى المجد القديم وأنها ناقية على الدهر ويعبر عنها بالشفق، أى النور المتخلف عن الشمس بعد غروبها.  
(٢) الحقب السنون. ودجا أظلم. الذرى؛ جمع ذروة، أعلى الشئ. والنضار الذهب. أى أن جهود التأخر قد تركت ظلامًا نجيا على البلاد. ومع ذلك لا يزال فوق الذرى نور الشمس التى غربت.  
(٣) أى يتجلى فجر الأمل وأمامه الذكرى الساطعة للمجد القديم.  
(٤) الحلى وجمعه حلى ما يصنع من مصوغ المعادن، أو الحجارة الكريمة والمقدار هو القدر، يريد أن يجد الماضى والمجد المأمول للمستقبل يتقابلان كشقى تاج لمصر.

تاجٌ ستلبسه الفتاة مخلفاً      عن أمها في سالف الأعصار  
ويكون من آياته وشُعاعه      آيات مجد رجالها الأخيار

\* \* \*

نجباء مصر الواترين لعزها      وجلالها من ذلة وصغار<sup>(١)</sup>  
خوضوا غمار الضيم دون رجائكم      لا فوز إلا بعد خوض غمار  
ما شاء سعدُ الدار أن تشقوا له      فاشقوا له ما شاء سعد الدار  
إن شقَّ ترحالٌ فهذى هجرة      لا سُقة<sup>(٢)</sup> في مثلها فبدار  
سيروا تتموا في الحياة فطالما      كان التقاعس مؤذنا بيوار  
ما اللُّجَّ وادَّع أو تشاكسَ حارناً      إلا ذلول الراكب الكرار<sup>(٣)</sup>  
ما البرُّ أنجد أو أغار بجائب      إلا سليب خطى ونهب قطار<sup>(٤)</sup>

\* \* \*

ركبَ النجاة استطلعوا لبلادكم      في الغرب كل مطالع الأنوار  
هُزوا منابرَه بعالى صوتكم      حتى يرنَّ صداه في الأقطار  
أنتم جنود السُّلم رُسل جهاده      أنتم أشعة مصر في الأمصار  
أنتم أشعة حزمها شَفافة      عن حزنها والنور بثَّ النار  
ترجون أن تحيوا وتحيا مصركم      حق الحياة وما بها من عار  
لا تسأمون تغربا في مبتغى      أسمى الهنات وأشرف الأوطار

\* \* \*

الحكم شورى لا تفرَّد صالح      في غير حكم الواحد القهار  
لا تسترق عسيرة وديارها      لعشيرة غلابية وديار

(١) مخاطب ركب المؤتمر وأعضائه. ويصفهم بأنهم ذاهبون ليثأروا لمصر مما أصابها من ذلة وضم.

(٢) الشقة: السفر البعيد.

(٣) لحج البحر أمواجه. أى ليس البحر إن سهل أو صعب إلا كالركوبة الذلول للفارس الذى يروضها.

(٤) الجانب المسافر.



العدل إن يُقصد فليس بكائن  
الرأى تكمد شمسهُ في موطنٍ  
الخير تُفقد سُبُلُهُ في مجمع  
في نُكر معرفة وغصب جوار  
متناقض الإعلان والإسرار  
متعارض الإقبال والإدبار

\*\*\*

ماذا عليكم أن تكون شعاركم  
لستم بسفاكي دم، لستم إلى  
لستم غلاة، والأقل مرامكم  
لستم غلاة، خال ذلك منكم  
ليس الذي تبغونه من مطلب  
من لم يخل في مصر عبداً شاكياً  
أجزع بسارٍ آمنٍ في معهد  
هذى المطالبُ وهي خير شعار  
غير الحقيقة طامحي الأنظار  
بين الشعوب السُّبُق الأحرار  
من لم يخلكم من ذوى الأخطار<sup>(١)</sup>  
إلا أحقَّ مطالب الأحرار  
في فترة التفكير والإضرار  
وثبت عليه فجاءةً التزآر<sup>(٢)</sup>

\*\*\*

إني ليعجبني كبيرُ مرامكم  
وأقول للمزرى بسنَّ صغاركم  
أمهاجرى أرض الكنانة إنكم  
إمضوا دعاةً للهدى واستنصفوا  
كونوا الشهود له على أعدائه  
وهو الحقيق بغاية الإكبار  
ليس العظيم نفوسهم بصغار  
وجميع من فيها من الأنصار<sup>(٣)</sup>  
بالحق للبلد العزيز الجار  
برجوع شمس نهاره المتواري

### الثبات في الكفاح

وقال لما زاد اضطهاد الحكومة للأحرار وسلطت قانون المطبوعات على الصحف:

شَرِّدُوا أَخْيَارَهَا بَحْرًا وَبَرًّا      واقتلوا أحرارها حُرًّا فَحُرًّا

(١) أى لستم غلاة كما توهم ذلك من ظن أنكم لستم من ذوى الكفايات والأقدار.  
(٢) أجزع: أى ما أشد جزع. والفجاء مصدر فجأة، والتزآر زئير الأسد. يريد أن الإنجليز فوجئوا بالحركة الوطنية في ذلك العهد، كما يفاجأ السارى بزئير الأسد.  
(٣) يسعى أعضاء المؤتمر المهاجرين، وسكان مصر الأنصار، تشبيها لهم بالمهاجرين والأنصار في صدر الإسلام.

إِنَّمَا الصَّالِحُ يَبْقَى صَالِحًا      آخِرَ الدَّهْرِ وَيَبْقَى الشَّرُّ شَرًّا  
كَسَرُوا الْأَقْلَامَ هَلْ تَكْسِيرُهَا      يَمْنَعُ الْأَيْدَى أَنْ تَنْقَشَ صَخْرًا  
قَطَّعُوا الْأَيْدَى هَلْ تَقْطِيعُهَا      يَمْنَعُ الْأَقْدَامَ أَنْ تَرْكَبَ بَحْرًا  
حَطَّطُوا الْأَقْدَامَ هَلْ تَحْطِيطُهَا      يَمْنَعُ الْأَعْيْنَ أَنْ تَنْظُرَ شَرًّا  
أَطْفَأُوا الْأَعْيْنَ هَلْ إِطْفَاؤُهَا      يَمْنَعُ الْأَنْفَاسَ أَنْ تَصْعَدَ زَفْرًا؟  
أَخْجِدُوا الْأَنْفَاسَ، هَذَا جُهْدُكُمْ      وَبِهِ مَنَاجَاتُنَا مِنْكُمْ... فَشُكْرًا!

وقال في هذا المعنى حين توعده الحكومة بالنفي من مصر على أثره نشره الأبيات السابقة:

أَنَا لَا أَخَافُ وَلَا أَرْجَى      فَرَسِي مُؤَهَّبَةٌ وَسَرَجِي  
فَإِذَا نَبَأَ بِي مَتْنُ بَرٍّ      فَالْمَطِيَّةُ بِطُنٍّ لُجٍّ  
لَا قَوْلَ غَيْرِ الْحَقِّ لِي      قَوْلٌ وَهَذَا النَّهْجُ نَهْجِي  
الْوَعْدُ وَالْإِبْعَادُ مَا كَانَا      لَدَى طَرِيقِ فُلْجٍ<sup>(١)</sup>

### يحيى رأس السنة الهجرية

ونظم سنة ١٩١١ قصيدة عشاء حيًّا بها العام الهجري (١٣٢٩)، خاطب فيها شباب مصر ودعاهم إلى الاعتبار بما في هجرة الرسول الكريم من المعاني الجليلة، والأغراض السامية. وأهاب بهم أن يضاعفوا جهودهم لبعث الحياة في مصر والشرق. قال:

هَلْ الْهَلَالُ فَحَيُّوا طَالَعَ الْعِيدِ      حَيُّوا الْبَشِيرَ بِتَحْقِيقِ الْمَوَاعِيدِ  
يَا أَيُّهَا الرَّمْزُ تَسْتَجَلِي الْعُقُولَ بِهِ      لِحِكْمَةِ اللَّهِ مَعْنَى غَيْرِ تَحْدُودِ  
كَأَنَّ حُسْنَكَ هَذَا وَهُوَ رَائِعُنَا      حُسْنُ لِيَكْرِ مِنْ الْأَقْمَارِ مَوْلُودِ  
لِللَّهِ فِي الْخَلْقِ آيَاتٌ وَأَعْجَبُهَا      تَجْدِيدُ رَوْعَتِهَا فِي كُلِّ تَجْدِيدِ

\*\*\*

فَتَيَانُ مِصْرَ وَمَا أَدْعُو بِدَعْوَتِكُمْ      سَوَى مَجِيئِينَ أَحْرَارًا مَنَاجِيدِ<sup>(٢)</sup>  
سَوَى الْأَهْلَةِ مِنْ عِلْمٍ وَمِنْ أَدَبٍ      مُؤْمِلِينَ لِفَضْلِ غَيْرِ مَجْهُودِ

(١) الفلج: الظفر.

(٢) المناجيد: الشجعان السابقون إلى النجدة.

المستسير شِعَار المقتدين به  
ما زال من مبدإ الدنيا يُنبئنا  
فإن تسيروا إلى الغايات سيرته  
العاملين بمغزى منه مقصود<sup>(١)</sup>  
أن التمام بمسعاة وبجهود  
إلى الكمال فقد فُزتم بنشود

\* \* \*

يا عيْدُ جئتَ على وعدٍ تُعيدُ لنا  
بل كنتَ «عيدين» في التقريب بينها  
رُدِّدتَ يوماً يُسرُّ المؤمنون به  
أولى حوادثك الأولى بتأييد  
معنى لطيف ينافي كل تبعيد  
ولم تكن بادئاً يوماً لتعييد

\* \* \*

رسالة الله لا تُنهي بلا نصب  
رسالة الله لو حلت على جبل  
ولو تحملها بحرٌ لشبَّ لظى  
فليس بدعاً إذا ناء الصفيُّ بها  
ينوى الترحُّل عن أهلٍ وعن وطنٍ  
يكاد يكثُّ لولا أن تداركه  
يشقى الأمين وتغريب وتأكيد  
لأنذك منها وأضحى بطن أخذود  
وجف وانهاه فيه كل جلود  
وبات في ألمٍ منها وتسهيّد  
وفي جوانحه أحزان مكبود  
أمر الإله لأمرٍ منه موعود

\* \* \*

فإذ غلا القوم في إيدائه خطلاً  
دعا الموالين إزماعاً لهجرته  
مضى هو البدء، والصديقُ يصحبه  
مؤلياً وجهه شطر (المدينة) في  
حتى إذا اتخذ الغار الأمين حمى  
حماء وشئ بباب الغار منسدل  
يا للعقيدة والصديق في سهر  
وشرّدوا تابعية كل تشريد  
فلم يجبه سوى الرهط الصناديد  
يُغامرُ الحزن في تيهاء صيخود<sup>(٢)</sup>  
ليلٍ أغرَّ على الأدهار مشهود  
ونام بين صفاه نوم مجهود  
من الآلى هدّوده شرّ تهديد<sup>(٣)</sup>  
تؤذيه أفعى ويكي غير منجود

(١) المستسر: المستتر، أى القمر الذى لم يبد في مظهره إلا أقله.

(٢) التيهاء: أرض يتيه فيها السالك. وصيخود شديدة الحر.

(٣) إشارة إلى ما نسج العنكبوت ببابه فضل المتعيقين للرسول.

مُنَى الْقُرَى فَهِيَ حَصْنٌ غَيْرُ مَهْدُودٍ  
سَارِينَ فِي كُلِّ مَسَرَّى غَيْرِ مَرْصُودٍ  
كَهَوَّلَاءِ الْأَعْزَاءِ الْمَطَارِيدِ<sup>(١)</sup>  
فَرَسَانِ رُؤْيَا لَشَأْنٍ غَيْرِ مَعْهُودٍ  
مَالِ خَيْرِ سِرْتٍ فِي مَهْجَةِ الْبِيدِ  
فَوْقَ الظُّلَالِ عَلَى الْمَهْرِیَّةِ الْقُودِ

إِنَّ الْعَقِيدَةَ إِنْ صَحَّتْ وَزَلَزَلَتْ  
أَمَّا الصُّحَابُ الَّذِينَ اسْتَخَرُوا تَلَّوْا  
مَاجِدًا قَيَّصَرُ أَوْ كَسَرَى إِذَا افْتَخَرُوا  
كَأَنَّهُمْ فِي الدُّجَى، وَالنَّجْمُ شَاهِدُهُمْ،  
كَأَنَّهُمْ وَضِيَاءُ الصُّبْحِ كَأَشْفُهُمْ  
فِي حَيْطَةِ اللَّهِ مَا شَعَتْ أَسْنَتُهُمْ

\*\*\*

لِمَ أَرَبٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ مَحْمُودٍ  
حَتَّى يَعُودَ بِتَمَكِّينَ وَتَأْيِيدٍ  
قُدْرَ الْحَيَاةِ، وَمَنْ فَادَى بِهَا فُودَى  
لِلْإِحْفَاطِ بِعَمَرٍ رَهْنٍ تَحْدِيدٍ  
وَلِيَبِغَ فِي الْأَرْضِ شَقًّا كُلِّ رَعْدِيدٍ  
عَدَا الْفَنَاءَ بِذِكْرِ غَيْرِ مَلْحُودٍ

عَانِي «مُحَمَّدٌ» مَا عَانِيَ بِهَجْرَتِهِ  
وَكَمْ غَزَاةٍ وَكَمْ حَرْبٍ تَجَشَّمَهَا  
كَذَا الْحَيَاةَ جِهَادًا، وَالْجِهَادَ عَلَى  
أَذْنَى الْكَفَاحِ كِفَاحُ الْمَرْءِ عَنْ سَفِهِ  
لِيَغْنَمَ الْعَيْشَ طَلَّقًا كُلِّ مَقْتَحِمٍ  
وَمَنْ عَدَا الْأَجَلَ الْمَحْتُومَ مَطْلُبُهُ

\*\*\*

لَكِنَّ صَوْتِي فِيكُمْ صَوْتُ تَرْدِيدٍ  
مِنْ صَالِحَاتٍ أَعَدَّتْهَا لِتَخْلِيدٍ  
طِوَالِ مَا خَلَقْتُ<sup>(٢)</sup> فِيهَا بِتَسْوِيدٍ  
فِي كُلِّ مَسْرَحٍ بِإِدِّ كُلِّ تَوَطِيدٍ  
إِلَّا كَعْبِيدٍ لَهُمْ فِي شَكْلِ مَعْبُودٍ  
بَعْضَ الْمَعَادِنِ أَوْ بَعْضَ الْجَلَامِيدِ<sup>(٣)</sup>  
ثَقَالَ بِطَشٍ لِدَانٍ كَالْأَمَالِيدِ<sup>(٤)</sup>  
إِلَّا مَنَازِلَ تَشْتِيَتْ وَتَبْدِيدٍ  
إِلَّا كَمَا صِيحَ فِي عُفْرِ عِبَادِيدٍ

لَقَدْ عَلِمْتُمْ، وَمَا مِثْلِي يُتَبَكِّمُ  
مَا أَثْمَرَتْ هَجْرَةُ الْهَادِي لِأَمْتِهِ  
وَسَوَّدَتْهَا عَلَى الدُّنْيَا بِأَجْمَعِهَا  
بَدَا وَلِلشُّرْكِ أَشْيَاءُ تُوَطِّدُهُ  
وَالْجَاهِلِيُونَ لَا يَرْضُونَ خَالِقَهُمْ  
مَوْلَاهُمْ عَلَيْهِمْ مِنْ صِنَاعَتِهِمْ  
مُسْتَكْبِرُونَ أَبَاةَ الضِّيمِ غُرُجِجِي  
لَا يَنْزِلُ الرَّأْيُ مِنْهُمْ فِي تَفَرُّقِهِمْ  
وَلَا يَضُمُّ دُعَاءُ مَنْ أَوَابَ بِهِمْ

(١) المطاريد، فرسان الطراد في الحرب

(٢) خلقت، استحدثت.

(٣) الجلاميد، الصخور.

(٤) لدان، جمع لدن، وهو اللين.

ولا يطيقون حكماً غير ما عقدوا لذي لواءٍ على الأهواء معقود

\*\*\*

بأى حلمٍ مبيد الجهل عن ثقة أعاد ذاك الفتى الأمى أمته  
لتلك تالية الفرقان في عجبٍ صعبان راضهما: توحيد معشرهم  
وزاد في الأرض تمهيداً لدعوته وبدئه الحكم بالشورى يتم به  
هذا هو الحق والإجماع أيده وأنى عزمٍ مُذلّ القادة الصيّد  
شملًا جميعاً من الغرّ الأماجيد بل آية الحق إذ يُبغى بتأكيد  
وأخذهم بعد إشراكٍ بتوحيد بعهدده للمسيحيين والهود  
ما شاءه الله عن عدلٍ وعن جود فمن يُفَنِّدُه أولى بتفنيده

\*\*\*

أى مسلمى (مصر) إن الجِدَّ دينكم طال التّعاس والأعوام عاجلة  
هُبوا إلى عمل يُجِدِّى البلاد فما سعيًا وحزمًا، فوُدَّ العدل وُدَّكم  
تعلموا كلَّ علمٍ وانبغوا وخذوا فكّوا العقول من التّصفيد<sup>(١)</sup> تنطلقوا  
وبس ما قيل: شعبٌ غير تجرود والعام ليس إذا ولّى بمرود  
يفيدها قائلٌ: يا أمّتى سودى وإن رأى العدل قومٌ غير مؤدود  
بكلّ خلقٍ نبهٍ أخذ تشديد وما تبالون أقدامًا بتصفيد

\*\*\*

(مصر) الفؤاد فان تُدرك سلامتها فالشرق ليس وقد صَحَّت بمفؤود<sup>(٢)</sup>  
الشرق نصفٌ من الدنيا بلا عملٍ والغرب يرقى وما بالشرق من همٍ  
تشكو الحضارة من جسمٍ أشلَّ به سوى المتاع بما يُضنى وما يودى  
سوى التفاتٍ إلى الماضى وتعدد شطرٌ يُعدُّ وشطرٌ غير معدود

\*\*\*

أبناء (مصر) عليكم واجبٌ جَلَلٌ لبعث محمدٍ قديم العهد مفقود

(٢) المفؤود: المصاب فؤاده.

(١) التصفيد: التقييد.

وَلْتُرْزَه (مصر) بكم مرفوعة الجيد  
حقيقة الفعل والذكرى بتمجيد  
من حاسد كائد كيذا لمحسود  
حُرَّان من كل تقييد وتعبيد  
إلا تداركه الثاني بتسديد  
لما يُعْمُ بنفع كل موجود  
من رَوْضكم كل نام ناضر العود  
دَع زعم كل عدو الحق مريد<sup>(١)</sup>

فَلْيُرْجِع الشرق مرفوع المقام بكم  
ما أجمل الدهر إذ يأتى وأربُعنا  
والشرق والغرب معوان قد خلاصا  
صنوان برَّان في علم وفي عمل  
لَا فِعْل يُخْطِئُ فِيهِ الْخَيْرَ بَعْضُهُمَا  
ولا خصومة إلا في استباقهما  
هذى الثمار التي يرجو الأنام لها  
لمصر والشرق بل للخافقين معا

\*\*\*

فقد تبدل منحوس بمسعود  
يُنْفَى بحسن ولا يُوْهَى بتهديد  
بُشْرَى التَّعَام لوقت غير ممدود  
بخاتم النور زلات الدجى السود

جُوزُوا على بركات الله عامكم  
رجاؤكم أبدا ملء النفوس، فما  
بدا الفلاح، وفي هذا الهلال لكم  
غدا نرى البدر في طرس السماء مخا

### يحيى بعثة الأطباء إلى حرب طرابلس

وقال سنة ١٩١١ يحيى بعثة الأطباء المصريين الذين ارتحلوا إلى ليبيا لمعاونة المجاهدين العرب الذين قاوموا العدوان الإيطالي :

أجر الجهاد وأجر البر بالناس  
صدع الرصاص وجرح الصَّارم القاسى  
غول الردى بين أنياب وأضراس  
ترى العيون غياضا فوق أفراس  
ندى الجفاف وتخبو شعلة الباس  
وإن هم استوحشوا إخوان إناس  
ودافعوا الموت عنهم دَفْعَ أَكْيَاس<sup>(٣)</sup>

سيروا على بركات الله واغتنموا  
لِيَشْفِ مِبْضَعُكُمْ وَالرَّفْقُ يُعْمَلُهُ  
لَهْفَى عَلَى شُوس<sup>(٢)</sup> أبطال تلوكمهم  
كانوا وقد ركبوا للحرب أبهج ما  
واليوم قد عثروا تَنَدَى نضارهم  
كونوا لهم إن شكوا إخوان تأسية  
رُدُّوا عَلَى الْوِطْنِ الْبَاكِي أَعَزَّتْهُ

(٣) أكياس جمع كيس وهو الفطن الذى يحسن الفهم.

(١) مريد: الخبيث.

(٢) شوس جمع أشوس وهو الشجاع الجرىء.

فإن أسقامهم في كل جارحة  
لله مسعاتكم والحق يشكرها  
مبرةً ظهرت أرواحكم وسمت  
خوضوا المصاعب لا يلئم بأنفسكم  
هذا الهلال لكم رآد النهار هدى  
وإن في ظله النّادى برحمته  
أى عصبه الخير داووا أبرياء هؤوا  
لو صور الله في جسم امرئ ملكا

منّا وآلامهم في كلّ إحساس  
والخلق يذكرها ترديد أنفاس  
بها مراتب فوق الضّيم والياس  
ما قد تلاقون من من ضرّ ومن ياس  
وفي اعتكار الدياجى خير نبراس  
لبّسماً لجراح القلب والرّأس  
صرعى مطامع قوادر وسواس  
لصور الملك الإنسى في آس<sup>(١)</sup>

### عتب وطنى

وقال سنة ١٩٢٠ يعتب على أحرار مصر في موقف تردد:

إن تكونوا غماتها وبنها  
أفترضون أن تهون عتيداً  
تلك أوطانكم تباع عليكم  
ما لتلك الذّناب تعس فيها؟<sup>(٢)</sup>  
بعد ذاك الإباء في ماضيها؟  
صفقة بخسة فمن مشتريها؟

### رثاؤه لمحمد فريد

ونظم قصيدة رائعة في رثاء الزعيم الشهيد محمد فريد سنة ١٩١٩؛ قال:

أفريد لا تبعد على الأدهار  
بالأهل بالدم بالرفاهة بالغنى  
حررت نفسك دائب المسعى إلى  
مسترسلا والدهر في إقباله  
ثبتاً إذا ما الراسخون تقلقلوا  
فبررت بالعهد الذى عاهدته  
ما كان ذاك العمر إلا قربة  
ومن المني ما ليس يوفى حقه

أنت الشهيد الخالد التذكار  
فدّيت مصر وفديت من دار  
تحريرها لتعز بعد صغار  
مستبسلا والدهر في الإدبار  
متوافق الإعلان والإسرار  
ووفيت في الإيسار والإعسار  
موصولة الآصال بالأسحار  
حتى يكون الجود بالأعمار

(١) آس أى مداو للجروح

(٢) تعس تطرق ليلاً.

فريد ومصطفى :

إني لأذكر مصطفى ورفيقه  
متوخيًا إعتاق مصر كلاهما  
وكلاهما يسعى الغداة مذلاً  
وكان مصر حيال كل مخاطر  
في قلبها حب الحياة طليقة  
وضميرها أنا فأنا يُجتلى  
عرفا حقيقتها وبثا بثها  
لم يلبثا متآزرين بنية  
حتى إذا ما أيقظا إيمانها  
أبدت أساها يوم فارق مصطفى

في مستهلها وفي الإبدار  
وكلاهما لأخيه خير مبار  
سبل النجاح لمقتفى الآثار  
إذ ذاك في شغل عن الأخطار  
لكنها تخشى أذى الإظهار  
فيرى كما اقتدح الزناد الواري  
ثقة وما كانا من الأيسار  
مصدوقة في خفية وجهار  
فذكاء ذكاء النور قبل النار  
هذا الجوار ورام خير جوار

فريد رئيساً للحزب الوطني :

ذهب الرئيس فنيط عبء مقامه  
أفريد هذا الشأو قد أدركته  
فتقاض أضعاف الذي قدمته  
إن تلمس جاها أصب ما تشتهي  
والشرق يقبل قد عملت من الأولى  
الشعب شبه البحر لا تأمين له  
فغداً ويا حذرا لمثلك من غد  
يسلو الأولى عبدوك أمس وربما  
فتبيت صفر يد وكنت مليئها  
لكن أبيت العرض إلا سالما  
لم تعتقد إلا الولاء وقد أبي  
وسموت عن أن يستمليك خادع  
فظللت مبدوك القويم كعهده

بالأنزه الأوفى من الأنصار  
وسبقت من جارك في المضمار  
واستسق صوب العارض المدرار  
أورفعة فاظفر بالاستيزار  
يتحملون غرائب الأعدار  
ما أمن مقتعد متون بحار  
قد تستفيق ولات حين حذار  
كوفئت من عرف بالاستنكار  
وتذوق كل مرارة الإقتار  
وإن ابتليت بشقوة وضرار  
لك أن تلبى داعى الإخفار  
بالمصب المزجى أو الدينار  
عند الوفاء وفوق الاستئثار



ورسوخ إيمان بالاستمرار  
يرنو إليك بمقلة الغدار  
والبغى جنّاء على الأظهار  
عدت فضائله من الأوزار

فريد في السجن :

إن السجون معاهد الأحرار  
أن اعتقالك مطلق الأفكار  
نوراً تضاء به سبيل السارى  
فيلوح فوق ذراه ضوء منار  
ونرى هدى في وجهك المتوارى  
غُيِّبَتْ عن الأسماع والأبصار  
علم بأن التّم بعد سِرار  
لزموا التفرد عن رضا وخيار  
شظفى المعاش لا بسى الأطار  
لقيام دعوتهم على الأخطار  
بعثوا الهدى كالشمس في الإزهار  
كلم المهيمن في اصطعاق النار  
يسمو به راقٍ من الأنوار  
في الغار عن صرعاته في الغار  
للنفس حررها بالاستئثار  
من أن تمحصهم يد المقدار

ما فوق غَلّ الجيد والإحصار  
أعلى وأغلى صفقة للشارى  
شرفا إلى سجن بغير جدار  
إلا ليدركه القضاء الجارى

تزداد صدق عزيمة بمراسه  
ما إن تبالى ساهراً مترصدًا  
يجنى عليك لغير ذنب باغيا  
من كان جار السوء يوما جاره

قل للرئيس إذا مررت بسجنه  
وافيته طوعا ورأيك ثابت  
إن يجحبوك فإن فكرك رافع  
كم تحجب الظلمات طودًا شامخًا  
إننا لنسمع من سكوتك حكمة  
وإذا النفوس تجردت لمرامها  
حاشاك أن تأسى وهل تأسى على  
الأنبياء انتابهم زمن به  
لجأوا إلى الخلوات واحتبسوا يها  
مستجمعين مروضين قلوبهم  
ومن الغيابات التى أمسوا بها  
سل موحشًا في طور سينا سامعًا  
سل طيف جلجلة يكاد من الطوى  
سل خاليا بحرًا يلبي ربه  
بالعزلة اكتملوا ورب مروض  
لا شيء أبلغ بالدعاة إلى المنى

فريد في طريق المنفى :

لم يكفه ما كان حتى جاءه  
النفى بعد السجن: تلك عقوبة  
يسموا بها السجن القريب جداره  
لا يترك الجارى عليه حكمه

إحدى المدائن سیرت ببخار  
دامی الفؤاد وشیک الاستعبار  
والزاحفات أمینة الأحجار  
ما فيه من غصص ومن أکدار  
لشفاء مسغبة به وأوار  
أعطافها بالأزرق الزخار  
أنس الحمى وجماله السحار  
من طیب تلك الجنة المعطار  
لغة الأنیس إلى لغی الأطيار  
سیهيم في الدنيا بغير قرار  
في قومه ویزور كل مزار  
بسکينة للکوکب السيار؟  
أنضته في الرحلات والأسفار  
إلا شکاة المحرب الکرار  
في العالمين، الفوز للصبّار  
عزا ویسترها بستر وقار  
أن یجینحوا وجلاً إلى الإقصار

أى السفائن تستقل كأنها  
ینأى بها عن أهله ورفاقه  
ینبو ذرا البلد الأمين بمثله  
متلفتاً حين الوداع وفي الحشى  
متشبعاً متروياً مما یرى  
یرنو إلى صفر الشواطئ منطقت  
ویذوب قبل البین من شوق إلى  
یستاف ما تأتی الصبا بفضوله  
وبسمعه لحن المواطن جامعا  
لهفی علیه مشرداً قبل الردى  
من أجل مصر یوم كل میم  
لا یوم یسکن فيه من وثب، ومن  
في غربة موصولة آلامها  
تنتابه الصدمات لا یشکو لها  
ثقة بأن الفوز لیس لجازع  
وتعضه الفاقات لا یلوح بها  
حرصاً على المتطولين بفضلهم

فريد في مرضه:

تردى الأسود ضرورة الأخدار  
بین الجوانح أنذرت بیوار  
والیوم عدن علیه غیر قصار  
خلع النضارة واكتسى ببهار؟  
كالرسم في جرف به منهار؟  
عثر به العلات كل عثار؟  
تنتابه هدأت الاستقرار؟  
من لم یذق في العمر طقم عقار

ما كان هذا الحد حد عذابه  
صال الشقاء على فريد صولة  
قصرت لیالیه على مجهوده  
ما بال ذاك الوجه بعد تورّد  
ما بال ذك الوجه بات من الضنى  
ما بال ذاك العزم بعد مضائه  
ما بال ذاك القلب بعد خفوقه  
أمسى یعالج سكرة في نزع

ولو استطاع لما أضع دقيقة  
وفى بما أعطاه حق بلاده  
أمكانه هذا أتلك حليه  
أكذاك يختم فى الشقاء حياته  
ماذا تفى من حقه بعد الذى  
إن الذى يبلوه شارى قومه  
عظة وفاته:

مات الرئيس فراع مصر وأهلها  
مات العصامى العظامى الذى  
تحية الختام:

أفريد هذا ما يهينه الفدى  
نم إن مصرنا عنك راضية وفز  
أوتسكت أجزع فانتهت بأنى  
لشيرة فديتها وديار  
من شكرها بمتوبة الأخيار  
آنست فيك مشيئة للبارى

### تحية الشهداء

قال فى حفلة أقيمت سنة ١٩٢٤ لتحية أرواح شهداء الحركة الوطنية:

### إلى أرواح الشهداء

تحية أيها القتلى وتسليما  
لا يعبد المرء رباً لا ولاوطناً  
قلتكم وصدق ما قلتكم تحمّلكم  
ما الموت إن كان إنقاذ البلاد به  
يُحطّم العظم منكم دون بُغيّتكم  
براً (بصر) وخوفاً أن يُسلّمها  
ليس الشهادة إلا من يموت على  
بلغتم الشأ وتخليداً وتعظيماً  
بمثل إغلائه القربان تقديماً  
أذى يَرُدُّ فِرْنَد الصبر مثلوماً<sup>(١)</sup>  
من غاصب وانتصاف الشعب مظلوما  
فتصبرون ويأبى العزم تحطيماً  
إلى العدى وإهناؤ الإيمان تسليماً  
حق ومن لا يبالي فيه ما سيم

(١) القرنند: حد السيف.

إمضوا رفاقاً كراماً، حسبكم عوضاً  
للمشتري بصباه عَزَّ أُمته  
وللتى استبدلت بالقبر مرتعها  
لا تحسبوا مصر تنساكم فكلُّكمو  
وفي المربع من أرواحكم نَسَمٌ  
مجدُّ عزيز على الخطَّاب إن رِما  
ذكرُ يُديمُ اسمه بالتبر مرقوما  
قِسْطُ من الفخر فوق العمر تقويما  
يَبْقَى على الدهر مَرُومًا ومرحوما  
تَظَلُّ تَأْتِي بها لأرواح تنسيما

### تحية للذين أطلقوا من الاعتقال

وقال في هذه القصيدة مخاطبا من أفرج عنهم من الاعتقال :

يا خارجين كراماً من محابسهم  
كم كُبلَ الحقُّ بالأصفاد من قِدمِ  
يا سوء دهر قَضَتْه قبل نهضتها  
تَبَى قَوَى اللَّيْثِ من عَيْثِ الذَّنابِ بها  
فاليوم عاد إلى رأيٍ يُشَرِّفُها  
دَلَّتْ على قوةٍ فيها صلابتكم  
هل يُجْزِيءُ الشكر من ضيم تحمله  
قد أتموكم وكم من مُثَلَّةٍ نزلتْ  
وبعض ما عاقبوكم فيه جَعَلُكمو  
لا حاكماً دون ما أوحَتْ ضمائرُكم  
ومبتهجى كلِّ قلبٍ كان مغموما  
ثم انطَوَيْنَ وباء البُطْلُ مهزوما  
(مُضَرٌّ) يَخِيْمُ فيها الذُّلُّ تخيما  
ويلتوى الأمرُ تحليلاً وتَحْرِيا  
من ظنَّ إقليما لها للخفض إقليما  
تذود عنها الأشداءُ المقاحيما  
بالأمس من كان منكمو في رأيه ضيما  
بالأبرياء وبالأبرار تأثيما  
صَدَقَ الهوى لِلْجَمَى دِينًا وتعليما  
تُراقبون ولا تَرَعُونَ محكوما

\*\*\*

لقد ظفرتم بما أدنى القصي لكم  
هل استقام زمانٌ لا يُقَوِّمُه  
أونال حُرِّيَّةَ قومٍ بها جَدُّوا  
من المرام فليس الفوزُ مزعوما  
بنوه بالصبر والإقدام تقويما؟  
وهم يبالون تَقْتِيلًا وتكليما<sup>(١)</sup>

\*\*\*

يا سادة كالنجوم الغرَّ منزلةً  
وسيداتٍ كِعَقْدِ الدُّرِّ منظوما

(١) التكلیم: التجريح.

هَذَا لِإِقْبَالِكُمْ هَذَا وَحَفَلْتُمْ  
مِنَ الْأُولَى مَاوَنُوا عَنْ وَاجِبِ فَبَنُوا  
أَوْلَيْكُمْ إِنْ بَدَأَ مِنْ فَضْلِهِمْ أَثَرُ  
فَلْتَحَى «مِصْرُ» وَأَبْرَارُ نُجْلِهِمْ  
تَهْنِئُونَ الصَّنَادِيدَ الْمُقَادِيمَا  
لِعَزِّ «مِصْرٍ» طَرَفًا<sup>(١)</sup> كَانَ مَهْدُومَا  
فَكَمْ لَهُمْ مِنْ جَمِيلٍ ظَلَّ مَكْتُومَا  
وَنَحْتَفَى بِهِمْ حُبَا وَتَكْرِيمَا

### رثاؤه لأمين الرافعي

ومن قصيدة له في رثاء المرحوم أمين الرافعي الذي انتقل إلى جوار ربه في ٢٩ ديسمبر سنة ١٩٢٧. وقد ألفت هذه القصيدة في حفلة تأبينه:

بَاعُوا الْمُخَلَّدَ بِالْحَطَامِ الْفَانِي  
تِلْكَ الْحَيَاةُ أَمَانَةٌ أَدَيْتَهَا  
بِالصَّبْرِ وَالْإِيمَانِ أَخْلَصَ بَدْوُهَا  
أَعْرَضَتْ عَنْ لِدَاتِهَا مِنْذُ الصَّبِيِّ  
مَتَوَخِّيًا مِنْ دُونِهَا أُمْنِيَّةً  
تَهْوَى الْبِلَادَ وَلَا هَوَى لِكَ غَيْرِهَا  
ظَلَّتْ تَنَازَعُكَ الصُّرُوفُ بِمَا بِهَا  
مَسْتَنْزَفًا دِمَاكَ الزَّكِيُّ وَلَمْ يُرَقْ  
فِي صَوْلَةٍ لِلدَّهْرِ تَعْقِبُ صَوْلَةً  
حَتَّى قَضَيْتَ شَهِيدَ رَأْيِكَ وَانْقَضَى  
وَبَحَّ الْأَبَى تَسْوَهُ أَيَّامُهُ  
مِمَّنْ يَقْدَمُ فِي الرِّجَالِ وَمَا بِهِ  
مَاذَا دَهَى «الْفُسْطَاطُ» حِينَ تَجَاوَبَتْ  
وَجَلَا عَنِ الْقَدَرِ الْمُخْبَأَ لِيْلُهَا  
وَشَرَيْتَ بِالْأَغْلَى مِنَ الْأَنْمَانِ  
بِتَمَامِهَا لِلَّهِ وَالْأَوْطَانِ  
وَحَتَمَها بِالصَّبْرِ وَالْإِيمَانِ  
وَالرُّؤُوسُ تُغْرَى وَالْقُطُوفُ دَوَانِي  
لَمْ يَوْهْ وَحَدَّثَهَا شَتِيَّةُ أَمَانِي  
أَوْ تُفْتَدَى مِنْ ذَلِيلَةٍ وَهَوَانِ  
مِنْ مُنِّيَّةٍ، وَظَلَّتْ ثَبَّتَ جَنَانِ  
بِشَبَابَةٍ قَرُضَابٍ وَلَا بَسْنَانِ  
مَنْتَابَةٍ فِي الْآنَ بَعْدَ الْآنِ  
مَا كُنْتُ تَلْقَى دُونَهُ وَتَعَانِي  
وَتَسْرُ كُلَّ مِمَّا ذِي<sup>(٢)</sup> مَذْعَانِ  
إِلَّا الْبُلَاءُ بِكَاذِبِ الْأَلْوَانِ  
أَصْدَاؤُهَا لِنَوَاكٍ بِالْإِرْنَانِ<sup>(٣)</sup>؟  
وَبَدَا الصَّبَاحُ مَقْرَحَ الْأَجْفَانِ

\*\*\*

(١) الطرف: البيت.  
(٢) مماذق: أى غير مخلص.  
(٣) الإرنان: رفع الصوت.

خطبُ أَرانَا في مجالاتِ الفِدَى      والصدقِ كيفِ مِصارُعُ الشَّجَعَانِ  
فالشرقُ في شَرَقٍ منِ الدَّمعِ الذي      أجرى العيونَ وفاضَ بالغُدْرَانِ

\* \* \*

أَيُّ «مِصْطَفَى» يَبْكِيكَ قَوْمَكَ كُلِّهَا      عَادَتْهُمْ وَذَكَرَى فِتْيَ الْفُتَيَانِ  
يَوْمَ الْوَفَاءِ دَعَا فَكُنْتَ لَوَاءَهُ      وَطَلِيعَةً لَطَلِيعَةِ الْفَرَسَانِ  
هَذَا شَهِيدٌ مِنْ وَلَاتِكَ خَامِسٌ      يَهْوَى بِحَيْثُ هَوَيْتَ فِي الْمِيدَانِ  
لِكَاثِهِمْ، وَالْمَوْتُ أَسْوَأُ مَغْنَمٍ،      يَتَرَاكُضُونَ إِلَيْهِ خَيْلَ رَهَانِ  
بَذَلُوا النَفْسَ لِلَّهِ أَذَلَّتْ وَأَرْخَصُوا      مَا عَزَّ مِنْ جَاهٍ وَمِنْ قُنْيَانِ  
فَإِذَا ذُكِرْتَ وَأَنْتَ عَنَوَانُ الْفَدَى      فَاسْمُ الرِّفَاقِ تَتِمَّةُ الْعَنَوَانِ

وظل خليل مطران يغرد بشعره ألحان الحرية، ولا ينقطع عن التغريد حتى فاضت روحه  
الكريمة مساء ٣٠ يونيو سنة ١٩٤٩.

\* \* \*

# أحمد محرم

١٨٧١ - ١٩٤٥



شاعر ملهم، من شعراء الوطنية والأخلاق، كان أدباء الجيل يضعونه في صف سوقى وحافظ ومطران، وكان سيخ الشعراء إسماعيل صبرى يتغنى بسعر هؤلاء الأربعة ويطيب له التحدث عنهم، وامتاز محرم إلى جانب مكانته الشعرية بحرارة العاطفة، وتذوقه للفن والجمال، وقوة إيمانه، وتأملاته العميقة الفلسفية، واستمساكه طول حياته بمبادئه الوطنية، فكان شعره كله وقفاً على المبادئ، لم ينحرف عنها يوماً في قصيدة أو في أى بيت من الشعر، ظل مقبلاً عليها وفيها لها في السراء والضراء، فكان حقاً مثلاً أعلى في الشعر والوطنية، وكان مصطفى كامل يعجب به

وبشعره، ويشيد به على صفحات (اللواء)، ويسميه (نابغة البحيرة)، وبقي أحمد محرم على صلته به ووفائه له ولذكراه، كما ظل وفيّاً لمبادئه الوطنية إلى أن توفاه الله في ١٣ يونيو سنة ١٩٤٥. كان شاعراً بفطرته وسليقته، قال الشعر وهو في سن مبكرة. ومعلّفته التي يقول في مطلعها:

منازل سلمى لا عدتك الغنائم وإن درست بالجزع منك المعالم  
قد نظمها وهو في السادسة عشرة من عمره.

## وطنيته في شعره

تتجلى روحه الوطنية التي ألهمته الشعر أكثر ما تتجلى حين أصدر الجزء الأول من ديوانه سنة ١٩٠٨، فقد أهداه إلى (النيل)، وكتب كلمة الإهداء في عنوان الكتاب (هدية النيل)، وأعقبها بهذا البيت الذى يترجم عن وطنيته الأصيلة مخاطباً النيل قال:

وَهَبْتُكَ مُلْكَ القريظ العتيد      وذلك أفضل ما يوهبُ

وقال في مقدمة ديوانه يشرح المعنى الذى استوحاه في إهداء ديوانه إلى النيل:

«لقد جرى أكثر الكتاب والشعراء على أن يهدوا مؤلفاتهم إلى من شاؤا من ذوى الثروة

والجاء تعرضاً لمؤازرتهم والانتفاع بهم وسط هذا الكساد الآخذ بأكظام الأدب في بلادنا، ولكنني انصرفت بشعري عن تلك المواقف، وبرئت إلى نفسي أن آخذ بهذه الأسباب، على ما أعلم من وعورة مسلكي، وضيق مضطربي، وما كنت في ذلك إلا جاريًا على سنتي في سياسة نفسي، وتصريف ما آتى وأدع من أمور الحياة، فما استظهرت بغير أخ حفي، أو صديق صفي، ولا آثرت أن أهدي ديواني إلى غير (النيل)، ذلك الأب الذي وهبني نعمة الحياة، وأفاض عليّ هذه المنح والصلات.

فيا نيلُ أنت الهوى والحياة	وأنت الأمير وأنت الأبُ
ويا نيل أنت الصديق الوفيُّ	وأنت الأخ الأصدق الأطيب
وأنت القريض الذي أقتفى	فيزهي به الشرق والمغربُ
فإن أهب الخصبَ هذه العقول	فما سننت لها تخصب
وإن أنا أطربت هذه النفوس	فصوتك لا صوتي المطرب
تسيل فتدفق الرائعات	وتجري فتستبق الجوبُ

إلى أن قال:

لئن فاتني الذهب المستفاض	فما فاتني الأدب المذهب
وهبتك مُلك القريض العتيد	وذلك أفضل ما يوهب

وقد ظهر الجزء الثاني من ديوانه سنة ١٩٢٠.

### دعوة الوطنية

قال يدعو مواطنيه إلى الإخلاص لبلادهم والعمل على استعادة مجدها:

دعا فائزار الساكنين دعاؤه	ونادى فراع الأمنين ندائه
أخو وصّب ما أن يحم انقضاؤه	وذو أرب ما أن يحين قضاؤه
به من بنى مصر عناء مبرّح	فياليت شعري هل يزول عناؤه؟
أما إنه لو كان يُسقى غليله	بكاء على مصر لطلال بكائه
تقسمها الأقوام لا ذوحية	فيحمر ولا واق فيُرجى وقاؤه
وما مصر إلا موطن نحن أهله	عزيز علينا أرضه وسماؤه

إلى أن قال يستنكر الاحتلال البغيض ويهيب بالأمة أن تحاربه:



ثوى فيه أقوامٌ مللنا ثواءهم .  
لقد كان يابى أن يذلَّ لغاصب  
لقد كان يرعاه رجال أعزة  
هم تناضلوا عنه فصانوا ذماره  
ويا ربَّ ثاوٍ لا يُملُّ ثواؤه  
فيا ليت شعري أين ضاع إياؤه؟  
بهم من صروف الدهر كان احتماؤه  
بصارم عزم ما يُردِّ مضاؤه

\* \* \*

بنى وطنى لا تسخطوه عليكم  
بنى وطنى خلّوا التخاذل إنه  
سلامٌ عليكم من أخ ذى حمية  
فليس سواءٌ سخطه ورضاءه  
بلاؤكم يجتاحكم وبلاؤه  
دعى فأتار الساكنين دعاؤه

### لواء الوطنية

وقال يمجّد لواء الوطنية ويدعو إلى الالتفاف حوله والتضحية في سبيله:

فداؤك نفسى من لواء محب  
إذا ما دعى أنصاره التف حوله  
فمنهم قوّل للصواب مسدّد  
يدين له الجبار غير معذل  
ومنهم فعولٌ للمكارم ماجدٌ  
هم الصحب صانوا للديار لواءها  
يكرون كرّ الدارعين إلى الردى  
إذا طلبوا حقاً تداعوا فأجلّوا

إلى أن قال:

وما منع الأوطانَ إلّا حماؤها  
هم ذخرها المرجوُّ فى كلِّ حادث  
سلامٌ عليهم من كهول وفتية  
وذاذتها من ذى شباب وأشب  
وعُدتها فى كلِّ يوم عَصْبُصْب  
وبورك فيهم من شهود وغُيب

(١) جعاجة جمع جعاج السيد المسارع فى المكارم.

## كبوة الشرق

وقال تحت عنوان (كبوة الشرق) يستصرخ أهله ليعيدوا إليه سالف مجده:

متى ينهض الشرق من كبوته	وحتى متى هو في غفوته؟
كَبَا وكذلك يكبو الجواد	براكبه وهو في حلبته
ونام كما نام ذو كربة	تلكه اليأس في كربته
وَهَى عَزْمُهُ ما يطيق الحراك	وقد كان كالليث في وثبته
تجرّ عليه عوادى الخطوب	كلا كلّها وهو في غفلته
نواهبٌ ما كان من مجده	سوالبُ ما كان من عزّته

إلى أن قال:

فيألف قلبي لمجدٍ مضى	ويا شوق نفسي إلى عودته!
ويألف آباءنا الأولين	على الشرق إن ظل في نكبته
هم غادروه كروض أريض	تتوق النفوس إلى نضرته
ونحن تركناه للعاديّات	<u>ولم نرع ما ضاع من حرّمته</u>
فأذهبن ما كان من حسنه	وأفنين ما كان من بهجته

\*\*\*

فهل يسمع القول أهل القبور	خطيبٌ فيسهب في خطبته
يناديهم فيم هذا الرقّاد؟	كفى ما دهى الشرق من رقدته
لقد ضاع بعدكمو مجده	وكل المثالب في ضيعته
وأنتم رجال ذوو نجدة	فلا تقعدوا اليوم عن نجدته

## يدعو إلى بعث مصر

وقال يذكر مجد مصر الغابر ويدعو مواطنيه إلى النهوض لاستعادة هذا المجد:

أهذى ديار القوم غيّرهما الدهرُ	فعوجوا عليها نكبها أيها السفر
محي آيها مرّ العصور وكُرّها	إذا مرّ العصرُ كر من بعده عصر

نسائلها أين استقلّ قطينها  
وكائن ترى من ذى ثمانين خَضِبْتُ  
بكى وطنها أودت بسالف مجده  
أغارَت عليه من جنوب وشمّال

وهل تنطق الدار المعطلة القفر؟  
لطول البكا من شبيه الأدمع الحمر  
حوادث دهر من خلائقه الغدر  
فما برحت حتى أتيح لها النصر

\* \* \*

ألا إنها مصر التي شقيت بنا  
مضى عزّها القُدُوسُ<sup>(١)</sup> ما يستعيده  
هم رقدوا عنها فطال رقادهم

فياويح مصر ما الذى لقيت مصر؟  
بنوها فلا عزٌّ لديهم ولا فخر  
فديتكمو هُبُوا فقد طلع الفجر!

### ذكرى ١٤ سبتمبر سنة ١٨٨٢

وقال عن ذكرى احتلال الإنجليز القاهرة يوم ١٤ سبتمبر سنة ١٨٨٢ :

نلومك يا يوم النحوس ونعذل  
فلا نحن ما عشنا عن اللوم نرعوى

وأنت على ما أنت قمضى وتقبل  
ولا أنت ماكرّ الجديدان تحفل

إلى أن قال :

لعلك أن تأقى بما تعد المنى  
لحى الله قوماً يحملونا من الأذى  
هم خذلوها فاستبيح حريها

نفوس رجال أوشكت تململ  
بما ضيعوا الأوطان ما ليس يحمل  
وما برحت تبغى انتصاراً فتخذل

### يهاجم الاحتلال

وقال سنة ١٩٠٢ ينعى على الاحتلال بغيه وعدوانه، وعلى الإنجليز نقضهم للعهود والمواثيق :

في كل يوم شرعة ونظام  
عشرون عاما والديار مريضة  
لم يعرف المتطبّبون دواءها

ما هكذا الأحكام والحكام  
تنتابها الأدوية والأسقام  
فتنوعت في دائها الأوهام

(١) القدوس: القديم.

ترك العليل تذيبه الآلام  
حتى يعود الداء وهو عقام  
أم كيف يزجى عزها ويرام؟  
عنها على زجر المهيب نيام

إن الأساة لتعلم الداء الذى  
ولربما غش الطبيب عليه  
كيف الشفاء لمصر من أدوائها  
والمصلحون كما علمت وأهلها

إلى أن قال مخاطبا بريطانيا:

علما تُنكسُ تحتنه الأعلام  
إن كان منك لموثيق إبرام؟  
يا هذه، نقض العهود حرام  
تأقى وتذهب بعدها الأعوام  
ليطول لولا الجهل منك مقام

يا دولة رفعت على أوطاننا  
أين الموائيق التى أبرمتها  
لم تحفلى بعهودنا فنقضتها  
عشرون عاما ما كفتك وهكذا  
طال المقام وأنت أنتى ولم يكن

وقال يهيب بالأمة أن تهب للجهاد:

ستيلها أيديهم الأيام

غنموا نفائسه ونم بقية

\*\*\*

ويدوم منه البر والإكرام  
أودى بهاتيك النفوس أوام  
ترعى لدى أمثاله الأرحام

عجبا لهذا النيل كيف نعقه  
لو كان يحزينا بسوء صنيعنا  
لكنها رجم الجدود ولم تنزل

\*\*\*

أبدًا يكلف نصحكم ويسام  
عنكم وعننا ذلك الضرغام  
هبي فقد أودت بك الأحلام  
والمرء يُظلم غافلا ويُضام  
حول الحمى مستيقظون قيام  
نوم عن الأوطان واستسلام  
فعليهم وعلى الديار سلام

يا آل مصر خذوا نصيحة شاعر  
لا تغفلوا عنها فليس بغافل  
يا أمة خاط الكرى أجفانها  
هبي فما يحمى المحارم راقد  
هبي فما يغنى رقادك والعدى  
شيثان يذهب بالشعوب كلاهما  
إلا يحزن للراقدين قيام

## يدعو إلى البذل والتضحية في سبيل مصر

من قصيدة له نظمها سنة ١٩٠٤ بمناسبة إنشاء مدرسة محمد على الصناعية بالإسكندرية:

من يُسعد الأوطانَ غيرُ بنيتها	وينيلها الآمالَ غيرُ ذوها
ليس الكريمُ بمن يرى أوطانه	نَهَبَ العوادى ثم لا يحميها
ترجو بنجدته انقضاء شقائها	وهو الذى بقعوده يشقيها
وتودُّ جاهدةً به دفعَ الأذى	عن نفسها وهو الذى يؤذيها
سُبُلُ المكارم للكرام قويمه	فعلام يخطئها الذى يبغيها؟
ما أكثر المتفاخرين وإنما	فخر الكرام بإحبت أيديها
يحوى الكريم المالَ لا يبغي به	شيئاً سوى أكرومة يحويها
والجود يُحمد حيث كان وخيره	مانال أوطان الفتى وبنيتها
ولقلها أرضى امرؤ أوطانه	حتى تراه بنفسه يفديها

\*\*\*

يا آل مصر وما يؤدى حقها	إلا فتى يكفى الذى يعنيهها
هى أمكم لا كان من أبنائها	من لا يواسيها ولا يرضيها
وهبتكم الخيرَ الجزيل فهل فتى	منكم بحسن صنيعها يجزيها؟
سعدت لعمري بالصنائع حقبة	دلّت على (عجل) فمن يتنيها؟
دار الصنائع خير دار تبتنى	فالله يجزى الخير من بينها

## يطعن في الملوك، ويستهجن الرتب والألقاب

من قصيدة بعنوان (الشرف والملوك)، وإذا عرفت أنه نظم هذه القصيدة ونشرها سنة ١٩٠٨ في الجزء الأول من ديوانه، لرأيت أنه أول شاعر وطنى حمل على الرتب والألقاب، وأول من هاجم الملكية والملوك بهذه القوة والشجاعة، فسبق بهذه القصيدة الخالدة عجلة الحوادث بنصف قرن من الزمان، قال:

كذب الملوك ومن يحاول عندهم	سُرْقاً ويزعم أنهم سُرقاء؟
رُتَبٌ وألقاب تُغرُّ وما بها	فخرٌ لمحزرها ولا استعلاء

آنذا تباع وتارة هي خدعة  
كم رتبة نعيم الغبيى بنيلها  
لو كان يعلم ذلها وهوانها  
يلقى الكرامة حيث كان وفعله  
تلك الجهالة والغرور وباطل  
تمنى بشر سعاتها الأمراء  
من حيث جللها أسى وشقاء  
ما طال منه الزهو والخيلاء  
جم المساوى والمقال هراء  
ما يصنع الأغرار والجهلاء

\* \* \*

ذنب الملوك رمى الشعوب بنكبة  
لا المجد مجد ما عبثت به  
مألوا عن الشرف الصميم وأحدثوا  
رفعوا لطعام على الكرام فأشكلت  
وإذا الرعاة تنكبت سبل الهدى  
وإذا الطبيب رمى العليل بدائه  
جلى تنوء بحملها الغبراء  
أيدى الملوك ولا السناء ساء  
ما شاءت الأهوام والأهواء  
قيم الرجال ورايت الأشياء  
غوت الهداة وطاشت الحكماء  
فيمن يؤمل أن يبلّ الداء ؟

\* \* \*

لو جاور الشرف الملوك لأورقت  
ظلم يُبرح بالبرىء وغلظة  
الحق منتهك المحارم بينهم  
رفعوا العروش على الدماء وإنما  
صم الصخور وضأت الظلماء  
يشقى بها الضعفاء والفقراء  
والعدل وهم والوفاء هباء  
تبقى السفينة ما أقام الماء !

### يرثى مصطفى كامل

قال سنة ١٩٠٨ من قصيدة له في رثاء مصطفى كامل:

مازلت تقتحم المصاعب مجهدا  
حتى طواك الموت غير مجامل  
أحييته وقتلت نفسك بالذى  
هلا رحمت نفوسنا فرحتها  
نفسا موطننة على الأهوال  
شعبا يهلك أيما إجلال  
حملتها من فادح الأثقال  
وبقيت تكفيننا أذى المقتال

وختمها بقوله :

إن كان قد حُمَّ الفراق فوقفة      تشفى نفوسا آذنت بزوال  
هيهات ما جزع النفوس لراحل      سارت به الحدياء غير خيال  
سرُ فالحياة كما علمت رواية      محتومة الأدواء بالآجال

### يدافع عن حرية الصحافة، ويلوم الخديو عباس

قال من قصيدة له سنة ١٩٠٩ ينعى على الحكومة تقييدها حرية الصحافة، وفيها يوجه اللوم إلى الخديو عباس الثاني في خذلانه للأمة :

صَبَّوْا المداد وحطَّمُوا الأَقَامَا      واطووا الصحف وانزعوا الأفهاما؛  
وخذوا على الوجدان كل ثنية      واقضوا الحياة مزملين نياما  
ودعوا البلاد تذوق من عنت العدا      ما شاء خادمها الخؤون وناما

\* \* \*

اليومُ مُنِعَ أن نثن لمؤلم      أو تشتكى الإعنات والإرغاما  
والله لا ندع الشكاية منهم      أو ينعوا الأوصاب والآلاما  
كيف القرار على الإساءة والأذى      أم كيف نكتم في القلوب ضراما؟  
ومتى رضينا أن نعيش أذلة      فنطبق مسكنة أو استسلاما؟

إلى أن قال يخاطب الخديو عباس الثاني ويلومه :

ماذا بدا لك فاعتزلت صفوفنا      أفأصبحت حرب الغزاة سلاما؟  
الحرب دائرة وجيشك قائم      ينضى السيوف ويرفع الأعلاما  
والملك مضطرب ومصر كعهدها      تدعو الحماة وتشتكى الأقواما  
إن كنت خاذلها ولست بفاعل      فحماها لا يخفرون ذماما<sup>(١)</sup>  
أتخون مصر وما تحوّل نيلها      سبًا وما انقلب الضياء ظلاما  
نبغى لها الشرف الأشم مؤيدًا      بالبأس يؤس صرحه الهداما

(١) يقصد حماها أبناءها المجاهدين.

ونعز رايتها ونغـنـح حوضها  
عباسُ رأيك في البلاد وأهلها  
ونزيد صادق حبها استحكاما  
إن كان عسف فالزمان مؤرخ  
أن الأذى يستـضـرم الأوغاما  
يحصي لنا الحسنات والآثاما

\*\*\*

قلمي. كتابي. أمتي. وطني. متى  
نشفي نفوسا تستطير أواما؟

### يندد بملوك الشرق

من قصيدة له سنة ١٩١٢ بعنوان (الملك الزائل) يندد فيها بملوك الشرق لمناسبة ضياع  
مراكش بعد توقيع السلطان عبد الحفيظ المعاهدة التي قبل فيها وضع بلاده تحت حماية فرنسا:

هَوَتْ العروش وُزِّلَتْ زلزالا  
رَبِعَتْ لمصرعه المشارق إذ مَشَى  
عَرْشُ هَوَى وقديم مُلْكٍ زالا  
فِيهَا النُّعَى وأجفلت إجحالا  
سَلَبَ المغيرُ حَيَاتَه واستأصلت  
تَنَجَّوُ الممالكُ مانجا استقلالها  
فَإِذَا اضمحلَّ أعارها اضمحلَّ-للا  
أَرْضِي المغيرَ وطاوع الغتالا  
أَيْنَ (الخليفة) ما دهاه وما له؟

\*\*\*

ماقام سعبُ نام عنه حماته  
تَأْبَى العنائةُ أن تصافحَ أمةً  
واستشعر التفريط والإهمالا  
ترضى الهوان وتألف الإذلالا

\*\*\*

قد كان يأنف أن يكون قرينهم  
لعب الغرورُ به فضيَّع ملكه  
ويعدهم لجلاله أمثالا  
واعتاض منه مذلة وخبالا  
وإذا أراد الله شرا بامرئ  
تبع الغواية وطاوع الجهالا

\*\*\*

أخليفة يعطى البلاد وآخر  
أغرور مفتون وصبوة جاهل  
يهوى القيان ويعشق الجريالا؟  
بئس (الخلائف) سيرةً وفعالا



## فظائع الإنجليز في مصر إبان الحرب العالمية الأولى

من قصيدة له سنة ١٩١٨ يندد بفظائع الإنجليز في مصر إبان الحرب العالمية الأولى:

أيها الجند ظافراً يتمشى  
يوم غاب الحماة واستصرخت مص  
أقتلت الكماة في الحرب غلباً<sup>(١)</sup>  
أنصفى (الظالمين) يا (دولة الفا  
علمينا كيف الحياة نُعا  
خففى الفتك إننا قد عيينا  
إقبضى ظلك (المحبب) عنا  
في الجماهير معجّباً مختالاً  
ر تنادى الرجال والأبطالاً  
أم قتلت النساء والأطفالاً؟  
روق) منا وعلمى (الجهالاً)  
نيها وصونى النفوس والآجالاً  
ولقينا في ظلك الأهوالاً  
واجعلها عقوبة ونكالا

إلى أن قال يندد بغدر الاحتلال:

ماذكرنا لكم من الخير شيئاً  
نذكر الحكم ظالماً مارأينا  
نذكر العهد سيئاً ماعرفنا  
نذكر الشر والبلاء جميعاً  
رصعوا (التاج) بالفداء وحلوا  
لاتريقوا دم الضعيف عليه  
أكرموا التاج إنكم إن أبيتم  
طال عهد احتلالكم فحسبنا  
مارضينا لكم على الدهر حالا  
فيه عدلاً ولاوجدنا اعتدالاً  
فيه حرية ولااستقلالاً  
فأذكروا عهدكم وشدوا الرحالا  
بجلى الصدق (عزه والجلالاً)  
وانظروه من فوقه كيف سالا  
زاد فينا مهانة وإبتذالا  
أن يوم الحساب يدعى احتلالاً

إلى أن قال منذراً الإنجليز بسوء العاقبة:

هل من الله مهرب أونجاة  
يأخذ البر والبحار عليكم  
تلك عقبى الأذى فلاتنكروها  
حين يزجى جنوده والرعالة<sup>(١)</sup>  
ويريكم نزاله والدحالة<sup>(٢)</sup>  
جاءكم يومكم فذوقوا الوبالاً!

(١) غلباً، جمع غلب.

(٢) الرعالة جماعة الخيل.

(٣) الدحال. الامتناع.

## فظائع الإنجليز في ثورة سنة ١٩١٩

ومن قصيدة له سنة ١٩١٩ يندد بفظائع الإنجليز في إخماد الثورة وما ارتكبه من القتل والتنكيل بالأبرياء:

من نكبة تدع النفوس شعاعاً!	ياسوء ما حمل البريدُ ويا لها
يسترسلون إلى المنون سراعاً	ياربِّ ما ذنبُ الذين تتابعوا
صرَّعى وما سألوا العدو صراعاً	جرحي وما حملوا السيوف لغارة
عند النداء بتائها الأسماعاً	قالوا (الحياة) فعوجلوا أن يقرعوا
فارتاب ثم رآهمو فارتاعاً!	(عزريل) نُبئ ما أصاب جموعهم
يدمى القلوب ويقصم الأضلاعاً	مرأى يشق على العيون ومشهد
ألقي عليه من الحياء قناعاً	لما أطل الظلم فيه بوجهه
حتى تراجع طرفه استفظاعاً	ودعا (بنبيرون الرحيم) فما رنا
(للمصلحين) مقابرًا ورباعاً	وصفو المصاب (للدنشواي) فكبرت
كانوا أبر خلانقاً وطباعاً	واستيقنت أن الأولى نكيت بهم

\* \* \*

ومصاب أهلك جاوز المُسطاعا	يامصر خطيئك في الممالك فادح
وتصيههم نُوب الزمان تباعا	قومٌ يَروعه البلاء مضاعفا
هوج الحوادث ركنه فتداعى	لاذوا بحسن الصبر حتى زلزلت
وتقوم مما تحمل الأوجاعا	حملوا القلوب تفور مما تصطلى
خطب يروّع منهم الأطماعا	إن هاجهم طمع الحياة رمى بهم
حمر خلا الوادى فكن سباعا	وإذا أرادوا نهضة نفرت لهم

\* \* \*

يرمون شعباً لا يطيق دفاعا	سفكوا الدماء بريئة وتنمروا
ونظل صرعى في البيوت جياعا	لم يذكروا إذ نحن نبذل قوتنا
عدلا لمن يألو العدو قراعا	يشس الجزاء وربما كان الأذى

جاءوا فقوم يضمرون مودة  
فتكافأ الحزبان في حاليتها  
ورضى. وقوم يظهرون خداعا  
ومضت حقوق العالمين ضياعا  
إلى أن قال يهيب بالشعب أن يذود عن حقوقه بالمهج والأرواح والإقدام والشجاعة:

<u>لا يستقلّ الشعبُ يترك حقه</u>	<u>ويرى البلاد تجارة ومتاعا</u>
يخشى العدو فلا يطبق تشدداً	ويبال منه فلا يريد نزاعا
إن الحياة لأمة مقدامية	تعبى العدو شجاعة ومصاعا
تزجى إليه من الحفاظ جحافلا	وتقيم منه معاقلا وقلاعا
إن شامها في الحادثات تفرقا	عقدت على خذلانه الإجماعا
وإذا أراد بها الهزيمة أرهفت	هما يضيق بها الدهاة ذراعاً

\* \* \*

<u>يارب مصر تول مصر وهب لها</u>	<u>شعباً يريد لها الحياة شجاعا</u>
<u>لو سيم يوماً أن يبيع بلاده</u>	<u>بمالك الدنيا معاً ما باعاً</u>

### يرثى فريدا

من قصيدة له سنة ١٩١٩ يرثى محمد فريد:

أترى الكنانة كيف تعبت بالدم	الله للشهداء إن لم ترحم!
أدنى المراتب في الصباية عندهم	تلف المحب وطول وجد المغرم
تزجى تحيتها فيكذب دونها	أمل الملول ومطمع المتبرم
ضل امرؤ قتلته (مصر) فلم يصن	عهد الولاء لها وحق المنعم
معشوقة يجرى مع الدم جبهها	في قلب نصرانيها والمسلم
بعثته (مصر) مجاهداً ورميت به	فرمت بجيش للفتوح عرمرم
خاض الغمار يهدّ كل كتيبة	وهز رايات الكمي المعلم
متجرداً لله يطلب حقه	ويقيم جانب شعبه المتهدم
فإذا القياصر بالأرائك تتقى	وإذا الأرائك بالقياصر تحتمى
كل به فزع وكل جازع	يبقى القرار ولا قرار لمجرم

إلى أن قال:

أرضيت ربك في جهادك فاغنم  
إلا كبادىء حجة لم تختم  
ضدان من ماض وآخر محجم  
تنفى غرام المطلب المتجهجم  
أن المنية مركب المتجشم  
وصفوك ظلماً بالغريب المعدم  
قيست كنوز العالمين بدرهم  
ويقين ذى الوجدان أفضل منجم  
وارتج ما بين الحطيم وزمزم

يا سيد الشهداء بعد رفيقه  
ليس الذى بدأ الجهاد فلم يمت  
والناس في شرف الحياة وعزها  
وأجل ما رزق الرجال همامة  
تتجشم الصعب المخوف وعندها  
مأوى الممالك والشعوب ومالها  
لك من يقينك ثروة إن قدرت  
إيمان ذى الإيمان أعظم ثروة  
ضج النعاة فضج كل موحد

ثم قال:

وبرئت من ماضيك إن لم تنقضى  
بين المضاجع والشعوب النؤم  
فامشى على آثارها وترسمى  
خلق المريب وتسمية المتوهم  
إلا مراقبة العدى واللوم

يا مصر حسبك ماضيت من الأذى  
إن التى رمت الممالك باعدت  
الأر تركض بالشعوب حثيثة  
إن كان قيدك لم يحلّ فإنه  
سيرى فما بك غير تلك وما بنا

\*\*\*

الله جارك فاغتبط وتنعم  
نلقى الهموم يكل أغلب أضخم  
لفداء (مصر) من المهم المؤلم  
وقضيت من حق عليك محتم  
ودعت مسلمة عليك فسلم  
وكفيت سوء الذكر من لم يخدم  
إلا إذا نال السساء بسلم  
والحر مؤتمن وإن لم يقسم

يا نازحاً لم نقض حق بلائه  
وانقض همومك عن فؤادك إننا  
إن المناكب والنفوس بأسرها  
ماذا حفظت لأهلها من حرمة  
حيثك (مصر) على البعاد فحيها  
جاوزت حسن الصنع في خدامها  
كذب المضلل لن ينالك سعيه  
أقسمت مالك في جهادك مشبه

مازلت تسرف في المغارم دائماً  
أى القواضب بعد ما قطع الظبا  
رددت صوقي في الرثاء وإنما  
حيثك في الملاء العلى وأزلفت  
أسفى لأوبة راحل لم تقضها  
حتى جعلت النفس آخر مغرم  
ولوى الأسنة في الوغى لم يثلم  
رددت من صوت الكنانة في فمى  
حور الجنان إليك شعر (مخرم)  
عدة المنى وتحية لم تنظم

### ذكرى فريد

وقال سنة ١٩٢٢ في ذكرى محمد فريد:

ألا فاذكروا من قومنا كل مقدم  
وما الناس إلا الخالدون على البلى  
هم ثروة الأجيال لولاهم انطوت  
إذا المرء لم يعمل لما بعد يومه  
ففى هذه الذكرى حياة لأقوام  
وصرف الليالى من هداة وأعلام  
على فاقة ما تستطاع وإعدام  
طوى كل حي ذكره بعد أيام

\*\*\*

سلام على الحى المقيم وإن طوى  
على الكوكب الطافى على لجّة الردى  
إلى المنزل الأقصى ثلاثة أعوام  
إذا ما طوى الأقمار طوفانه الطامى

\*\*\*

ألا فاذكروا الأبطال وابتذروا الوغى  
هى الوثبة الأولى وإن وراءها  
وكونوا أولى بأس شديد وإقدام  
لما يستجيش الوثب من كل ضرغام

\*\*\*

وقال سنة ١٩٢٥ من قصيدة له في ذكره:

جددوا الذكرى لأهل المشرق  
يعشق المجد فان لجّت به  
عَلِّموه كيف يقضى حقه  
وأروه السبل نارا ودما  
وصفوا المجد لشعب شيق  
لوعة الوجد تنحى يتقى  
نابه الموقف حر المصدق  
من يهب فيها المنايا يصق  
ليظن السبل من إستبرق  
مزقوا الأوهام عنه إنه

إلى أن قال :

يا (شهيد النيل) لو ناجيته	لشفاه منك عذبُ المنطق
شاقه الصوت البعيد المرتقى	والمقام الكسروى الرونق
وشجاءه أن يرى صمصامه	غير وضاح السنا فى المأزق
جاشت الأحداث تستقصى المدى	وارتمت من كل صوب تلتقى

إلى أن يندد بانقسام الأحزاب وبمساوئ الحكم القائم وقتئذ (نوفمبر سنة ١٩٢٥) حكم الرجعية والسراى :

سائل الأحزاب ماذا عندها	غير ترجاف وهم مقلق
وتأمل هل ترى اليوم سوى	دولة فوضى وحكم أخرق
فات (نيرون) رجال رزقوا	من فنون الظلم ما لم يرزق
لو جرى (فرعون) أو (هامانه)	يتعاطى شأوهم لم يلحق
سجنوا الدستور طفلا ناعما	واستبدوا بالسجين الموثق
لاجرى (النيل) على الوادى ولا	بورك الشعب إذا لم يُطلق

\*\*\*

تلك ذكرى (النيل) للنفس التى	عكف (النيل) عليها يستقى
هى عينٌ من حياة عذبة	فى يفاع من سناء مشرق
فزعت مصر إلى أبطالها	فالبس النقع وسرٌ فى الفيلق
سائل القوم أما من غضبة	لذمام صادق أو موثق
لا أرى النجدة إلا فى الأولى	هم أولو العهد الأبر الأصدق
ننصر الله ونحمى أمة	نحن منها فى الصميم المعرق
همة المقدام من آلائها	وبيان العبقري المفلق

### الحالة السياسية سنة ١٩٢٥

فى سنة ١٩٢٥ عين اللود جورج لويد معتمدا (مندوبا ساميا) لبريطانيا فى مصر خلفا للمارشال ألنبي الذى استقال من منصبه، وقد حضر المعتمد الجديد إلى مصر فى أكتوبر

سنة ١٩٢٥، فنظم أحمد محرم قصيدة يخاطبه فيها ويحذره مغية السياسة الاستعمارية، وفيها يتدد بانقسام الزعماء وتنكبهم سبيل الإخلاص والسداد، ويهيب بالأمة ألا تقع في شرك الاستعمار ومناوراتهم، وأن تصمد في الجهاد. قال:

أَسْأَلُ مِصْرَ مَا حَمَلَ (العميد)	وهل عند الرماة لها جديد؟
هو السهم الذي عرفته قدما	وجرَّبَ وَقَعَهُ الشَّعْبُ الوئيد
تمرد مبدئٍ وطغى معيد	ولم تزل الرميّة تستزيد
(مسيح الهند) إن بمصر شعبا	يشق عليك إن خضع الهنود
فما نظر المسالم أين تبغى	ولا عرف المساوم ما تريد
<u>دع الزعماء إن لهم لَدِينًا</u>	<u>يدين بغيره الشعبُ الرشيد</u>
إذا ذكروا الزعامة فهي دعوى	يكيد بها (الكثانة) من يكيد
ولا تبقى البلاد إذا أصيبت	بن يغى الزعامة يستفيد
<u>لمن تتألب (الأحزاب) شتى</u>	<u>وما هذى الصواعق والرعود؟</u>
<u>تداعوا للوغى فهو صريعا</u>	<u>على أيديهم الوطنُ الشهيد</u>
مضت أسلابه تُزجى إليهم	فمأتمة لدى الأقوام عيد
إذا ساد التخاذل في أناس	فأعوز ما ترى شعبٌ يسود

إلى أن قال:

عميدَ (الغاصبين) نزلت أرضا	يبيد الغاصبون ولا تبيد
يذود الواحد القهار عنها	إذا قهرت جنودك من يذود
أتذكر إذ لقومك ما أرادوا	وإذ (لكرومر) البطش الشديد
تطوف جنوده فتصيد منا	ومن سرب الحمام ما تصيد
أتذكر (دنشواي) وكيف كادت	جوانبها بأهلها تميد
تضج من العذاب ولا سبيلُ	إلى غير العذاب ولا تحيد

إلى أن قال مشيرا إلى طغيان كرومر وكيف أكرهته مصر على الاستقالة من منصبه:

سيوف الجند مظهر كل حق	ورأى (كرومر) الرأي السديد
أتذكر إذ نعاتبه فيطغى	وهدر في مقالاته الوعيد <sup>(١)</sup>

(١) يسير إلى خطبته سنة ١٩٠٧ قبيل رحيله عن مصر وقد توعد فيها المصريين ببقاء الاحتلال

أخذناه بقارعة ألحَّتْ  
صدعنا ركنه فانقضَّ هوى  
هوى جبل من العدوان عالٍ  
ونحن القائمون بحق مصر  
ونحن المقبلون على المنايا  
نضن بمصر إن عدت العوادي  
هي الذم المصونة والعود  
عليه فزال واشتفت الكبود  
وذاب الصخر أجمع والحديد  
وزلزل للأذى صرح مسيد  
إذا ما استسلم القوم القعود  
إذا الأبطال كان لهم صدود  
ولكننا بأنفسنا نوجد  
فما ينبغي (كرومر) أو (لويذ)

\* \* \*

أخا (السكسون) هل نبث أنا  
لقد كذبوا عليك فليس فينا  
إذا سعت (الوفود) إليك فاحذر  
فما أحد بمالك أمر مصر  
مضت دنيا القيود وتلك دنيا  
حينما ماحى الآباء قدما  
بلاد ما تباع وباقيات  
جلاوذة لقومك أو عبيد  
لن ينبغي الهزيمة مستقيد  
عواقب ما تقول لك (الوفود)  
وما بالشعب جبن أو جمود  
تذمُّ بها وتُحتقر القيود  
وصان لنا وللتنيل الجدود  
من الآثار معدنها الخلود

يدعو إلى اليقظة السياسية، ويندد بالتراخي في الوطنية

قال سنة ١٩٢٧ من قصيدة في (الشعر السياسي):

تسعى الشعوب ونحن في غفلتنا  
ركبوا متون العاصفات وشأنا  
نأبى الفعال ونكثر الأقوال  
أن نركب الأوهام والآمالا

\* \* \*

يا باعث الموق ليوم معادها  
أعد الحياة لأمة أودت بها  
وأضئ لها سبل النجاة ليهتدى  
وتولها بالصالحات ولقها  
تنساب من أجداثها أرسالا  
غفلاتها ففتوت سنين طوالا  
من زاغ عن وضح الطريق ومالا  
منك الأمان ووقها الأوجالا



وأمْنٌ عليها من لدنك بقوة  
واجه على صدق الإخاء فضاظنا  
أودى بنا بين الشعوب تباغضُ  
تستفحل النكبات بين ظهورنا  
الله يحكم في الممالك وحده  
ويصرف الأقدار والآجالا  
توهى القيود وتصدع الأغلالا  
فلقد تفرق يمنة وشمالا  
صدع القلوب ومزق الأوصالا  
ويزيد معضل دائنا استفحالا

### إلى الشعب

وقال سنة ١٩٢٧ في هذا المعنى موجها الخطاب إلى الشعب:

ادفع بنفسك لا تكن متهيبا  
شرف الحياة وعزها لمغامر  
أشرع لأمتك الحياة ولا يكن  
لك في حياتك غير ذلك مأرب  
ما اعتز في الأقوام من يتهيب  
يمضى فلا يلوى ولا يتنكب

\*\*\*

مصر الحياة وجبها الشرف الذى  
نفسى وما ملكت يدأى لأمتى  
أبنى إنك لبلاد وإنها  
شمر إزارك أن نُدبت لنصرها  
ما لمرء إلا قومه وبلاده  
ليس التعصب للرجال معرة  
للمرء من شرف العشيرة زاجر  
بطرازة الغالى أدل وأعجب  
وسراة آبائى ومن أنا منجب  
لك بعد والدك التراث الطيب  
إن الكريم لمثل ذلك يندب  
فانظر إلى أى المواطن تنسب  
إن الكريم لقومه يتعصب  
ومن الخلال الصالحات مؤدب

### حكم التاريخ

من أنعم التاريخ أن حسابه  
تقف الخلائق تحت راية عدله  
في موقف جلل تجيش جموعه  
ملك الزمان فما لعصر موئل  
حق وأن قضاءه لا يُشجب  
فيقام ميزان الحقوق ويُصب  
فيداس فيه متوج ومعصب  
يحميه منه وما لجيل مهرب

## يخاطب النيل

يانيل والموفون فيك قلائل  
قُتل الوفاء فما غضبتَ وإنما  
تهب الحياة له وليس لقاتل  
مَن لى بشعب فى الكنانة لا القَوَى  
متألب يبغي الحياة كأنه  
أين الرجال العاملون وإنما  
ليت الزعاف لمن يخونك مشرب  
يحمى الحقيقة من يغار ويغضب  
فى غير حكمك من حياة توهب  
تنشق منه ولا الهوى يتشعب  
جيش على أعدائه يتألب  
تبقى المماك بالرجال وتذهب

## وطن يعذب فى الجحيم

### فلسطين الشهيدة

من قصيدة نظمها سنة ١٩٣٨ عن مأساة فلسطين:

لبيك يا (وطن الجهاد) ومرحبا  
لبيك إذ بلغ البلاء وإذ أبى  
من ذا يرى دمه أعز مكانة  
وطن يُعذب فى الجحيم وأمة  
بقلوبنا الحررى وفى أحشائنا  
وبنا من الألم المبرح ما بها  
نتجرع البلوى ونسرع الأسى  
إننا لنعلم أن آكل لحمهم  
جعلوا الكفاح عن العروبة حرثهم  
يسقون مازرعوا دما فى مخضب  
(البيت) يطرب من أين جراحهم  
لبيك من داعٍ أهاب وثوبا  
جد الزمان وصرفه أن نلعبا  
من أن يخضب من (فلسطين) الرطب  
أعزز علينا أن تُصاب وتكبا  
ما شب من أشجانها وتلهبا  
وأرى الذى نلقى أشد وأصعبا  
نرعى لإخوتنا الدمام الأقربا  
سيخوض منا فى الدماء ليشربا  
وتعهدوه فكان حرثا طيبا  
لولا الدم الجارى لأصبح مجديبا  
أرأيت فى الدنيا أنينا مطربا؟

وقال يحمل ساسة بريطانيا وأمريكا مسئولية مأساة فلسطين:

إن الذى زعم السلام مُرادُه  
إن كان قد غمر الزمان وأهله  
جعل الدماء سبيله والمركبا  
كذبا فمن عاداته أن يكذبا

أرأيت إذ سكب الدموع غزيرةً  
متصّنعٌ باسم الضعيف يُريّقُها  
ما كان أصدق نُسكه لو أنه  
يَهْدِي بذكر العدل في صلواته  
يا أي الحياء لثلها أن يُسكبها  
وهو الذي تَرَكَ الضعيف مُعَذِّباً  
رحمَ البريء ولم يُجَابِ المذنباً  
أرأيت عدلاً بالدماء مُخَضَّباً؟

وقال يهب بالأمم العربية أن تهب لنجدة فلسطين:

رُسِّل العروبة هل أسيتم جُرحها  
جُرحٌ تقادم عهده وتفتحت  
أنتم أساة الجُرح فاتخذوا له  
وصفَ الدواء لكم وخلفَ علمه  
ما باله استعصى وماذا أعقبها؟  
أفواهه تدعو الأساة الغيبا  
مِنْ طِبِّ شَيْخٍ أُسَاتِكُمْ ما جَرَّباً  
فيكم فأين يريد منكم من أبي؟

\*\*\*

يا قومُ لستم بالضعاف فغامروا  
أفما كفاكم قوةً من دينكم  
يا (أَلْ يَعْرَب) مَنْ يريني (خالدا)  
من شاء منكم فَلْيَكُنْهُ ولا يقل  
السُّرُّ باقٍ والزمانُ مجدِّدٌ  
وخذوا مطالبكم سراعاً وُثْباً  
ما جَمَعَ الإيمان فيه وألباً  
يُزجِي الخميس ويستحث المِقْنِباً  
ذهب القديم، فإنه لن يذهب  
والسيفُ ما فقد المضاء ولأنبا

\*\*\*

رُدُّوا المظالم عن محارم أمة  
لم يُعْطِ أوطانَ العروبة حقها  
رُدَّتْ ظنون ذوى الجهالة خُبياً  
من كان يطمع أن تُبَاعَ وتوهباً

## يشفق على الفلاح

ومن قصيدة له بعنوان (رحلة عابسة) سنة ١٩٤٠، وقد مر ببعض القرى وتحركت شاعريته  
إشفاقاً على الفلاح. قال:

ويلى على فلاح مضر أماكفى  
يُغنى ألوف المترفين بماله  
سبحان من شرع السبيل لخالقه  
ما ذاق من عنيتٍ ومن إرهاق  
ويعيش فى فقْرٍ وفى إملاق  
أكذا يكون تفاوت الأرزاق؟

# أحمد نسيم

١٨٨٠ - ١٩٣٨



شاعر مبدع، من أعلام الشعر الوطني، يمتاز بجذالة الأسلوب، وتدفق المعاني والأحاسيس الوطنية في قصائده، لا يقل شعره رواء وحسن ديباجة عن شعر شوقي وحافظ وأحمد محرم.

ولد سنة ١٨٨٠، واعتنق منذ صباه مبادئ الوطنية، وتجلت مواهبه الأدبية وهو في سن مبكرة، فامتزجت الوطنية بروحه الشاعرية، وتمشت في قصائده الغر، وأضفت عليها جمالا ورونقا وبهاء، وجعلت لها رنيناً موسيقياً يأخذ بجماع القلوب.

سمى (شاعر الحزب الوطني)، واعتز هو بهذا اللقب، وسجله في ديباجة ديوانه الذي ظهر في جزءين سنة ١٩٠٨ وسنة ١٩١٠، وأهداه إلى المرحوم محمد فريد زعيم الحزب الوطني إذ ذاك، قال في كلمة الإهداء:

رئيسي المحبوب

«أما بعد فإنني أتشرف بإهداء الجزء الثاني من ديواني إلى سعادتكم لاحتوائه على القصائد الوطنية التي نظمناها ما بين سنتي ١٩٠٩ و ١٩١٠ ميلادية، وقد اعتمدت في نقلها على الصحف التي تفضلت بنشرها مبقياً ديباجتها كما هي حتى لا يغرب عن ذهن القارئ على مدى الأيام وصف الحادث الذي نظمت القصيدة بسببه».

«وإنني إذا أهديت ديواني إلى سعادتكم فكأنني أهديته إلى الأمة المصرية التي يمثلها حزبكم الموقر».

أحمد نسيم

شاعر الحزب الوطني

ويعدّ نسيم ثاني الطبقة الأولى من شعواء الحزب الوطني، وأولهم أحمد محرم، وثالث الثلاثة المعاصرين أحمد الكاشف الذي سنتحدث عنه فيما يلي، وجميعهم تبدأ أَسْمَاؤُهُمْ (بأحمد).

١٩٩

وتبدو مكانة نسيم الممتازة في عالم الشعر من قول إسماعيل صبرى شيخ الشعراء في تقرير  
الجزء الأول من ديوانه سنة ١٩٠٨ :

لك في الشعر يا (نسيم) معانٍ باهرات تحار فيها العقول  
كل بيت يُطلُّ منه على أفهام أهل النهى مُحيا جيل

ولما ظهر الجزء الثانى سنة ١٩١٠ قرظه صبرى أيضا ببيتين آخرين رقيقين قال :

أى غُصْنٍ في الرّوض هَزَّ (نسيم) نُثِرَتْ منه هذه الأزهار  
حبذا شعره الجنى وأهلا ببيان تُزهى به الأشعار

### يؤيد مصطفى كامل في قطع علاقته بالخديو

قال نسيم مخاطبا مصطفى كامل بمناسبة كتابه إلى الخديو عباس الثانى بقطع علاقته به سنة  
١٩٠٤ :

خطيب الشرق لا تلوى العنانا	فأنت المرء أوقرهم جنانا
وأمضاهم إذا كتبوا يراعنا	وأذلّهم إذا نطقوا لسانا
لقد دافعت دهرًا عن بلاد	قد افتخرت بمديرها زمانا
وكم رُمّت العلاء لقوم مصر	وكنت أشد من فيها جنانا
بقلب عاف أرزاء الليالى	كما عاف المذلة والهوانا

\*\*\*

وجانبت الأمير وأنت تنوى	فعالا لا يكون بها مُدانا
وكم من فُرقة صعبت فهانت	وكم من طارئ أخنى فهانا
فزِدنا مصطفى وازدد ثباتنا	يزدك القوم شكرا وامتنانا
مدحتك لا لجائزة ولكن	وجدتك خير من يهدى البياننا
هدية شاعر اظل يُطرى	ويمدح فيك أخلاقا حسانا
فكن للشرق ساعده المرجى	تزرك قصائدى أنا فانا

## يهاجم المعتمد البريطاني

ومن قوله سنة ١٩٠٧ مخاطبا اللورد كرومر لمناسبة رحيله عن مصر بعد خطبته التي هاجم فيها المصريين والإسلام:

يا لورد هل لك في الإسلام من غرضٍ	ترمى إليه بسهم منك مسنون؟
هجوَت قومي وما فارقت أرضهم	حتى تجرأت أن تنحى على الدين
رأيتُ أنك لست المرء تصلحنا	ولست فينا على مصر بمأمون
غادرتها وهي للتقرير صارخة	إلى الإله بقلب منك مخزون
فلا رماك الحيا إلا بداجنة	تهمى عليك بزقوم وغسلين

## يمجد الشرق ويحزن لحالته

قال يمجّد الشرق ومصر ويحزن لحالتهما:

تداعت رواسى الشرق فانهار جانبه	وما همّ حتى أقعدته نوائبه
تحاربته الأعداء من كل جانب	ولم يكفهم أن الزمان يحاربه
تحدّ على هاماته شفراته	وترهف فوق الناصيات قواضيه
وحسبك أن الشرق في كل أمة	مآثره مشهورة ومناقبه
تخرج منه الفاتحون لأرضه	فماجت به بطحاؤه وسبائبه
وكم كان للشمس المضيئة مطلقا	أفق معالٍ لا تغيب كواكبه

إلى أن قال:

وما الشرق إلا موطن عبث به	على غرة أبنائه وأجانبه
أضاعوا حمى يجرى النضار بأرضه	وتهمى عليه باللجين سحائبه

## يهاجم أسرة محمد على

وقال سنة ١٩٠٨ مخاطب مصر ويهاجم أسرة محمد على وهى فى إبان سلطانها:

رثيتك يا أرض الفراعنة الألى	قضوا فى بلوغ المجد ما الحق واجب
ورثت بفضل العلم عزاً ممنعا	فما بات إلا وابن غيرك غاصبه

ولا خير في عرشٍ من الغرب رَبُّه  
أفيق في الجهل إلا مذلة  
أنيرى ظلام الشرق بعد انسداله  
ولا تقنطى من رحمة الله مرة  
وددت بلادى أن تسود بنفسها  
ولا خير في مال من الغرب كاسبه  
ولا العلم إلا سودد عزَّ صاحبه  
فعند طلوع الشمس تجلو غياهبه  
إذا شيم من برق انخدالك خاليه  
لأكتب فيها خير ما أنا كاتبه!

### يدعو الأمة إلى الجهاد

ومن قوله سنة ١٩٠٨ يدعو الأمة إلى الجهاد والذود عن حقوقها واستقلالها:

هَلُمَّ ندافع جهدنا عن بلادنا  
كذلكم الرئبال تعروه سورة  
ومن فقد استقلاله عاش هينا  
هلم نخض غمر الصعاب إلى العلا  
عسى يسعد الجد الذى مال نجمه  
ألم نك كال يونان أهلاً لمجلس  
ألم نك كالبلغار والصرب في الحجا  
ألم نك أرقى من ممالك لم تقم  
أليست بلاد النيل أول أمة  
ععلوم وأخلاق وفضل وهمة

وقال يفند مطاعن كرومر على المصريين:

فحتام ذباك العميد ينوشنا  
فطوراً يعاديننا بتقرير كاشح  
وياليتيه ردّ الدليل بمثله  
إذا عجز المقهور عن قهر خصمه  
بناجذ سرحان وظفر عقا  
وطوراً يناوينا بنشر كتاب  
وخفض من طعن له وضراب  
لدى البطش لم يلجأ لغير سباب

### يرثى مصطفى كامل

وقال سنة ١٩٠٨ في رثاء مصطفى كامل من قصيدة تزيد على ستين بيتاً:

ما بال دمعك لا هام ولا جارى  
هل اكتفيت بما في القلب من نار؟

جفّت دموعك من عينيك واستترت  
ضاع الصواب ونفس المرء ساهمة  
فيها لواعج أحزان وأكدار  
ما بين أقضية تجري وأقدار

\* \* \*

يا طائر البين لا قربت من سكن  
نعيت خير فتى كنا نؤمله  
ولا هدأت بأفنان وأوكار  
يوم الرجاء لأوطان وأوطار  
فلميرح الذئب ما شاءت مهاتته  
لا أيّد الله أعداء أذلهم  
فقد غفّت عنه عين الضيغم الضارى  
حتى أقاموا بدار الذل والعار

\* \* \*

يا بائع الصبر إن الناس في جزع  
ما زال يدأب حتى خانه قدر  
فبع لهم كل مثقال بدينار  
ألقى عليه عصا دأب وتسيار

وقال يصف الجنّازة واحتشاد الجموع فيها:

أعزّز على حامله فوق أعينهم  
كأنما النعش عرش زانه ملك  
أن يرجعوا بأكف منه أصفار  
يشى الهوينا بإحلال وإكبار  
كأنما الناس حول النعش مائجة  
فلو يعدّون ما أوفى بهم عدد  
كصيب القطر لا يحصى بمقدار  
هزيم رعد أجش الصوت هدار  
كأنما لجب الباكين من هلع  
كأنما الأرض قد سدّت طرائقها  
بالناس من ثابت فيها وسيار

ومن قصيدة أخرى له سنة ١٩٠٨ في رثائه:

أمل نأى عن أرض مصر وزالا  
يا نائباً عنا وكنت محسداً  
أصمى القلوب وقطّع الأوصالا  
فينا كما كنت الشريف فعالا  
مدّت إليك يد المنون فأنشبت  
بقلوبنا قضا لها ونصالا

إلى أن قال:

إننا سنبقى ذكر فضلك خالدا  
قد كنت أفضل من يذود لسانه  
لنكون في صدق الوفاء مثالا  
عنا وأصدق من يقول مقالا  
فليسقى شؤبوب الحيا لك موحشا  
قد ضم مجداً بينه وجلالا



## يؤيد فريداً في جهاده

قال سنة ١٩٠٨ مخاطباً محمد فريد رئيس الحزب الوطنى مؤيدا له في جهاده:

إجهر برأيك إن الحق قد غلبا	هذا يراعك يحكى السيف ما كتبنا
أرى المضلين قد زاغت بصائرهم	ومن يظن الدجى صبحا فقد كذبا
يسر في طريقك لاتحفل بدمهم	ولا يهزك مغرور إذا غضبا
لأنت ترجو افتقاراً منهم نشياً	ولا تؤمل من إحسانهم رتباً
لازلت بالحق بين القوم تحذلم	حتى تراهم وكل في الوغى هربا
فاهزم كتابهم وافلل مضارهم	واسلل يراعك واكتب عنهم العجبا

## يندد بوزارة مصطفى فهمى

وقال في نوفمبر سنة ١٩٠٨ يندد بوزارة مصطفى فهمى على أثر سقوطها، وكانت موالية للاحتلال:

ما للوزارة ذات الضعف والفشل	باتت على دارس أعفى من الطلل؟
وزارة بلغت بالوهن غايتها	في كل نائبة أو حادث جلل
ترحلت غير مبكى على أحد	وودعت غير مأسوف على رجل
إن زال مجد الفتى أو زال منصبه	فذكره بعد في التاريخ لم يزل
يا هيئة الصم بيني غير راجعة	إلى جمودك في أيامك الأول
وزارة مالها في الخير صالحة	ولا على صولة الأيام من قبل
<u>كانت تماثيل بين القوم قائمة</u>	<u>بلا لسان ولا قلب ولا عمل</u>

## يندد بالخديو عباس

وقال في ديسمبر سنة ١٩٠٨ حين تنكر الخديو عباس الثانى للحركة الوطنية، وحيل بين جموع الشعب والأقتراب من موكة لمطالبته بالدستور:

خطوب ما لها أبداً نصير	وأمر حل في مصر خطير
لئن كُرهت حياة الشعب يوما	فخير لو تفتحت القبور

أَيْبَارِبُ الْأَرِيكَةِ قَد رَضِينَا  
وَهَبْنَا نَطْلُبُ الدِّسْتُورَ جَهْرًا  
أَغْيِرِكَ فِي الْمُلُوكِ وَأَنْتِ أَدْرَى  
فَهَلْ خَدَعْتِكِ فِي الْبَهْتَانِ نَاسٍ  
(أُمُورٍ يَضْحَكُ السَّفَهَاءُ مِنْهَا)

بَأْنُكَ لَا تُزَارُ وَلَا تُزَوَّرُ  
أَلَا يَرْضِيكَ ذِيَّكَ الشُّعُورُ؟  
لَهُ شَعْبٌ عَلَى الْبُلُوى صَبُورُ؟  
أَرَادُوا أَنْ يَسُوءَ بِنَا الْمَصِيرُ؟  
وَيَبْكِي مِنْ عَوَاقِبِهَا الْخَبِيرُ

### يُجَدُّ الْوَطْنِيَّةِ فِي رَأْسِ السَّنَةِ الْهَجْرِيَّةِ

وقال سنة ١٩٠٩ في الاحتفال بعيد رأس السنة الهجرية (١٣٢٧) الذي أقامته لجنة الحزب الوطني الفرعية ببولاق بمدرسة الشعب يجدد الوطنية ويخاطب فريداً:

قَد مَثَلُونَا فِي التَّعَصُّبِ مِثْلَمَا  
كَذَبْتُ قَد أَبْتَدَعُوهُ حَتَّى مَا لَمْ  
بَانَ الضَّلَالُ مِنَ الْهَدْيِ وَبَدَا لَنَا  
يَا أُمَّةٌ ثَبَتِ عَلَى كَيْدِ الْعَدَى  
سِيرَى إِلَى طَلَبِ (الْجَلَاءِ) وَلَا تَتَنَّى  
أَقْرِيْدَ لَا تُخْذَلْ بِلَادِكَ بَعْدَمَا  
هَذَى الشَّبِيْبَةُ قُلْ لَهَا لَا تَجْمِي  
لَكَ مِنْ يَرَاعِ الْكَاتِبِينَ صَوَارِمَ  
تَرْمِي الْعِدَاةَ إِلَيْكَ سَهْمَ سَمُومِهَا  
دَعَاهُمْ كَمَا شَاءُوا لِيَوْمِ حَسَابِهِمْ  
إِنَّا قَد اخْتَرْنَاكَ خَيْرَ مَدَافِعِ

قَد شَاءَتِ الْآثَامُ وَالْأَوْزَارُ  
فِي مَصْرٍ إِلَّا الْكَيْدَ وَالْإِضْرَارَ  
فِي مِنْهْجِ الْحَقِّ الْقَدِيمِ مَنْارَ  
لَا تَجْزَعِي إِنْ الثَّبَاتُ فَخَارَ  
تَنْجُ مِنْ الْعِلْيَاءِ مَا نَخْتَارَ  
جُمِعَتْ لَدَيْكَ أَوْلَثُكَ الْأَنْصَارَ  
مَا فِي ثَبَاتِ الْمَقْدَمِينَ شَنَارَ  
وَلَدَيْكَ مِنْهُمْ جَحْفَلُ جَرَارَ  
وَيَزُودُ عَنْكَ الْوَاحِدُ الْقَهَارَ  
فَلْهُمْ كَمَا شَاءَ الْهَوَى أَطْوَارَ  
يَرْضَى بِهِ الرَّحْمَنُ وَالْمَخْتَارَ

وفي سنة ١٩١١ ألقى قصيدة أخرى في تحية السنة الهجرية (١٣٢٩) بالاحتفال الذي أقامته الطلبة لهذه المناسبة بدار التمثيل العربي يوم أول يناير سنة ١٩١١، وقد حضره المرحوم محمد فريد، وأشار الشاعر في مطلع قصيدته إلى ما أصاب الحركة الوطنية من اضطهاد في العام السابق. قال:

تَجَلَّى الْعَامُ فَاسْتَجَلُّوا الْهَلَالَا  
سَاطِرِيهِ مَتَى عَزَّتْ بِلَادِي

فَلِإِنِ شِمْتُهُ لِّلْسَعْدِ فَلَا  
وَقَدْ رُزِقْتُ كَمَا رُزِقَ الْكَمَالَا

وأمدحه متى قمنا بمصر  
فأما والبلاد وساكنوها  
فلست بناظم فيه قريضا  
وأرجعنا لها ذاك الجلالا  
يزيد الدهر حالتهم نكالا  
ولا أنا قائل فيه مقالا

\* \* \*

إلا نطالب الأعوام خيرا  
تمر وتنقضى منها ليال  
وتلك ممالك الإسلام كادت  
فلست أخصها بالذكر عنا  
ولم تنعم لنا الأعوام بالآ؟  
بأرزاء الزمان غدت حبال  
صروف الدهر تجلبها خبالا  
ونحن من البلاء أشد حالا

\* \* \*

أيا عاما تقضى بشس سهم  
فقالوا هل صروف العام كانت  
هموم لو رشقت بها فؤادا  
لقد حملتنا للضيم عبئا  
وقد أجريت دمع القوم حتى  
ولولا ذكر أحمد<sup>(١)</sup> كل عام  
رميت به الغوائى والرجالا  
نزاعا قلت بل كانت نزالا  
لكانت في جوانبه نبالا  
ثقيلا لا نطبق له احتمالا  
كأنا كلنا قوم ثكالى  
لما صغنا لك الذكر الحلالا

### المضى فى الجهاد

أرى فُرَقًا قد افتترقت بمصر  
أناس أخلصوا من بعد زيغ  
وأقوام قد أرتدوا جهاراً  
وقال الناكصون كفى غلواً  
خلاتق فى المكارم لم يمدوا  
أولئك عصبة بالخزى باءوا  
ورامت عن أوصلها انفصالا  
وثابوا بعد أن ألفوا الضلالا  
فساءوا فى عواقبهم مآلا  
ولاً ذقتهم منه السوبالا  
يمينا للفعال ولا شمالا  
فسموا الخزى والجبن اعتدالا

(١) يقصد الرسول ﷺ.

وقال يخاطب الشباب:

غَدُوا لِلنَّشْءِ بَعْدَهُمْ مِثَالاً	أُنَابِتَةُ الْبِلَادِ وَخَيْرَ نَشْءٍ
عَرَى الْقُرْبَى فَنَتَخَذَلُوا انْخِذَالاً	عَلَيْكُمْ بِالْإِخَاءِ وَلَا تَفْلُوا
إِذَا لَمْ تَحْسِنُوا عَنْهُ النِّضَالاً	سَيَنْدُبُ حِظَّهُ الْوَطَنُ الْمَفْدَى
وَلَا تَشْكُوا السَّأَمَةَ وَالْكَلالاً	فَجَدُّوا فِي عُلُومِكُمْ صَفَاراً
بَلَا عِلْمٍ فَقَدْ رَامَ الْمَحَالاً	فَمَنْ رَامَ الْكَوَاكِبَ وَالْدَرَارَى
فَلَا تَنْسُوا بِرَبِّكُمْ الْقِتَالَ	وَأِنْ صَرْتُمْ رِجَالَ النِّيلِ يَوْمَا
حَصِيفٍ وَاجْعَلُوا الْحَسَنَى جَدَالاً	وَذُودُوا عَنْهُ مَا اسْتَطَعْتُمْ بِرَأَى
عَلَى رَغْمِ الْخُطُوبِ وَلَنْ يَزَالَ	وَمَا زَالَ الرَّئِيسُ <sup>(١)</sup> لَكُمْ كَفِيلاً
تَزِيدُوا عُرْوَةَ الْوُدِّ اتِّصَالاً	وَكُونُوا لِلْأَجَانِبِ خَيْرَ عَوْنٍ
مَحْوُتُمْ عَنْكُمْ قِيلاً وَقَالاً	إِذَا عَشْتُمْ وَإِيَاهُمْ بِخَيْرٍ
نَسِيمٍ فِي قَصِيدَتِهِ تَغَالَى	لَقَدْ أَوْجَزْتَ خِيفَةً أَنْ يَقُولُوا:

### الجهاد في سبيل الدستور

وقال يستحث الأمة على طلب الدستور وعلى الاتحاد والثبات في ميدان الجهاد:

عَنْكُمْ شَفَارُ الظُّبَا مَخْضُوبَةٌ بِدَمٍ	فَلَا تَفْكُوا عَرَى الْقُرْبَى وَلَوْ رَجَعْتَ
فَتَقْرَعُوا السَّنَّ مِنْ ذُلٍّ وَمِنْ نَدَمٍ	وَلَا تَضِيعُوا مِنَ الدِّسْتُورِ فِرْصَتَهُ
أَوْ تَسْأَمُوا فَاحْتِمَالِ الذِّلِّ فِي السَّأَمِ	إِنْ تَبَاسَّوْا فَانْتِهَاءُ الْيَأْسِ مَسْكَنَةٌ
قَوْمٌ نِيَامٌ وَشَعْبٌ غَيْرُ مَلْتَمِمْ	مَا نَالَ قَطُّ الْمَعَانِي وَهِيَ دَانِيَةٌ
مَعَ الْهَوَانِ إِذَا كُنْتُمْ ذَوَى شَمَمٍ	خَيْرٌ لَنَا الْمَوْتُ مِنْ عَيْشِ نَكَابِدِهِ

### ذكرى مصطفى كامل

وقال في فبراير سنة ١٩٠٩ في ذكرى مرور العام الأول على وفاة مصطفى كامل، وقد ألقى

(١) يريد الزعيم محمد فريد وكان حاضراً الاحتفال. وكانت النيابة العامة قد استدعته لاستجوابه في تهمة صحفية باطلة، ثم أحالته إلى محكمة الجنايات، وقد حوكم فعلاً وقضت عليه المحكمة ظلاً في ٢٣ يناير سنة ١٩١١ بالسجن ستة أشهر.

هذه القصيدة في دار اللواء بين يدى محمد فريد وأعضاء الحزب الوطنى قبل أن يتحرك موكب الذكرى بالمسير:

ما بال عينك بالمدامع تسجُم  
قد عادت الذكرى فجددَ عودُها  
يا يوم كامل كنت يوماً قائماً  
يا يوم لا كانت طلائعك التى  
وختمها بقوله مخاطباً محمد فريد:

أفريدُ يا ابن الأكرمين تحيةً  
أفريد يقرئك السلامَ معاشرُ  
حصنت بيضتهم وصنت ذمارهم  
ركبوا مطايا الحزم نحو رئيسهم  
فاضرب برأيتك فى مواقف حمة  
من شاعر لعقود مدحك ينظمُ  
مدُّوا إليك يد الولاء وسلّموا  
بعزيمة قد أصغرت ما استعظموا  
إذ أنت بينهم الأجلّ الأحزم  
فالرأى فى بعض المواقف مخذم

### يهاجم الاحتلال فى إبان سلطانه

قال سنة ١٩٠٩ من قصيدة يحمل فيها على الاحتلال ويفضح نكثه بعهوده ويستنهض الهمم للجهاد، وقد بدأها يستصرخ الإنسانية لتمد إلى مصر المكافحة يد العون والتأييد، وهى من عيون الشعر الوطنى:

يا نَاشِرِينَ لواء العدل فى الأمم  
مُدُّوا إلينا يدا بيضاء نشكرها  
إننا مُنينا بأقوام جبابرة  
لو استطاعوا لساقونا أمامهم  
جاءوا إلينا وفى أيمانهم سرف  
قالوا لنا: إننا جننا بلادكم  
حتى تخدرت الأعصاب وانسدلت  
ولم يزالوا على هذا الدعاء وهم  
الله فى أمة أنت من الأُمم  
عند التحدث شكر الروض للديمر  
ما بين مغتصب منهم ومحتكم<sup>(١)</sup>  
ما بين متهم منا ومحترم  
يؤهون به فى العهد والقسم  
نبنى لكم ركن مجد غير منهم  
على العقول سجوفُ البطل والوهم  
لا يقصدون سوى الإخاد للهمم

(١) يريد المحتلين.

حتى إذا انتبهت منا جوارحنا  
حَكَّوا القلوب فأذكوها ورُبَّتْها  
فلا عهد لهم ترعى ولا ذمم  
صَبَّوا على مصر سَوَطا من تعنتهم  
هم أخرجونا بهذا الضيم من زمن  
وأدرك الحال فهم الحاذق الفهم  
أدَّى إلى النار حَكَّ البارد الشيم  
كما استباحوا الدينا النكت في الذمم  
وأججوا في حشاهها جَمْرَ بَغْيهم  
فإن همنا بدفع الضيم لم نُلم

\* \* \*

يا قائمين بأمر النيل حَسْبُكم  
ناموا هنيئاً قريرى العين أن لنا  
ما أخرج القوم من ظلم ومن غشم  
عَيْنًا من الشعب لم تغفل ولم تنم

وقال فيها يدعو الشعب إلى الاعتماد على نفسه:

أنت يا شعب وادى النيل كن حَكَمًا  
كم أمة حكمت في مصر وارتحلت  
سَلْ أمة الروم هل أبقت لنا أثرًا  
مضوا ولم يتركوا في مصر ماثرة  
هذى عجائب هذا القطر من زمن  
فليس غيرك من مستتصف حكم  
عنها حليفة جد بعد لم يقم  
يبقى على الدهر أو سَلْ أمة العجم  
ينبيك عنها لسان النيل والهزم  
وتلك حالات وادى النيل من قدم

### يحيى جريدة العلم

قام في سنة ١٩١٠ خلاف على ملكية (اللواء) بين بعض ورثة المرحوم مصطفى كامل، طرح أمره أمام القضاء، وعين حارس قضائى على اللواء، وكانت صحيفة الحزب الوطنى، وأراد الحارس أن يتدخل فى تحريره وتوجيه سياسته، فرفض المرحوم محمد فريد هذا التدخل، وأنشأ جريدة (العلم) وجعلها لسان حال الحزب الوطنى، وابتدأ ظهورها يوم ٧ مارس سنة ١٩١٠، فحيها نسيم بقصيدة بديعة، قال:

ألا فليخفق (العلم) الجديد  
أياعلم البلاد عليك منى  
أرى الأعلام معلقها بناءً  
بربك خبر الأقوام عنى  
يمينا إن طالعه سعيد  
سلام الله ما خفقت بنود  
ومعقلك الجوانح والكبود  
باتنوى الوزارة والعميد<sup>(١)</sup>

(١) وزارة محمد سعيد والعمد إلدون جورست معتمدا بريطانيا.

رفعت لنا وبالأبصار شك  
فجئنا من لدنك بكل فأل  
وإن كنا نرى الأعلام شتى  
من الشبهات والأيام سُودُ  
تحذاه التيمّن والسعود  
فأنت وربك العَلَمُ الفريد

\*\*\*

أيّا(عَلَم) البلاد أرى احتلالا  
أصرّ على الجفاء ونحن شعب  
وكم من جذوة في القلب شبت  
فقل لهم أثيروا كل عسف  
مقّ ينأى احتلال النيل عنا  
قَضُوا فينا بما شاءوا وصدّوا  
لقد فرحوا بما أوتوا فجاروا  
ضروب في المكاييد يوم تُحصى  
وكم ودّوا الشقاء لأهل مصر  
مكاييد يفزع التاريخ منها  
كأنا عنده نفرّ عبيد  
أضرّ به التعسف والوعيد  
فلم يدرك تأجّجها الخمود  
فريحُ العاسفين لها ركود  
وتصدق منه هاتيك الوعود؟  
كما راموا فهل نفع الصدود؟  
وللباغى إذا عقلوا حدود  
عليهم ليس يحصيها العديد  
كما شقيت بظلمهم (الهنود)  
ويصدف عن إعادتها المعيد

\*\*\*

أقول الحقّ لا أخشى انتقاما  
أإنّ أنّ المضيّم فقال رفقا  
إذا مدّوا حبال السوء يوما  
يهمّ إليه (طاغيّة) مريد  
تشدّ له السلاسل والقيود؟  
فإن الله يومئذ شهيد

\*\*\*

أيّا(عَلَم) البلاد إليك شعرا  
ودونك عقد نظمي من جان  
يريد الشامتون بنا نكالا  
فكن في الحق مثل الحق يمضى  
ولا تتبّع هواهم بعد عِلْمٍ  
فليس بنافع فيهم رشاد  
تردده التهائم والنجود  
ومن درر يقال لها قصيد  
(وياي الله إلّا مايريد)  
يكنّ لك بينهم بأس شديد  
يضلوا في الغوالة أو يزيّدوا  
ولا من بينهم رجل رشيد

## إلى الزعيم محمد فريد في سجنه

في سنة ١٩١١ حوكم الزعيم محمد فريد أمام محكمة الجنايات بتهمة أنه حبّذ الجرائم وأهان الحكومة إذ كتب مقدمة لكتاب (وطنيتي) الذي تضمن قصائد نظمها الأستاذ على الغاياني، ومع أن هذه المقدمة كتبها الزعيم دون أن يطلع على محتويات الكتاب وقبل أن يتم المؤلف وضعه ثم سافر الزعيم إلى أوروبا في مايو ولم يظهر الكتاب إلّا في شهر يولييه، وليس في المقدمة ما يقع تحت أى نص من قانون العقوبات. ومع ذلك فقد أقامت عليه النيابة الدعوى العمومية، وكان الغرض من محاكمة إرهابه وتهديد أنصاره واضطهاد الحركة الوطنية، وقد حكم عليه في ٢٣ يناير سنة ١٩١١ بالسجن ستة أشهر في هذه التهمة الباطلة، ونفذ فيه الحكم يوم صدوره.

فنظم أحمد نسيم قصيدة من روائع الشعر الوطني بعنوان (إلى الرئيس في سجنه) حيّاه فيها بأبلغ تحية، وعبر عن الشعور العام بإزائه أصدق تعبير، قال:

فأصبرُ على المقدور ستة أشهر	يأليتَ سجنكَ لم يكن بمقدّر
بعض الرثاء وأنت لما تقبر	قد جلّ رزؤُ الشعر حتى خلّته
لجعلته مثل الشواظ الأحمر	لولا احترام الحاكمين وحكمهم
أقصراً أم كنتَ غير مقصر <sup>(١)</sup>	أقصرتَ في ما قلتَ حتى لم تسَلْ
بالمِندَره المشهور أو بالأشهر	وتركت أقيال الدفاع فلم تعن
من أكبر يطاء الثرى أو أصغر	يكفيك عطفُ العالمين ووجدهم
وتزلزت أرض (الصفاء) و (المشعر)	حتى لقد ماد (البقيع) و (يثرب)
رب المحامد والعلل والمفخر	التّاع قلبُ (محمد) لمحمد

\* \* \*

فظننتُ أنك واقف في المنبر	إني نظرتك في اتهامك واقفاً
لهواكُما بين اللَّطى المتسّعّر	لتقول شعبي أو بلادى إننى
خلف الشباك جلوس من لم يُدعّر	ولقد رأيتك جالساً مستبسلاً
فهى العرينُ وأنت أجراً قسور	فرايتُ في هذا الشباك معانياً

(١) يشير إلى إيجاز الفقيد في جوابه على أسئلة المحكمة وعدم استعانتة بمحاميين للدفاع عنه إيماناً منه بطلان التهمة وتحديداً للمؤامرة التي اتخذت شكل المحاكمة.



ولقد لمحتك ماسيا في ثلّة  
فسألت هل هذا المسور «خالد»  
تعتز بينهم بقدر أوفر  
أم «جواهر» يختال بين العسكر

\* \* \*

أفريدُ يا ابن الأكرمين تحيةً  
في مصر قوم ناوأوك بشرهم  
ذكروك في حب البلاد وأهلها  
لو كنت ممن تاجروا بضميرهم  
أو كنت ممن يطلبون مراتبا  
وسبقت أجرام السماء وفُتّها  
من شاعر بسوى الأسى لم يشعر  
فاردد مكايدهم إليهم وانحر  
ما قيمة الإنسان إن لم يُذكر؟  
للعبت لعبا بالنضار الأصفر  
لشأوت في العلياء نجم المشتري  
من مظلم في ذاته أو نير

\* \* \*

أ (محمد) كن في النواذب ضيغاً  
إن بت أنت من الفوادح جازعا  
أشرق لعلك بين سجنك مشرقا  
فالشعب بعدك بات ينتجع العلا  
أنعم بسؤددك العظيم ومرحبا  
أعزز علينا يا ابن «أحمد» حالة  
مستجمعا للطارئ التنمر  
ما فضل مفتول الذراع غضنفر؟  
تهدى سبيل الطارق المتنور  
وغدا مُناه ورود هذا الكوثر  
بك من كريم الأصل زاكى العنصر  
جاءت بعيش بالهموم مكندر

\* \* \*

فكأنه بذّر يحجب نوره  
أو ذرة مكنونة في زاخر  
أو زهرة فيحاء خيف ذبولها  
أو ناظر غمضت عليه جفونه  
أو أنت سر الكائنات محجب  
ظلمات غيم في السماء كنهور  
أو دمة مخبوءة في محجر  
وضياع نفحتها إذا لم تستر  
حذرا عليه من القذى والعثير  
أو بعض مكنون القضاء المضر

\* \* \*

إلى أن قال:  
أحمد ما أنت أول مبتلى  
بالفادحات من الزمان الأكدر

إني عهدتك خير من يسدى الورى  
فأشهر لدى الأهوال عزمًا صادقًا  
ما الناس إلا اثنان ذاك ميسرر  
جلّ الإله فقد أرانا علمه  
بانت مراحمه بأكمل رونق  
لولا الفؤاد وما أصاب دفينه  
لولا مراس الداء صغت قصيدة

\*\*\*

عفوًا رئيس المخلصين فإننى  
قد جئتُ أزعجى فى القريض خريدة  
عطرية فيحاء طورًا عن شذا  
فيها معان صاغها لك مبدع  
فاخلع عليها من خلالك نفحة  
لى فيك ملء الخافقين لآلىء  
فعليك منى ما حيت تحية

### يحيى الوحدة الوطنية

قال سنة ١٩١٩ يحيى الوحدة الوطنية والتآخى بين المسلمين والأقباط:

أقباط مصر ومسلموها ضمهم  
الناشئون على الطهارة والتقى  
والخالدون إلى السكينة كلما  
برح الخفاء وبان أننا أمة  
إننا لنرجو أن نعيش بغبطة  
دين المسيح وشرعة الإسلام  
والقائمون بمصر خير قيام  
جاء الزمان بشدة وعرام  
لم تبغ غير محبة ووئام  
توحى السلام وتنتهى بسلام

### يرثى فريدا

قال سنة ١٩١٩ من قصيدة فى رثاء محمد فريد:

رمانا الزمان بإحدى الكبر  
ومنه العظاات ومنه العبر!

شهير تصارع في حومة  
 وخلف من بعده أمة  
 أقي جثة سافرت للبلبي  
 مني أوردته حياض الردى  
 تعلقها عند سرخ الصبا  
 وأينع في روضها غرسه  
 وأي امرئ عاش أقصى المدى  
 رماه القضاء بها والقدر  
 كسرب النجوم فقدن القمر  
 ولم تسترح من عناء السفر  
 وورد الردى ماله من صدر  
 ولم يحفها عند مس الكبر  
 ولم يبق إلا اجتناء الثمر  
 فنال من العيش أقصى الوطر؟

\*\*\*

إلى أن قال:

هنيئا لميت نعتة العلي  
 وحسب فريد مني نالها  
 فتى أغمض الموت أجفانه  
 أفاض على قومه ماله  
 طوبل نجاد الجدى عائل  
 رأى الحرص عارا على نفسه  
 وكان بصيرا بعقبى الندى  
 وأخلد ما للفتى ذكره  
 وكم صامت ناطق في الثرى  
 وليس الذى ذكره خامل  
 وليس بميت أغر اسمه  
 خطيب المنابر منطيقها  
 فإن يكب يوما بضمارة  
 وما زال ينهب في عدوه  
 وحتى دهنه بأعناتها  
 وطوبى لحى وعى وأذكر  
 فقد حصدت كفه ما بذر  
 وأطبقها بعد طول السهر  
 فأدى الحقوق وأسدى البدر  
 لكل ضريك إليه افتقر  
 فهان على نفسه ما ادخر  
 يرى المال يفنى وتبقى السير  
 إذا نزل القبر لا ما يذر  
 بآى فصاح كآى السور  
 كمن شاع صيب له وانتشر  
 على صفحات العلى مستطر  
 وأسلس من فوق جمع نثر  
 فكم من جواد كبا أو عثر  
 فإنى الفجائع حتى ضمير  
 كوارث كاسرة للفقير

وختمها بقوله:

أرى «كاملا» راح في شرخه  
 وأودى «فريد» حميد الأثر

زعيمًا بلاد خلت منها،  
عزاء العلا عنها أمة  
وشعب سعى نحو آماله  
وما من ضعيف القوى واهن

«أبو بكر» مات وولى «عمر»  
تنادت لتجديد مجد دثر  
بعز توقد حتى استعر  
تشبث بالحق إلا انتصر

### يحيى جريدة الأخبار

قال سنة ١٩٢٠ يحيى المرحوم أمين الرافعي لمناسبة إصداره جريدة الأخبار:

ياوحى أسعفى بنظم قلادة  
هذا (أمين الرافعي) ومن له  
يا (رافعي) لأنت أصدق مخلص  
جرّد يراع المخلصين وذو بها  
واحذر على (الأخبار) من آفاتهما  
اليوم هنأت البلاد بكاتب

صِغت لألثها من الأشعار  
خير السجايا الغرّ والآثار  
للنيل في الإعلان والإسرار  
بطش القوى وصوله الجبار  
إن (الرواة) لآفة الأخبار  
ملكته يداه صحيفة الأحرار

### يندد بالانقسام ويدعو إلى التآخي

وقال سنة ١٩٢١ حين استند الانقسام بين سعد وعدلى وأنصارهما، يندد بهذا الانقسام ويدعو إلى توحيد الصفوف:

قالوا انقسمنا فقلنا فتنة عمم  
ولم تكن غير جيش راكب طرفا  
حتى يرفّ لسواء الفوز منعقدا  
وكيف نُقسّم والتاريخ ينبئنا  
فحاذروا أن تحلوا عقد شملكم  
ونظّموا ما استطعتم من صفوفكم  
ولا أحدثكم عن إرثكم عجبا

بها تُفلّ مواضى العزم والهمم  
شقى المسالك من سهل ومن أكم  
على الزمان بحق غير مهتم  
أن الفلاح لشعب غير منقسم  
فتقرعوا السن من حزن ومن ندم  
فالجيش إن بعره الإخلال ينهزم  
فمنه كان بسزوج المجد والكرم

\*\*\*

والمجد يدرك بالأعمال منجزة  
لا درك المجد بالألفاظ والكلم

\*\*\*

# أحمد الكاشف

١٨٧٨ - ١٩٤٨



من الرعيل الأول من شعراء الوطنية، ولد سنة ١٨٧٨ بالقرشية من بلاد مركز السنطة غربية، وهو ابن المرحوم ذو الفقار الكاشف، وجدّه من ضباط الجيش المصرى الذين خاضوا غمار المعارك فى عهد محمد على، تلقى علومه الأولية فى منزل والده بالقرشية، ثم التحق بمدرسة الأقباط الابتدائية بطنطا حتى استوفى دراسته، ثم عاد إلى بلده وأقام فيها، ومالت نفسه منذ صباه إلى الشعر والأدب، وكان الشعر طبيعة له وسليقة، فعكف على المطالعة وأكب على كتب الأدب ودواوين الشعراء المتقدمين يدرسها ويستوعبها، فحاكاهم فى الأسلوب والبلاغة، واتجهت نفسه إلى نظم الشعر فى المعانى الوطنية، فجادت قريحته بشعر وطنى من الطراز الرفيع، ووقف حياته على هذا اللون من الشعر، وعاش عمره عيونا أيبا، معتكفاً فى بلده (القرشية)، وفى ذلك يقول عن نفسه:

ولقد تحاشيت المدائن زاهداً      وبددت أطلب وحدةً وسكوناً  
لا أرتضى غير الطبيعة مأنساً      والذكر كأساً والقريض خديناً  
وله قصائد عصاء نظمها فى مختلف المناسبات، وعبر فيها أبلغ تعبير عن أحاسيسه ومشاعره الوطنية، وظل وفياً لمبادئه طول حياته، وتألق شعره فى سماء الأدب والوطنية، وبلغ الذروة فى هذا المجال.

## اتفاقية السودان

قال عن اتفاقية السودان التى أكرهت مصر على إمضاها سنة ١٨٩٩ على أثر انتصار الجيش المصرى فى السودان.

انتصرنا وما الذى قد جنينا      ه من النصر بعد طول العناء؟

ماجنينا سوى (الوفاق) جزاء  
وإذا شارك الضعيف قويا  
إن هذا الوفاق شرّ جزاء  
في منال فحظه كاهلباء

### الجندي في المعركة

وطنى أنت الحبيب الدائم  
وغرامى بك طبع لازم  
لك أسعى دائباً مجتهدا  
لأبالي في طريقى أبداً  
وطنى أفديك بالروح إذا  
وأرى اللذة في دفع الأذى  
دمت يا نيل أبرّ الأنهر  
دمت تجرى يا شبيه الكوثر  
دمت يا صحراء ميدان الجنود  
مظهرا للباس من بيض وسود  
لك في قلبي المقام الأشرف  
سرّنى أنى به متصف  
برجاء ثابت مقتدر  
طال ليلى أو نغادى سهرى  
مسك الدهر بسوء لا يطاق  
عنك بالنيران والبيض الرقاق  
بنفوس كم رأت منك وفاء  
مُهدى الوادى هناء ورخاء  
بين قطريك اللذين اتحدا  
يضمن النصر لنا والسوددا

### قصيدته في اللورد كرومر سنة ١٩٠٧

لما رحل اللورد كرومر عن مصر على أثر حادثة دنشواى، شيعه الكاشف بقصيدة ندد فيها بطغيانه وجبروته، قال:

أعياء عزائمك القضاء الأغلب  
أرايت كيف يُفاجأ السباق في  
وليت تبدو في زخارف مخلص  
غافلتهم حيناً فلم يتلفّفتوا  
وطوى صحيفتك الزمان القلب  
غاياته ويقاطع المتوئّب  
للقوم تخفى ما اعتزمت وتحجب  
إلا ونابك فيهم والمخلب

وذكر حادثة دنشواى وكيف فرح المصريون بإقصائه عن منصبه:

وختمت عهدك بالذى اهتزت له  
وتنفس الصعداء شعبٌ حامل  
ماذا كسبت وأنت عنا راحل  
إلا الجفاء وبش هذا المكسب  
أركان (مكة) واستعادت (يثر)  
هنا يضيق به الفضاء الأرحب  
إلا الجفاء وبش هذا المكسب

## ينذر الإنجليز

وقال يخاطب الإنجليز وينذرهم سوء العاقبة:

قلدت الرومان في استعمارهم هلاً ذكرتم منتهى الرومان؟  
اليوم سؤددكم وسؤددنا غداً كم أدرك المتعادي المتواني  
رحاكم فينا لنذكركم إذا دار الزمان وحالت الحالان  
إنا لنترجو من بنيائنا عُدَّة لا عُدَّة الجيران والضيفان

## يندد بوزارة مصطفى فهمي

قال في أبريل سنة ١٩٠٨ يدعو وزارة مصطفى فهمي إلى الاستقالة، وكانت بغیضة إلى الشعب:

أفي كل يوم يشهد النيل نابغا يعيش ففرجوه ويُقضى فنجزع<sup>(١)</sup>  
وليس لكم في موسم الحى مظهر وليس لكم في ماتم الميت مفزع  
لقد ستمت تلك الكراسى مكنكم فهلا شعرتم وهي تشكو وتضرع<sup>(٢)</sup>  
وهلاً اعتزلتم منصباً لا ينيلكم من الأمر إلا أن تذللوا وتخضعوا؟  
أخاف عليكم أن تموتوا وأنتم أضر من العادي علينا وأشنع  
فإن ستمت أن يعفوا النيل عنكم ويكبركم أبناء مصر ويرفعوا  
فخلوا وزارات البلاد لأهلها إذا أرعد الجبار لم يتزعزعوا  
إذن لرأيتم ما رأى من كرامة ومرحة ذاك الشهيد المشيع<sup>(٣)</sup>

## يمجد الفلاح ويمدحه

وقال يمدح (الفلاح المصرى):

إذا استبقيت في الدنيا حبيبا فخير أجبتى فلاح مصر

(١) يشير إلى مصطفى كامل وقد توفى في فبراير سنة ١٩٠٨.

(٢) مكنت وزارة مصطفى فهمي تتولى الحكم ثلاثة عشر عاماً من نوفمبر سنة ١٨٩٠ إلى نوفمبر سنة ١٩٠٨، وكان عهدها خضوعاً وتسليماً للاحتلال البريطانى.

(٣) يشير إلى مصطفى كامل.

كريم يملأ الوادى ثراه      ولا يَلْقَى سوى الإجحاف أجرا  
فقيرٌ ما أراه شكاً افتقارا      ولو يُجْزَى على تعب لأثرى  
فمحراثٌ يشقُّ الأرض عندى      ويخرج من ثراه الخصب تبرا  
كسيف فى يد الجندى لاقى      به جيشا وجِصنا مُشمخرا

### صلته بمصطفى كامل

كان الكاشف صديقاً ونصيراً لمصطفى كامل، وكان لدعوة الزعيم وتعاليمه صداها فى قصائده، وكان مصطفى يقدره ويعجب به ويسميه (شاعر الغريبة النابغة)، وكثيراً ما كان هو يردد كلمات مصطفى كامل ومعانيها ويصوغها فى قالب شعرى رفيع.

قال عن صلة الخطابة بالشعر:

ولئن هزرت العالمين فإن من      تلك الخطابة هذه الأشعارا  
وقال يردد كلمة مصطفى كامل (لو لم أكن مصرىا لوددت أن أكون مصرىا):  
لو كنتُ فى الخلد أو فى غيره ملكا      وددت لو أننى فى مصر إنسانا  
وقال فى محاربة اليأس:

وما معنى القنوط وأنت حى      وما معنى القنوط مع الحياة؟

وقال فى قيمة الاستقلال:

إن البلاد بلا استقلال صاحبها      قفّر لديه وأصبح جنات

ولما مات الزعيم رثاه الكاشف بمرثية رائعة بلغت نحو مائة بيت، قال فيها:  
لهفى عليك وقد رحلت اليوم لم      تدرك لغرسك فى البلاد ثمارا

إلى أن قال يشير إلى الرحلة التى كان يعتزم الزعيم القيام بها فى الشرق:

لهفى وما لانتك (يثرب) ضيفها      وخطيبها المسترسل المكثارا  
لهفى عليك ولم تسر متفقدا      فى الهند إخوانا لمصر حيارى  
لهفى ولم تنقل من اليابان ما      يهب البلاد حضارة وعمارا  
قد كنت مزعم هجرة لو قدرت      قربت أعوانا لمصر كبارا  
وجعت بين السابقين وأمة      مهضومة تتبّع الآثارا



ثم يستنكر على وزراء مصر. وقتئذ تخلفهم عن تشييع جنازة الزعيم خشية إغضاب الإنجليز، قال:

ويل الذين تخلفوا عن مشهد      مَشَتْ الملائك حوله إكبارا  
هل يعرضون ترفعا وتكبرا      أم يسكنون تهيبا وحذارا؟

ثم يصف احتشاد الأمة يوم تشييع الجنازة قال:

يا قائد الأبطال هذا جيشك الـ      جَرَّار فانظر جيشك الجرارا  
يوم كيوم الحشر ضمهم وكم      رَحَّبت في أرب لهم مضمارا  
فلئن بكوا فلقد بكيتهم وهم      غرباء في أوطانهم وأسارى  
أو يحملوك على رءوسهم فقد      أصدتهم فوق النجوم فخارا

وختم مرثيته بقوله:

أشهدت مصر على علاك ونيلها      وصعيدها والنبت والأحجارا  
لو لم تسل قطع النفوس لشيدوا      منها لك التمثال والتذكارا  
ما مات من ورثت منه أمة      تجرى على منهاجه استمرارا

### يحمل على سياسة الوفاق، ويعاتب الخديو عباس الثانى

فى سنة ١٩٠٩ كانت سياسة الوفاق بين الخديو عباس الثانى وإنجلترا تسيطر على الجو السياسى فى مصر، وكان هدف هذه السياسة محاربة الحركة الوطنية، وبدأت مظاهر هذه السياسة فى تنكر الخديو للكفاح الشعبى ومناصرته للاحتلال وسياسته.

نظم الكاشف هذه القصيدة سنة ١٩٠٩ يحمل فيها على سياسة الوفاق ويخاطب الخديو عباس الثانى ويعاتبه ويحذره مغبة الاستنامة إلى وعود الإنجليز، وهى من أبلغ قصائده وأقواها:

أهلاً وسهلاً بالوفاق ومرحباً      لو كان فيه قضاء ما وعدوكا  
إن كنتَ مشرطاً (الجلاء) فواجبٌ      لك أن نودهم كما ودوكا  
خير لنا أن يعلنوا البغضاء من      أن يعلنوا ذا الموثق المفكوكا  
حاستنهم لتردّ عنا شبهة      كم حاربوك بها وما حربوكا؟  
ما كان حباً ما ترى لكنه      كتم المخائلى سره المهتوكا  
أرأيت كيف وشى بكل مذهب      حرّ قكان إلا فك المأفوكا؟

اليوم يشكونا إليك وما بنا غير الوفاء وفي غد يشكوكا  
أعيا على أوهامه ووعيده هذا المراس فقام يستصفيكا

\*\*\*

ماذا ترى في غاصبين يسوءهم أنا نحس وأننا نروكا  
أتخاف شكوى المخلصين ولم تخف فيها مضى عدوان مضطهديك؟  
يأليتهم جعلوا القيود لكل ذى نظر وما انتقموا بأن حجبوكا  
هل كان مُسمِعُكَ السلامَ مشاغبا أم كان غير مشوّق رائيكا؟  
إنّا وإياك ابتليناهم فهل صدّقوا الورى يوما وهل صدّقوكا؟  
أولى بهم وقد اتهمنا نصحبهم أن لا تصدقهم إذا نصحبوكا

\*\*\*

أرهم مراسك قبل أن يستأسدوا إنّا لنخشاهم إذا أمنوكا  
يا حيدا يوم (الجلاء) ولا نرى جندا يصول ولا دما مسفوكا

### يخاطب اللورد كتشنر

في سنة ١٩١١ عين اللورد كتشنر معتمداً لبريطانيا في مصر، وكان معروفا عنه الصلف والغطرسة، فاستقبله الكاشف بقصيدة رائعة تفيض وطنية وشمًا وإباءً. قال في مطلعها:

مهلاً لتمتحن الطريق خطاكا إن كلفوك لغاية إدراكا  
في مصر شعبٌ لا يُضام ومالك<sup>(١)</sup> متفرد لا يقبل الإشرাকা  
ما أنت حابس نيلها يوماً ولا أهرامها مهدومة بقواكا  
الله أكبرُ من جيوشك سطوة والدهر أبعد من مدى مرماكا

إلى أن قال:

هل يُذنب الجرحى إذا هم حاولوا دون الضواري صيحةً وحراكا؟  
لسنا قطيعاً غابَ راعية كما كنا ولست الضيغم الفتاكا

(١) لعله يقصد المالك الأمة فهي مصدر السلطات ولا تقبل إشرাকা في سيادتها.

إن كنت طلق الوجه أو متجهها  
ولعل شأنك في مشييك غير ما  
فإنه يعلم منتهى نجواكا  
أسلفته في عنفوان صباكا  
إلين قال:

واذكر لوادى النيل نعمته عسى  
فإذا تجاوزت الكنانة فافتتح  
في غير مصر ذرائع ومواقع  
ولئن غضبت على الأباة فصبرهم  
فاعرف لهم عذر الحريص إذا هم  
تُعطي بنيه بعض ما أعطاك  
ما شاء عزمك واصعد الأفلاك  
للمستزيد مطامعا وعراك  
أولى وأجل من رجاء رضاكا  
لم يسلموا لك ما تنال يداكا

### يبشر بالاشتراكية

في أعقاب الحرب العالمية وبعد توقيع معاهدة الصلح في فرساي (مايو سنة ١٩١٩) بين ألمانيا والحلفاء، نظم الكاشف قصيدة عصماء تناول فيها شتى المعاني السياسية والوطنية. فمن قوله يبشر بالاشتراكية:

للاشتركية العقبى إذا شملت  
فلا الكثيرون ملكاً للأقليات  
ولا نرى واحداً ملأى خزانته  
ولا نرى درة في رأس محتكم  
سقى الشعوب وجارها المجارونا  
ولا الأقليون ملكاً للكثيرينا  
بالمغنيات وآلأفا يجوعونا  
تهفو إليها قلوب المستظلينا

### يندد بغدر الإنجليز وتنكرهم لمصر

وقال في هذه القصيدة يندد بغدر الإنجليز وتنكرهم لمصر بعد أن عاونتهم في تلك الحرب:

يا نائلين من الحرب العوان سوى  
نَجوْتُم من رزاياها ومالكُم  
مدّ الحديد لكم في كل مرحلة  
ورابطوا لأعاديكم على هدف  
ما كان منتظراً منها ومظنوناً  
لا تذكرون وفاقاً غير ناجيناً؟  
وذللوا لكم أطواها ليناً<sup>(١)</sup>  
وألحقوا النيل بالأردن ساقينا

(١) يشير إلى تسخير العمال المصريين في مد السكك الحديدية في سيناء إلى العريش أثناء الحرب العالمية الأولى.

وكم عتبخ على قوم لأجلكم  
وقلتم لم ينل قومٌ بغير دمٍ  
ونال من دمنا في عصر جندكم  
فهل غسلتم خطايا الأبرياء به  
أتستهينون بالإنسان ماثلكم  
هَبُوا حِمَى مصر والسودان مزرعةً  
ورثتم خصمكم ميتاً وصاحبكم

\* \* \*

جربتمو مصر في تقييدها زمنا  
أمتتم مصر فيما نال أمتكم  
وقلتم: مصر للهند السبيل فإن  
أما إلى الهند إلا مصر من سُبُل  
يهدد الهند أهله وجيرته  
خافوا سوانا وأعطونا أمانينا  
وإن فردا. لذي ملك يرُّ به  
عن أى شىء لمصر تسألون وقد  
بالسيف والنار يدعو الناس جندكم  
ضَعُوا السلاسل عنا واطلبوا جدلا  
وربما قبلت دعواكم دول  
لَيْتَ الذى حَرَمَ الألمان غايتهم  
وليت من زاد قوما قوةً وغنىً  
أتسفكون لظلوم دماءكم  
وهل وفيتم بميثاقٍ لمصر كما

فجربوا مصر في إطلاقها حيناً  
فأى سىء على مصر تخافونا؟  
ضاع السبيل أضعنا الهند ساهينا  
ملأى شواهين أو ملأى سراحينا<sup>(١)</sup>  
ولا يزال سبيل الهند مأمونا  
فما تضرُّكم يوماً أمانينا  
خيرٌ له من جماعات يثورون  
هزَّت مسائل مصر الهند والصينا<sup>(٢)</sup>  
وتطلبون من الصرعى مجيبينا  
تروا أدلة مصر والبراهينا  
وأق مصر أباهُ غير راضينا  
أخاف قوما سواهم لا يبالونا  
يرعى ويحرس أقواماً مساكيننا  
وبالكلام على عانٍ تَضُنُونَا؟  
رعتُم العهد للبلجيك موفينا؟

(١) السراحين: الذئاب.

(٢) يسير إلى تأليف الحكومة البريطانية اللجنة المعروفة بلجنة ملنر بدعوى البحث عن أسباب ثورة سنة ١٩١٩ والوسائل للملاحة هذه الأسباب.

كم أعجبتكم من الأحرار عزَّتكم  
فهل ذكرتم وأكبرتم لنا غرضاً  
كم أنجب البطل الأحداث عالية  
كنا أمانة دهر عندكم وأقى  
وقد أقرّ لمصر كل منتصف  
قد أصرت على استقلالها فعلى  
كانوا موالين أو كانوا معادين  
كما ذكرتم وأكبتهم (وشنطونا)<sup>(١)</sup>  
وأنجب الحدث الأبطال عالينا  
وقت الأداء فهل أنتم مؤدونا؟  
بحق مصر فهل أنتم قرونا؟  
أى المآرب أصبحتم مصرينا؟

### يحذر قومه من التحالف مع بريطانيا

وفى هذه القصيدة (التي نظمها في أواخر سنة ١٩١٩) يحذر قومه من فكرة التحالف بين مصر وبريطانيا. قال:

أواهبون لمصر كل ما طلبت  
وإن رفعتهم عن الوادى حمايتكم  
وإن تروا بدلا منها (محالفة)  
إنا لنعجز عن حق الحليف وعن  
وما مجاورة الأقوى وشركته  
ادعوا بنى مصر أندادا لكم ودعوا  
وغادروها لأكفاء تجارهم  
يفدون مصر وإن شأكت منابتها  
وإن تدفق في البيداء منصرفا  
أحرار مصر تبارهم حرائرها  
أم آخذون بمقدار ومعطونا؟  
فما اسم لاحقها فيما تُسمونا؟  
فمن لنا بضمانات المساوينا؟  
حق الشريك وأنتم تستزيدونا  
إلا كما جاور العصفور شاهينا  
ولاية مصر ملوكا أو سلاطينا  
تُغنيهم عن تكاليف المشيرينا  
وإن جرى نيلها مهلا وغسلينا  
وإن أقام وراء السد مخزوننا  
ففاديات كما نرجو وفاديننا

### يندد بالاستعمار والطغيان

وفى هذه القصيدة يندد بالاستعمار والطغيان ويحملها مسئولية الحرب الطاحنة التي أكتوت الشعوب بنارها. قال:

أمضى على الصلح قومٌ يعيشون به وقد نأى عنه قومٌ غير مُمضينا

(١) جورج واشنطن محرر أمريكا، وكان على رأس الجيش الوطنى الأمريكى الذى حارب الإنجليز وقد اعترفت بريطانيا باستقلال الولايات المتحدة سنة ١٧٨٣ بعد أن انتهت الحرب بظفر الأمريكان.

تنفس الصعداء اليوم بعضهم  
هل يعرف الدهر حربا كالتى شهدت  
صناعة هى يعتز الملوك بها  
أم كانت المرض الموروث فى دول  
ما كان أكبر آثام الأنام وما  
أين الأسرة والتيجان أسألهما  
الرافعين على الأشلاء دورهم  
جنت على ملكهم أسلاب غيرهم

ولم يزل بعضهم أسوان محزوننا  
تلك الثمانى يتلوها ثمانونا  
على العباد الأذلاء المطيعينا  
أعيت طبائعها السؤد المداوينا  
أذكى وأعلى الضحايا والقرايينا  
عن الملوك الطغاة المستبدينا  
المالئين دما تلك المياديننا  
فهل تذكر هذا المستغلونا؟

إلى أن قال:

دانت لعسكر (ولسون) جبابرة  
أغرى البرية باستقلالهم ونأى

وأين ما صنعت آراء ولسونا<sup>(١)</sup>؟  
عنهم وهم بالذى أغرى يهمونا

### القوة سناد الحق

والحق فى كل عصر فاقد سندا  
فدو السلاح هو المهروب جانبه

إن لم يجد طلبا بالبأس مقرونا  
إذا انتفى الأعزل المغلوب مغبونا

### أمل مصر فى بنيتها

وختم هذه القصيدة الرائعة بقوله:

من لم ير اليوم فى العمران موضعه  
ونحن أولى بأن نرعى مواطننا

لم يلق فى غده دنيا ولا ديننا  
نوفى المكاييل فيها والموازيننا

### مؤتمر لوزان

#### الحق للقوة

فى سنة ١٩٢٣ ترامت الأنباء عن مؤتمر لوزان بأنه يخذل مطالب الشعوب الشرقية فقال  
الكاشف يدعوها إلى القوة والتعاون فى مكافحة الاستعمار:

(١) ولسون الرئيس الأسبق لجمهورية الولايات المتحدة الأمريكية. يشير الشاعر فى هذا البيب والأبيات التالية إلى مبادئ  
ولس الى أعلنها حين دخول أمريكا الحرب إلى جانب بريطانيا وحلفائها وكيف تنكر لها بعد انتصار الحلفاء.

فد يفعل البأس ما لاتفعل الحُطْبُ  
والحق منقلب في الغرب مغترب  
ودونه في سوى لوزان مضطرب  
ودون ما يبتغيه الهول والنُّوب

عودوا إلى البأس بعد اللين فهو لكم  
لا حق للشرق إلا في معاقله  
هل يملك الحكم في (لوزان) خصمكم  
ما كان (كرزون) بالمو في لأمته  
إلى أن قال:

يقضى الحديدُ عليها فيه والذهب  
فالشرق أسوان والإسلام ينتحب  
والبيت منتهبٌ و (القدس) مغتصب  
من الدم الحرّ لا الدمع الذي سكبوا  
بذلُ النفوس له بعض الذي يجب  
فالأرض تحمله حرا أو الشُّهب

إني لأشفق من يوم على دُولٍ  
ممالك الشرق والإسلام تذكرة  
أين الأمانة والميناق بينكم  
مجد الرجال على مقدار ما بذلوا  
ذودوا عن الوطن الغالي وعن شرف  
ومن أراد حياة العز طيبة

\*\*\*

في الغرب ينتظر العقبي ويرتقب  
ماخطه في فروق الفتية النجب  
في سائر الأمر جدّ القوم أولعبوا  
وأنه أمل الأبرار والأرب  
وليس يعلم ما يأتي به رجب

ياوافد الشرق جوابا بلا سند  
مصير كل قبيل بعد جولته  
فصل الخطاب لهم بعد القضاء غدا  
أين السلام وأين العاملون له؟  
كل يمد وراء الغيب غايته

### يتندر على عيد ١٥ مارس سنة ١٩٢٢

قال من قصيدة له في مارس سنة ١٩٢٣ يتندر على عيد الاستقلال الذي جعلوا تاريخه يوم  
١٥ مارس سنة ١٩٢٢ حيث أعلن الملك فؤاد استقلال مصر على أثر صدور تصريح ٢٨ فبراير  
سنة ١٩٢٢:

ياعيد الاستقلال أن  
للعتيق أم للرق ما  
أبهرجان تحفى الـ  
ت له خيال أم حقيقه؟  
خطوه في تلك الوثيقه  
ظمأى وتحتفل الغريقة؟

وتنال مصر مرامها من بعد ماسدوا طريقه<sup>(١)</sup>  
يتكلفون<sup>(٢)</sup> الصالحات لها وتأبأها السليقة  
إن أطلقوا أمس البلا د فمهم ليست طليقه  
وحديقة أضحت ول كمن للغريب جنى الحديقة  
وإن استبد بنيلها قتل الشقيقة بالشقيقه<sup>(٣)</sup>

\*\*\*

وأحرر أكباد إلى حرية الوادى مشوقه  
هذا زكى دمي لها أجد الرضا في أن أريقه

\*\*\*

أتخاذل زعماء مصر ر أمام هاوية عميقة؟  
أى العقاب أحق بالرجل الذى يؤذى رفيقه؟  
عاد الغريم لمصر يعبس بعد خدعته الدقيقه  
فإن افترقتم عنده كنتم جميعكم فريقه

يحذر من نوايا الإنجليز ويدعو النواب إلى أداء واجباتهم

وقال من قصيدة له يوم ١٥ مارس سنة ١٩٢٤ وهو اليوم الذى اجتمع فيه البرلمان الأول  
وكان سعد زغلول يتولى رئاسة وزارة الأغلبية.

سلاما على حصنكم والعلم ورعيا لندوتكم فى الأمم  
سلاما على ذلك الملتقى سلاما على ذلك المزدحم

إلى أن قال:

أمانة مستوثق معلن لكم من سرائره ما كنتم  
وهذا غريكم<sup>(٤)</sup> الملتوى تجمل بعد الأذى واحتشم

(١) يشير إلى الإنجليز الذين وضعوا العقبات أمام مصر فى جهادها لتحقيق أهدافها.

(٢) الإشارة هنا أيضا إلى الانجليز.

(٣) مصر والسودان.

(٤) يقصد الاحتلال.



تولّى بغاياته عابساً      وعادوها فاتنا فابتسم  
إلى أجل أم إلى منتهى      مراميه يلزمكم ما التزم  
وهل ينجلي الأفق أم يرتقى      بعاصفة بعد هذا النّسم  
ولو كان يعرف عُقبى النّزا      ع في الحق من زمن لا نحسم

وقال يدعو إلى التآخي وصفاء القلوب بين المواطنين:

وليس يقالُ فريقُ هَفا      وليس يقالُ فريقُ ظَلَمَ  
يضيع على مصر هذا النعيم      هم إن لم يكن كل بيت أجَم  
وما أنا بالآمن المطمئن      إلى المستعد الذي لم ينم<sup>(١)</sup>  
أعد المَرباطُ في المسلكين      ومن مَلَك المسلكين اقتحم  
وهل يترك الذئبُ عاداته      وإن لَبَسَ الذئبُ ثوب الغنم؟

\* \* \*

وداهية مرجف بالذي      وليس الذي قاله حجة  
وهل يستطيع اغتصاب الرقا      فقد أَلِفَ الناس هذا النّغم  
وما صنعت بالمغير القلا      ب من يجراس النفوس اصطدم  
وحسبكم شملكم عُدّة      ع صُنِعَ إبانكم والشمم  
وما أحسن العفو من قادر      وحسبكم صبركم معتصم  
سيجلو عن الأرض جبارها      إذا ما انتهى حاقد وانتقم  
ولا دولة لسوى المصلحين      ويلبث فيها كريم الشيم  
ولا دولة لسوى المصلحين      ولائلك لأهل الهمم

### عيوب الحزبية

وقال سنة ١٩٢٥ من قصيدة له حين اشتد التناحر بين الأحزاب، يدعو إلى نبذ الخصام:

وقفت وما أدري أَعُدَّ حوادثُها      تدور أمامي أم أَعُدَّ ذنوبُها  
تحملت عن قومي نصيباً من الأسى      ولم أَرُجُ من أجر الجهاد نصيباً

(١) يريد الانجليز.

وأمعنت في غيب المقادير علني  
وليس بمغني أمة خصب أرضها  
أرى فرجا للأمتين قريبا  
إذا لم يكن خلق الرجال خصيبا

\* \* \*

تنازع قومي اليوم جندا وقادة  
مبادئ أحزاب أرى أم منافعا  
تقضت حروب العالمين ولم أزل  
بقومي على قومي استعان غريبهم  
فمن لهم بالمنفذ الأمر حازما  
يردهم بعد القطيعة والنوى  
فلم أر إلا ساليا وسليبا  
توالت صنوفا بينهم وضروبا  
أرى بين أبناء البلاد حروبا  
فصال شمالا واستطال جنوبا  
إذا لم يطيعوا نافذا وحسيبا  
رفاقا كما يلقي العليل طيبا

### قريتي

قصيدة نظمها بهذا العنوان سنة ١٩٣٦، يصور فيها حياته في بلدته (القرشية) ويؤثرها على حياة المدن، قال:

جمعت في العيد حولي سائر الآل  
أبنا دعوئي وما لي فيهم ولد  
كأنني وهم في الدار مطلع  
إلى أن قال في إثارة الإقامة في الريف:  
أقمت في الريف لا أشقى بطاغية  
وعشت بالرطب من بقل وفاكهة  
أطلت فيها اعتزال العالمين ولي  
لقيت في عشرة الجهال عاطفة  
وملتقى الآل حولي كل آمالي  
ولست للقوم غير العم والخال  
منهم على أمم شتى وأجيال  
من الرجال ولا لاهٍ وختال  
فيما ملكت وماء فيه سلسال  
بكل ناحية همى وأشغالي  
لم ألقها من رجال غير جهال

### يحذر قومه من مفاوضات سنة ١٩٣٦

وعرج في هذه القصيدة بالمفاوضات التي كانت جارية وقتئذ بين مصر وبريطانيا وأسفرت عن معاهدة سنة ١٩٣٦، فحذر قومه من مقبة هذه المفاوضات، قال:

ولم أزل بينهم للخصم متقيا  
دخائلا هي في ذهني وفي بالي

٢٢٩

أخشى على رسلهم نياته وهم  
وما تزال كما كانت سياسته  
موضع الند أرجو عنده لهم  
وقد يكون لهم من ضيقهم فرج  
منه أمام جلاميد وأدغال  
يدور فيها بأشكال وألوان  
لا موضع الصيد من أنياب رنبال  
كما تُدافع أهوال بأهوال  
وظل الكاشف في قرите وعزلته، وفيًا لشعره ومبادئه، إلى أن أدركته الوفاة في ٢٩ مايو سنة

١٩٤٨.

\* \* \*

## محمد عبد المطلب

١٨٧٠ - ١٩٣١



هو الشاعر البدوي البليغ، والمجاهد الوطني الصميم، محمد عبد المطلب، ولد سنة ١٨٧٠ ببلدة (باصونه) من قرى مديرية جرجا لأبوين عربيين مصريين من سلالة قبيلة جهينة إحدى قبائل جزيرة العرب، وكان والده رجلاً صالحاً متفهماً، فأرسل ابنه إلى الأزهر وتلقى فيه العلم نحو سبع سنين، ثم انتقل إلى (دار العلوم) ومكث بها أربع سنوات، وتخرج منها عالماً أديباً، وتولى التدريس في مدارس الحكومة، واختير مدرساً بمدرسة (القضاء الشرعي)، ثم مدرساً في (دار العلوم)، ونضج علمه، واكتمل شعره وأدبه، فصار من فطاحل الشعراء الذين

يشار إليهم بالبنان، ولما شبت ثورة سنة ١٩١٩ ساهم فيها بشعره وأدبه وجهاده، وخلد حوادثها بقصائده الغر، وكان حجة في الأدب واللغة، وشعره يجمع بين البلاغة والجزالة وروعة الأسلوب، وبلغ في مكانته الشعرية منزلة فطاحل الشعراء المتقدمين، وكانت الروح الوطنية الدفاعة تتجلى في معظم أشعاره وقصائده؛ وله في هذه الناحية إنتاج ضخم يصلح في ذاته أن يكون ديواناً مجتمعاً من الشعر الوطني؛ وقد ظل على إنتاجه الشعري إلى أن أدركته الوفاة سنة ١٩٣١.

### روحه الوطنية

إن أحسن وصف لروحه الوطنية ومساهمته في الجهاد وخاصة في ثورة سنة ١٩١٩ ما قاله في رثائه صديقه وزميله الشاعر محمد الهراوي إذ يقول عن (جهاده الوطني):

فإنك للجليل وللحادث الجد	فذاك وإن جدت خطوب وأجلبت
وتضى وصوت (الموزيات) كالرعد	تخاطر والجنود المدجج محقق
وتعدو على العادي عليه وتستعدى	فتبكي وتبكي العيون على الحمى
وقد حميت أناف قومك من وقد	وتخطب حتى تستشير وتننى

وما هالك الجنْدُ الذى كان محمداً  
نزلت عن النفس الكريمة فديّةً  
ونفسك من فرط الحمية في جُند  
إلى الوطن العاني، كذلك مَنْ يَفدى

## مصر أثناء الحرب العالمية الأولى ١٩١٤ - ١٩١٨

قال من قصيدة له يصف ما عانته مصر أثناء الحرب العالمية الأولى، وينعى على الإنجليز  
بغيرهم وعدوانهم وإعلانهم الحماية في ديسمبر سنة ١٩١٤، ويندد بفظائع السلطة العسكرية  
البريطانية في سنى الحرب:

وعادت رياض النيل نازراً جحيماً  
فكم سيدٌ بين الغيابات حتفه  
ترى أدمع النعمى بناعم جسمه  
يقضى الليالى بين ظلم وظلمة  
وقسى نَجِيّ الحزن جارةً بيته  
وفي حجرها لو أبصروا ذو تائم  
إذا فزعت في الخدر من هول ما ترى  
ودارة عزٍّ أوحشت من أنيسها  
تحمل أهلوها على غير موعد  
ينادى لسان الحال من شرفاتها  
ولم يُنسها التوديع موقف شامت  
وما ملَّهم فيها ثواءٌ وإنما  
يناديه فينا قائد الجيش<sup>(٢)</sup> قومُه  
تعسف بالأحكام غير موفّق  
فكم ساقٍ من مصر إلى الموت فتيةً  
جوعٌ كأجال النعام تلفّها

يُسَبِّ لغير الخائن المتملق  
وآخر بالأصفاد والسوط مرهق<sup>(١)</sup>  
نَجِيْع دم من جلده المتمزق  
طريد الكرى فيجوف أغبر مطبق  
سواد الدجى بالدمع المترقّق  
يكلّمها بالعين من غير منطق  
فلا راحماً تلقى ولا عطف مشفق  
وما كان فيها من جلال ورونق  
وبانوا على حكم الزمان المفرّق  
«قفوا ودّعونا قبل وشك التفرّق»  
يقلب في الغادين أجفان مُحنّق  
نَجِيحُوا بالنوى من ظلم أرعن أحق  
وما قادهم إلا إلى شر مأزق  
وما ظالم في حكمه بموفّق  
زهاها الصبا في عنفوان وريق<sup>(٣)</sup>  
يدُ القمر للأجال من كل منعق<sup>(٤)</sup>

(١) يريد بالغيابات السجون والمنفى.

(٢) يريد قائد جيش الاحتلال.

(٣) الريق: أول الشباب.

(٤) آجال أى القطيع والمنعق من نعق الراعى غنمة إذا زجرها.

له عُصَب في غورها وصعيدها  
ففى كلِّ إقليم حُجُولٌ مُقَيَّدٌ  
وفى كلِّ وادٍ منهم سوطٌ مُعجل  
ومن لم يَسْفُه السوط والسيف ساقه  
تخيرُ أبناء الشباب وتنتقى<sup>(١)</sup>  
لغير عَصِيٍّ أو حبالٍ مُرَبَّقٍ<sup>(٢)</sup>  
يهتد بالتنكيل كل معوِّق  
إلى حيث شاءوا جهدُ عيش مرمِّقٍ<sup>(٣)</sup>

### يوم إعلان الحماية

وقال عن إعلان الحماية في ديسمبر سنة ١٩١٤ :

بلاءٌ على القطرين أغطش ليله  
دَجَتْ يوم إعلان (الحماية) شمسُه  
به لَقِحت سود الليالى فليته  
قضينا به يوم المدلّه بالأسى  
عَشيةً يدعو «مكسويل»<sup>(٧)</sup> سَرَاتِها  
يُبوِّى عرش النيل من شاء جانفًا<sup>(٨)</sup>  
«رويدك حتى تنظري عمّ تنجلي  
فمن دون عرش النيل كل مدرب  
بصير بأسباب الردى غَرَب سيفه  
ثَوَتْ نفسه من بأسه فى مَجْنَّةٍ»<sup>(٩)</sup>  
ضحى يوم نحس بالخطوب مؤوِّقٍ<sup>(٤)</sup>  
فيالك من يوم على مصر أورقٍ<sup>(٥)</sup>  
قضى فى بطون الغيب لم يتخلّق  
وبتنا على ليل السليم المؤرِّق<sup>(٦)</sup>  
لعبيدين يوم الجمع يوم التفرق  
فننشدّه والخطب بالخطب يلتقى  
غيابة هذا العارض المتألق  
كميَّ متى يُرعد له الهول يُبرق  
لبوس المنايا بين هام ومفرق  
متى يذُن منها طائفُ الموت يُصعق

### نقض العهود والمواثيق

وقال يهاجم الإنجليز وينعى عليهم نقضهم للعهود والمواثيق :

فسائلُ بنا أعلّج «لندن» هل وفوا  
بعهدٍ لنا بين الأنام وموئِق

(١) يريد بالغور الوجه البحرى ونخير أى تتخير.

(٢) الحجول القيود، وريق أى شد.

(٣) المرمق من شبع جوعاً ويمسك رمقاً.

(٤) أغطش ليله أظلمه ومؤوق اسم مفعول فعله أوق. يقال أوقه أى حمله المشقة.

(٥) الأورق الذى لونه إلى الرماد. يريد أنه مغبر بالخطوب.

(٦) المدله: الداهل.

(٧) الجنرال مكسويل قائد القوات البريطانية حين إعلان الحماية.

(٨) جانفا أى ظالماً.

(٩) اللجنة: الترس

حمية حام أو تقيّة متقى  
ولا بلداً بناؤها لم يحرق  
سوى صلف المستكبر المتعزّق<sup>(١)</sup>  
ولا طيب مخضّر من العيش غيدق<sup>(٢)</sup>  
وهول زمان بالحوادث متأق<sup>(٣)</sup>  
نفى إلى عام من البؤس أبلق  
سفاهة غار في المكاييد مغرق  
متى ما نذكره القوانين يحق  
لغير الهوى في حكمه لم يوفّق  
وتدبير أعمى في الحكومة أحق  
لأعلم منه بالنكايه أحق  
ويُسعد أشقاها ويشقى به التقى  
على النهج لم يعدل ولم يترفق

لدى فتنة لم يغن عن مصر عندها  
جرت عمّا لم تبق أرضاً أمانة  
ثلاثين عاماً لا ترى مصر منهم  
ثلاثين عاماً لم تشم برق راحة  
ثلاثين عاماً بين يأس وحسرة  
إذا ودعت (عاماً) من الجور أبقعا  
ثلاثين عاماً بالهوان تسومها  
يرى نفسه فوق القوانين بيننا  
يبيح غداً ما حرّم اليوم بالهوى  
إلهة جبار وإمرة خاطل  
إذا ما شكوناهم عميداً فأمرنا  
يقرب خوأننا ويرفع جاهلاً  
إذا مامضى هذا أتى ذاك بعده

### إفساد التعليم

وقال يذكر إفساد التعليم والدور المشنوم الذى قام به دنلوب في هذا الصدد:  
وبالعلم سلّ «دنلوبهم»<sup>(٤)</sup> لم لم يدع  
هو الجهل فينا حشدته لحكمة  
رمتنا به حمى أصابت بلاده  
فحلّ بنا فيمن تمزّق منهم  
ولو وزنوا في غير مصر مقامه  
فأصبح داءً في المعارف قاتلاً

ذواقاً من العرفان للمتذوق  
يدّ الله تنكيلاً بشعب مدوق<sup>(٥)</sup>  
تطائر عنها كل قدم حبلق<sup>(٦)</sup>  
فيا عجباً للسارب المتمرق  
لأرخصه في السوم كل مدقّ  
يسدد فيها كل سهم مفوق

(١) المتعزّق: السر الخلق.

(٢) الغيدق: الرخص الناعم.

(٣) متأق أى مملوء.

(٤) المستر دنلوب وكان سكرتيراً عاماً ثم مستشاراً لوزارة المعارف والمسئول الأول عن انحطاط التعليم في عهد الاحتلال.

(٥) المدوق: المهزول.

(٦) القدم: الأحق، والحبلق: الصغير القصير.

فواها على تلك العقول التي ثَوَّتْ  
ثلاثين عاماً يسْكُبُ النيلُ حسرةً  
وما وردوا من عذبه غير لامع  
ولولاه كانت مصر بالعلم روضة  
أ «دنلوب» ما تلك المباني رفيعةً  
وما العلم أن يعلو رتاجٌ وقُبة  
أ «دنلوب» هل أَرْضِيَتْ قومك غايةً  
بكفِّيه في لحدٍ من الجهل ضيقٌ  
على العلم دمَعُ الواله المتشوق  
من الآل في ييدائها مُتْرِيقٌ  
تلاً بالأنوار للمتأنيق  
متى ما تسامق هَامُها النجم تَسْمُقُ  
على فُذُن بالأرجوان مزوَّق  
أم العَيْرُ<sup>(١)</sup> إن يَبْعُد به السُّوط ينْفُق

### ثورة سنة ١٩١٩

وله قصائد غراء في ثورة سنة ١٩١٩ أرخ فيها جهاد المصريين والمصريات وفظائع الإنجليز في قمع الثورة.

### حضارة مصر ومجدها

قال من قصيدة له أنشدها سنة ١٩١٩ في الاحتفال بعيد النيروز يشيد بحضارة مصر ومجدها وفضلها على العالم:

فلا. يا ابنة البيت الذي عند بابه  
رويدك إنا في العلا يوم ننتمي  
لنا ذروة المجيد الذي تحت ظلّه  
لنا آية الأهرام يتلو قديمها  
ملأنا بها لوح الوجود متاقباً  
وللعلم من آثارنا في جبالنا  
وللملك منا كلُّ أروع نظمت  
ومنا الذي ساق الأساطيل شرعاً  
إذا جهلوا «ميناً» و«خوفو» و«كفرعا»  
وإن أنكروا مُلْك «ابن يعقوب» بيننا  
تخرّ ملوك العالمين إذا مروا  
كلانا أبوه النيل أو أمه مصر  
تناسلت الأحقاب واعتمل الدهر  
حديث اللبالي فهي في فمها ذكرُ  
إذا ما خلا عصرٌ تلاه بها عصر  
على الدقر آياتُها ينطق الصخر  
على تاجه الأفلاك والأنجم الزهر  
على البحر يستحي لصولتها البحر  
فليس «برميس» على ملكه نُكر  
«فموسى» على ما أنكروا شاهدُ برّ

(١) العير: الحمار، وينفق: يهلك ويموت.



لنا كل ما في الأرض من مدينة بها تَعمرُ الأمصار والبلد القفر

\*\*\*

جزى الله مصرًا ما جزى أهل نعمة  
فكم كشفت من ظلمة «عين شمسها»  
لنا في الوري حقّ المعلم لورعوا  
فهل يُنكر اليونان أنا هُدايتهم  
وهل نسي الرومان للنيل أنعمًا  
فنحن الأولى قد أورثوا كل أمة  
إذا اعتز قوم بالجديد سمّت بنا

على الناس يغيّ دونها العُد والحَصْر  
فما تمّ سهل لا يضئ ولا وعر  
لنا ذمّة والدهر شيمته الغدر  
إلى حكمة في العالمين بها بزوا  
بما ورثوا منها سبأ لهم الفخر  
من الفضل ما يغني به الحمد والشكر  
مكارم في طيّ الزمان لها نشر

### الوحدة بين العنصرين

وقال يشيد بالوحدة بين عنصرى الأمة:

بنينا على آداب عيسى وأحمد  
فنحن على الإنجيل والذكر أمة  
لنا كل ما في مصر والحق قائم  
فلن يستطيع الدهر تفريق بيننا  
كلانا على دين به هو مؤمن  
إذا ما دعت مصر ابنها نهض ابنها  
ترى ذكر مصر في الهياكل قرينة  
فلا يحسبن للناس أننا تزلزلت  
ألم ترنا في كل عيد وموسم  
إذا كان عيد الفطر فالكل مُفطر  
وإن جاء بالنيروز يوم تزامت  
فيا عيد أهل النيل عدّ أهلك المني  
وصافح بشعبك السعادة مُقبلًا  
تلاقت أمانينا على خير غاية

منازل عزّ دونها يقع النسر  
يؤيدها الأنجيل بالحق والذكر  
تؤيده الآيات والحجج الغر  
وان جرّ قوم بالسعاية ما جرّوا  
ولكن خذلان البلاد هو الكفر  
لنجدتها سيان مرقس أو عمرو  
وفي صلوات المسلمين لها ذكر  
بنا قديم أو مسّ وحدتنا الضر  
حليفى ولأى لاجفاء ولا هجر  
يهلل بالبشرى ويزهو به البشر  
عليهم به الأفراح وانتعش القطر  
تجلى منار الحق وانبلج الفجر  
بصر على الأفراح وليقل الشعر:  
وسارت بنا الآمال يقدمها النصر

## ثورة الأمة سنة ١٩١٩

ومن قصيدة أخرى أنشدها في حفلة لعقائل السيدات في مسرح برنتانيا سنة ١٩١٩ :

مصرُ أُمِّي، فداء أُمِّي حياقي	سلمتُ أُمَّنَا من العاديات <sup>(١)</sup>
يارياح الحياة في مصرَ هُبِّي	رُوحينا بطيب رِيَا الحياة
ياسماء الحياة في مصر جودي	أنفُسًا فوق نيلها صاديات <sup>(٢)</sup>
مالأم الأمصار حملها الدهر	ر صوف الآلام والموجعات؟
مبارعى ذمة لها يوم كانت	زينة في عصوره الخاليات
إن تناست قديم مصر ليالٍ	أنكرت صالحاتها الباقيات
فاسألوهن عن حديث حديث	لبنيتها عَدُوه في المعجزات
دهش الناس يوم قيل صحت مصـ	رُ وكانت في غفلة وسُبَات
إذ لقينا الخطوبَ وهي شدادٌ	فتولت جموعها مُذْبرات
وركبنا متن الزمان ذُلولا	فمضينا لغاية الغايات
بين شايب بالحزم تحدو شبابا	صادقى العزم ثاقبي النظرات

## دور المرأة في الثورة

وقال يشيد بدور المرأة في الثورة :

وغيوان سمعن دأعن مصرٍ	بين تلك القصور والغرفات
أفزعتهنّ حادثات الليالي	في بنيهنّ بالردي راميات
فترامين من وراء خدور	كنّ فيها البدور مختدرات <sup>(٣)</sup>
سافراتٍ ولسنّ أهل سفور	حاسراتٍ من شدة الحسرات
وكتبن الوفاء للنيل عهدا	في قلوب بحبه داميات
وتواصين لا يضيّعن ديننا	أو يعطلن سنة المؤمنات
إيه. لله سعيكن جिला	يا بنات الأنجاب والمنجيات

(١) العاديات : الأحداث والنواب،

(٢) صاديات : عطشى.

(٣) مختدرات : مستترات في خدورهن.

سِل جهلا في زُمرة الجاهلات  
سلم ونور العِرفان محتجبات  
ل وراء الآفاق والظلمات  
ساطع في بدورها النيرات  
من وراء الأستار والحجرات  
كيف يقفو أباه في المكرمات  
فتولّته بالتقى والأناة  
عن كرام الآباء والأمهات  
خالد في آثاره الخالدات

ظلموا النيل يوم عدّوا بنات النّد  
زعموهن بالحجاب عن الع  
بنت مصر كالشمس يحجبها اللي  
وهي في أفقها ضياءً ونور  
أو هي المسك ينفذ العرف عنه  
عرفت كيف يكبر المرء طفلاً  
أبصرت منيت المحامد فيه  
وغذّته المجد الذي ورثته  
يا ابنة النيل أنتِ للنيل ذخ

### وثبة مصر

ومن قصيدة له سنة ١٩٢٠ يصف وثبة مصر:

وأملّى على الأيام فليكتب الشّعراً  
وحسبُ اللّيل أن يُقال صحتُ مصر<sup>(١)</sup>  
ويا ربّما أزرى بصاحبه الصبر  
ولكنّ صمت الليث يعقبه الزّار  
ولا زهدتُ فينا مناقبنا الغرّ  
لنا علّم بين الدهور ولا ذكر  
وهُم في بطون الغيب عرفانهم نكر  
مقدّسة والنيلُ في لوحها سطر  
ونحن الجبال الشّم والزهر النضر  
بحاضرنا تعلو المحامدُ والفخر  
مضاربُه وانشقّ عن ليله الفجر  
وذو الذلّ أولى ما يكون به القبرا

تكلّم وادى النيل فليسمع الدهر  
فحسبُ العوادى نهمةً النيل زاجراً  
صحتُ بعد ما أزرى بها الصبرُ والأنى<sup>(٢)</sup>  
لعمرك ما صبرُ الأبيّ مهانةً  
فلا تحسبوا أنا ونينا عن العلا  
ولا أنكرتنا شمسُ جيل ولا انطوى  
وفي الناس من شابت قرون «وأعصر»  
وهل مصرُ إلا آية أزلية  
تقلّقت الأجيال حول وجودنا  
لئن كان ماضينا فخاراً فإنما  
وقفنا لرّيب الدهر حتى تغلّلت  
حرامٌ علينا أن نعيش أذلةً

\*\*\*

(٢) الأنى: الأناة.

(١) النمة: الصوت.

## فضائح الإنجليز في قمع الثورة

وقال حين اشتد عدوان الإنجليز في قمع الثورة سنة ١٩١٩ وفتكوا في طريقهم ببعض القرى كالعزيزية والبدرشين:

يا مصرُ ما بال الأسى لك حالا  
ظلم الزمانُ بَنِيَّ في أحداثه  
يا ناشري عَلم السلام، أَلَمْ تَرَوْا  
ما العدل؟ ما حرية الأمم التي  
ما عهد (ولسن)<sup>(١)</sup> أين ولسن هل درى  
أَمِنَ العدالة عنده أن يُبتلى  
سفراء (ولسن) هل لكم أن تُبلغوا  
صرخات أهل النيل من أحلافكم  
أضحت شعوب الأرض في بُبوحه  
وهمُ أحق العالمين بورده  
لكنهم سيموا الردى فتواردوا  
تَعَسَوْا بحكم الإنجليز وطالما اعد  
ما بال أبناء الحضارة أَوَّغَلُوا  
وَتَبَّوْا على القطرين وثبة قاهر  
نزلوا بأرض النيل منزل غادر  
حلفوا لأهل الأرض حلفة فاجر  
أن يسيطوا ظل الحضارة فوقه  
حتى إذا ملكوا أزمّة أمره  
واستنزفوا ثمرات مصر كأتما

لو أن مفجوعا يردّ سؤالاً  
وعدا عليهم بالخطوبِ وَصَالاً  
للسلم في أرجاء مصر مجالا؟  
سارت رسائلكم بها أرسالا؟  
أنا بمصر نكابد الأهوالا؟  
شعبٌ يريد بأرضه استقلالاً؟  
عن مصر صوتاً بالشكاة تعالى؟  
طار الزمانُ لوقعها إجحالا؟  
يتفيتون من السلام ظلالا  
صفوا وشرب رحيقه سَلَسالا  
شَرَعَ<sup>(٢)</sup> المنايا مُسرِّعين عجالا  
تمدوا عليه وخادعوا الآمالا  
في أرض مصر نكايّة ونكالا  
هتاك الستور ومزق الأوصالا  
نصب الخداع حَبائلا وحبالا  
لبس المسوح مُرائيا مُحْتالا  
ويعلموا من أهله الجهّالا  
ساموا بِنِيهِ الضيِّم والإذلالا  
خُلِقت لهم ثمراتها أنفالا

(١) ويلسن: الرئيس الأسبق للولايات المتحدة الأمريكية. ويريد بعهد مبادئه المشهورة التي أعلنها عند دخول أمريكا الحرب العالمية الأولى وأساسها احترام حرية الشعوب واستقلالها.

(٢) شرع، جمع شرعة وهي المورد.

فإذا بدا وجه الخداع وأشرقت  
نغضوا<sup>(١)</sup> رؤوسهم لغييلة أمة  
شمس العدالة في الورى تتلالا  
خُلِقت تعاف الغادر المغتالا

### شجاعة المصريات في الثورة

وقال في هذه القصيدة يصف شجاعة النساء المصريات في مقاومة الإنجليز:

تلك العقائل يرتقين مع الظبا  
تغضى عيون بنى البلاد مهابة  
وأرى ابن لندن نحوهن مصوبا  
يا بن اللكية<sup>(٢)</sup> إنهن عقائل  
يا بن اللكية إنهن عقائل  
يا بن اللكية ما حملن صوارما  
أبناؤهن إذا الأصول تقارعت  
يا بن اللكية تلك سبتك التي  
وارحمناه لقريّة مفجوعة  
محزونة خبا القضا لأهلها  
من غادة غال البغاة عفانها  
ومصونة في الخدير طار يلها  
ماذا أرى؟ جن أحاط بمضجعي  
ما هذه الجلبات؟ لا أدرى لها  
أنا لست نائمة؟ وهذي جنة<sup>(١)</sup>  
ويلاه! ما لأبي على نائما؟  
أعلى ناد أباك، لا، أنا خائف  
هذي جنود الإنجليز رأيتها  
صاحوا بصحن البيت صيحة فاتك  
فإذا متاع البيت يُنهب بينهم  
ولرب دار بالقنابل أصبحت

مستقبلات للردى استقبالا  
من حولهن وتنحنى إجلالا  
بيض الظبا متوثبا مجتالا  
يفدين من فتكاتك الأنجالا  
يسألن حقلا لا يرذن قتالا  
لبنى أبيك ولا دعون زوالا  
كانوا الكرام وكنتم الأنذالا  
صدع المقطم خزنها فأمالا  
والليل يرخى فوقها أسدالا  
تحت الظلام وقبعة ونكالا  
فبكى الحجاب عفانها المفتالا  
صباحات كلب في الحظيرة جالا  
أم تلك أحلام تمر خيالا؟  
معنى ولست أعى لهن مقالا  
تدنو كأعجاز النخيل طوالا  
والبيت من وقع الخوافر زالا  
يا أم لا تتكلمي؟ لا لا لا  
(بالبدرشين) تقتل الأطفالا  
عاب يرى النفس الحرام حلالا  
وقد استحلوا نهيه استحلالا  
قبرا تضمن نسوة وعيالا

(٣) جنة: جن.

(١) نغضوا رؤوسهم: حركوها وهزوها.

(٢) اللكية: اللثيمة.

وأب تحيط به هنالك صبيّة  
ظُلماً تُشول به القنابل فهو في  
يا رَبِّ، إنَّ الإنجليز تعمّدوا  
يا رَبِّ، مصرُ بك استجار ضعيفها  
فأذقُ عدوك سوءَ ما مكروا به  
تبكى عليه وتُكثّر الإغوالا  
جوّ السماء مع القناعم نبالاً<sup>(١)</sup>  
إرهاق مصر سفاهة وضلالا  
في عبّرة تُذرى الدموع سجّالا  
وأجعل عواقبه عليه وبالا

### يخاطب مؤتمر الصلح بباريس سنة ١٩١٩

ومن قصيدة له أنشأها حين اعتقل سعد زغلول لأول مرة في أوائل سنة ١٩١٩، يذكر الثورة ويعاتب مؤتمر الصلح في إهماله مطالب مصر:

يادماء الشباب تجرى على الأر  
ما لباريس لاترى أهل مصر  
كل شعب له بمؤتمر الصلح  
ليت شعري فهل أتاه كتاب  
أو درى أننا نراد اختلاساً  
سفراء الملوك، ضجة مصر  
كم رفعنا إليكم في شكاة  
وسألناكم البلاغ فلم نسّم  
إنّ للنيل ذمة وعهوداً  
لو حقنتم تلك الدماء اللواق  
كان سهلاً عليكم أن تصونوا  
ض جساداً<sup>(٢)</sup> به ترى مصر يُطلى  
بين أهل السلام للعدل أهلاً؟  
ح نصير من البعوث ومولى  
أو تلقى من جانب النيل رُسلًا؟  
في بياض النهار والشمس تُجلى  
حولكم من زمازم<sup>(٣)</sup> الرعد أعلى  
حُجّة كالصباح أو هي أجلى  
مع جواباً يردّ في الغمد نصلاً  
هي دينٌ عليكم ليس يبلى  
أهرقتها بنادق القوم سيّلاً  
أنفساً وردّها الردى كان سهلاً

### يندد بفظائع الإنجليز في إخماد الثورة

وقال في هذه القصيدة موجهها حديثه إلى المارشال أَلنّبي الذي عهدت إليه بريطانيا قمع الثورة:

(٣) الزمازم، جمع زمزمة، وهي الصوت البعيد المدوى.

(١) تشول، تعلق، والقشاعم: النسر.

(٢) الجساد (بالكسر): الزعفران.

قَاتَلَ اللهُ مَنْ عَلَيْنَا أَدَلًّا  
كَانَ هَذَا بِأَرْضِ (بلجيك) <sup>(١)</sup> أَوَّلَى  
فَإِذَا جَدَّ جَدُّهَا عَادَ هَزَلَا  
لَمْ تَكُنْ لِلْحُرُوبِ وَالسِّيفِ قَبْلَا  
وَهِيَ زَيْنُ السِّيفِ هَزَا وَحَمَلَا  
تَرَكْتَهُمْ حَوَادِثُ الدَّهْرِ عُزْلَا؟  
فَبَدَارَ الْأَمَانَ <sup>(٢)</sup> نَيْمًا وَسَلَا  
بِلَادٍ وَلَمْ يُجْرَ لِلْحَرْبِ خَيْلَا  
أَشْرَفَ الْمَوْتُ فَوْقَهُ أَوْ أَطْلَا  
رَ لَدَيْكُمْ وَبِالدُّنْيَا تَبْلَى  
مِنْ حِيَاضِ الْمَنُونِ عَلَا وَنَهَلَا  
جُبْتُمْ الْوَعْرَ مِنْ فِلَسْطِينَ سَهَلَا  
فِي بِلَادِ الْعِرَاقِ لِلْفَوْزِ حَبَلَا  
لَكُمْ عَلَيْكُمْ، لَا تَنْكُرُ الْعُجْمُ فَضْلَا  
حَرَّمَ الْأَرْضَ غَيْرَةً أَنْ تُفْلَا  
مِيزَ عَنْهُ وَنَاءَ بِالْعَبَاءِ حَمَلَا  
تَفْضُخُ الْجَارِيَاتُ وَزْنًا وَكِيلَا <sup>(٣)</sup>  
كَمْ بِهَا الْقَطَنُ كُلُّ عَامٍ أَهْلًا  
مَا وَفَيْتُمْ مِنْهَا الْقَلِيلَ الْأَقْلَا  
إِنْ تَقُولُوا قَدْ يُنْكَرُ الْفَضْلُ جَهْلَا  
مِنْ هِبَاتٍ مَا جَاوَزَتْ بَعْدَ حَوْلَا  
تُ بِهِمْ فِي الْوَعْيِ وَبَاءَ وَقْتَلَا

أَيُّهَا الْقَائِدُ الْمُدِلُّ عَلَيْنَا  
صَلَفٌ بَيْنَ أَهْلِ مِصْرَ وَعُجْبٌ  
صَلَفٌ جَدٌّ فِي مَوَاطِنِ هَزَلٍ  
عَلِمَ النَّاسُ أَنَّ مِصْرَ بِلَادٌ  
مَنْعَتُهَا الْأَيَّامُ حَمَلَ الْمَوَاضِي <sup>(٢)</sup>  
فَلِمَ الْكِبْرِيَاءُ بَيْنَ أَنْاسٍ  
أَيُّهَا الْقَائِدُ الَّذِي حَيَّرَ السِّبْ  
عَلَّمَ الْخَيْلَ كَيْفَ تَخْتَالُ فِي غِيَدٍ  
إِنَّمَا يُحْمَدُ الْمَخِيلَةُ <sup>(٤)</sup> يَوْمٌ  
مَا لِمِصْرٍ تُجْزَى جَزَاءَ سِنْمَا  
وَأَرَاكُم لَوْلَا بَنُوهَا سُقِيتُمْ  
سَأَلُوا الشَّامَ هَلْ بَغِيرَ بَنِينَا  
أَوْ مَدَدْتُمْ بَغِيرَ أَبْنَاءِ مِصْرٍ  
إِبْلُ مِصْرٍ وَأَتْنَاهَا <sup>(٥)</sup> تَعْرِفُ الْفَضْ  
لَوْ دَرَى النَّبِيلُ مَا سِيلَقِي بَنُوهُ  
كَمْ ظَفَرْتُمْ مِنْهُ بِمَا عَجَزَ (التَّسَا  
كُلُّ عَامٍ تَجِبِي إِلَيْكُمْ حُبُوبٌ  
وَقَنَاطِيرٌ مِنْ نِضَارِ يَوَافِي  
نَعَمْ لَوْ أَرْدَقْتُمُوهُنَّ شُكْرًا  
مَا جَهَلْتُمْ لِمِصْرَ فِيهَا صَنِيعًا  
أَنْسَيْتُمْ لِمِصْرَ مَا مَنَحْتَكُمْ  
أَمْ نَسَيْتُمْ أَبْنَاءَهَا يَفْتَكُ الْمَوُ

(١) يشير إلى هزيمة الحلفاء أمام الزحف الألماني في بلجيكا إبان الحرب العالمية الأولى.

(٢) المواضي: السيوف.

(٣) الشيم: اغماد السيوف.

(٤) المخيلة: الكبر.

(٥) الأتني: الحمير؛ والعجم: البهائم...

(٦) الجاربات: السفن؛ وتففضها: تسكرها. لثفلها وكثرتها.

وختمها بقوله:

معشرَ الإنجليز مصر لأهليها ومن ظن غير ذلك ضلًّا  
معشرَ الإنجليز مصر استقلت وجديرٌ بالنيل أن يستقلا

### يخاطب مؤتمر الصلح أيضًا وينادى بالاستمرار في الكفاح

ومن قصيدة أخرى له سنة ١٩١٩ يخاطب مؤتمر الصلح بباريس، وينذر بالاستمرار في الكفاح إذا لم تجب مطالب مصر:

أباريسُ إن كانت لضيفٍ كرامة  
أباريسُ إن تُدنى العدالةُ وافدًا  
أباريسُ كم للنيل عندك من يد  
ومن شكرها أن تعرفوا حق أهله  
حرامٌ عليكم أن يراق له دم  
فيا أمراء الغرب دعوة مُسمع  
سلوا جُلُفكم عما جرى في ديارنا  
وما هذه الغارات يعلو صريخها  
وما هذه الأجسادُ في كل بلدة  
إذا طُفح الخزان من دم أهله  
نرى الحرب فيما بينكم جفَّ عودها  
على غير ما ذنب جنينا فما لنا  
فيا عجبًا شعب يساق بأرضه

لديك فضيف النيل أبلغ من يُثنى  
عليك فأهل النيل أكرم من تدنى  
تناقلها التاريخُ قرنًا إلى قرن  
وَأَلَا تَسُومُوا (وَقَدَّهُ) صفقة الغبن  
حرامٌ وأنتم قادرون على الحقن  
يُصرِّح في رفع الشكاية ولا يكتفى  
وما جرحوا مما يشين وما يضى  
مُوجبةً، هذى ترُوع وذى تُفنى  
مُصرعةً فوق التراب بلا دَفْن  
فَتَمَّ دَمٌ في الثغر يُرْبِي على الخَزَن  
فما بالها في مصرَ ناضرة الغصن؟  
نَسَامُ الدنيا لم نحارب ولم نَجِن  
أسيرًا إلى دار المذلة والسجن

\*\*\*

ملوكُ الوَرَى، لن يترك النيل حقه  
ملوكُ الوَرَى، لن يترك النيل حقه  
ولو مزقونا بالثقفة اللدن<sup>(١)</sup>  
ولو طحنوه بالثقفة الدكن<sup>(٢)</sup>

(١) يريد بالثقفة اللدن الرماح المقيمة.

(٢) يريد بالثقفة الرصاص والقنابل. والدكن: ما تضرب إلى السواد.



ظننا بهم خيراً من الدهر حِقْبَة      فكانت قصارانا بهم خيبةُ الظن  
صبرنا وأشهدنا الأنام عليهم      إلى أن رَمَوْنَا بِالْمَهَانَةِ والجبن  
ثلاثين عاماً بعدها سبعة خلت      طوال الليالي السود حالكة الدجن  
عواصفُ بأسٍ ينشدها النيل تحتها      نَقَمْتُ الرضا حتى على ضاحك المزن  
سَقَوْنَا بِهَا مُرّاً من العيش آجنا      وباليتهم لم يرهقوا الناس بالَمَن  
فإن تُنصفوا أبناء مصر فينةً      لكم أبداً نُثْنِي عَلَيْهَا بِمَا نثْنِي  
وإلا رددناها عليهم كريمة      وللدهر شأن لا يُقَاس على شأن

### رثاؤه لمحمد فريد

ولما جاء نعي الزعيم محمد فريد في منفاه (نوفمبر سنة ١٩١٩) - وكانت مصر في إبان الثورة - رثاه بقصيدة مؤثرة تفيض وطنية وبلاغة قال:

سَلُّوا جَفْنَ عَيْنِي مَا لَه بَات يَنْزِفُ      وعهدى به إن سُمِّتَهِ الدَمْعَ يَأْنِفُ  
وَيَا رَبِّ هَمِّ يَمْلِكُ النَّفْسَ بِالْأَسَى      ويعدو على العين الجمود فتزِفُ  
وما أنا! ما دمعى! وفي مصر أنه      بها الطير نوح والغمام كُفُ<sup>(١)</sup>  
بكين غريباً طَوَّحَ الْبَيْنُ دَارَهُ      فلا الْعَوْدُ مَأْمُولٌ وَلَا الدَّارُ تُعْرِفُ

\*\*\*

وما أنكرت مصرُ ابنها فَنَبَتْ بِهِ      ولكنه دهرٌ على الحر يُجْنِفُ<sup>(٢)</sup>  
ثوى غربةً، بعد المعاد قرأها      فيا طول ما يستشرف المُتَشَوِّفُ  
وكنا حسينا شُقَّةَ الْبَيْنِ تَنْطَوِي      فيأوى إلى مِرْبَاعِهِ الْمُتَصَيِّفُ<sup>(٣)</sup>  
وأطمعنا في الملتقى لمعُ بَارِقٍ      من السَّلمِ في ليلِ الحوادثِ يَخْطِفُ  
فلم نر سُلماً ينتهى النأى عندها      بناءً ولا حتمَ الردى يتخلفُ

\*\*\*

بعينى من نادى مناديه للنوى      فَوَدَّعَ لَا يَأْنِي وَلَا يَتَوَقَّفُ

(١) وكف: مرسلات بآنها.

(٢) أجنف: أجاز وعدا.

(٣) المرباع: المكان ينبت في الربيع؛ والتصيف: المصطاف.

لَهَا حُرَقٌ تُدْمِي الْقُلُوبَ فَتَنْطَفِ  
يَكَادُ لَهَا مِنْ تَحْتِهِ الْبَحْرُ يَنْشَفُ  
يَكْفِكُفُهَا كِبَرًا فَلَا تَتَكْفِكُفُ  
قَسَا أَهْلَهُ جَهْلًا عَلَيْهِ وَأَجْنَفُو  
يُعْنَى عَلَيْهَا جَارِمٌ أَوْ يُعْنَفُ  
إِذَا الدَّهْرُ أَلَوَى وَالْحَوَادِثُ تَعْصِفُ  
تُؤِيدُنَا يَوْمَ الْعِتَابِ وَتُنْصِفُ  
بِذِي حَذَبٍ يُقْسَى عَلَيْهِ فِيرَأَفُ  
هُوَ الدَّهْرُ فِي أَحْكَامِهِ يَتَعَسَّفُ

يُدَافِعُ أَلَامًا تِيَّاسِرْنَ قَلْبَهُ  
فَفِي قَلْبِهِ مِمَّا دَهَى النِّيلَ زَفَرَةً  
وَفِي عَيْنِهِ مِنْ لَوْعَةِ الْبَيْنِ عَبْرَةً  
وَفِي نَفْسِهِ عُتْبَى عَلَى الْبِلَادِ الَّذِي  
بَرَمَتْ بِنَا يَا مِصْرَ لَا عَنْ جَنَايَةٍ  
وَكَيْفَ تَنَاسَتْ مِصْرَ حَسَنَ بِلَاتِنَا  
مَوَاقِفُنَا يَا أُمَّ فَيْكَ شُهُودُهَا  
رَوَيْدُكَ نَفْسًا أَنْكَرْتَ فَعَلَ قَوْمُهَا  
عَلَى رَغْمِ قَوْمِي مَا لَقِيتُ وَإِنَّمَا

\*\*\*

وَلِلنِّيلِ مَا أَلْقَى وَمَا أَتَكَفَّفُ  
فَيَجْمَعُنَا يَوْمٌ بِمِصْرَ وَمَوْقِفُ  
وَمَالِي مِنْ أَسْبَابِهَا أَتَخَوَّفُ  
بَأَنَّ الْمَطَايَا بِي إِلَى الْمَوْتِ تَزْحَفُ  
بِلَادَتِي تَحْبُو فِي الْإِسَارِ وَتَرْسُفُ  
أَلْيَّةٌ<sup>(١)</sup> مِنْ لَا يَمْتَرِي حِينَ يَخْلَفُ  
فَلِإِمَّا الرَّدَى أَوْ يُنْصَفُ النِّيلُ مُنْصَفُ  
وَحَجَّجَهُ سَتْرٌ مِنَ الْغَيْبِ مُسْجَفُ<sup>(٢)</sup>  
وَبَيْنَ دِيَارَيْنَا جِبَالٌ وَصَفُفُ<sup>(٣)</sup>

سَلَامٌ عَلَى قَوْمِي، وَدَاعًا بَنَى أَبِي  
وَيَا مَوْقِفَ التَّوْدِيْعِ هَلْ تُسْعِدُ الْمَنَى  
أَخَافُ الْمَنَايَا أَنْ يَكُنَّ رَوَاصِدًا  
تَحْدِثُنِي طَيْرٌ جَرَيْنَ بَوَارِحًا  
وَيَحْزَنُنِي وَرْدُ الْمَنَايَا وَلَمْ تَزَلْ  
حَرَامٌ عَلَيْنَا أَرْضُهَا وَسَمَاوُهَا  
وَيَا فُلُكُ بِاسْمِ اللَّهِ بِحَرَكَاتِ أَقْلَعِي  
فَمَا كَانَ إِلَّا أَنْ طَوَى الْبَحْرُ وَالثَّرَى  
فَدُونُ تَلَاقَيْنَا لَيْالٍ وَأَشْهُرُ

\*\*\*

عَلَى هِمَّةٍ مِنْ هَمِّهَا الدَّهْرُ يَكْلَفُ  
عَوَادٍ إِذَا صَبَّتْ عَلَى «الْأَلْبِ» يَحْ تَحْرِفُ  
جَدِيرُهَا اللَّيْثُ الْمَهْصُورُ الْمَقْذَفُ

هَنَالِكَ أَلْقَى فِي بَنَى الْغَرْبِ رَحْلَهُ  
بَعِيدَ الْمَرَامِي لَا تَهْدُ صَفَاتَهُ  
تَقْذِفُهُ فِي زَاخِرِ الْيَاسِ هِمَّةٌ

(٣) الصفصف: الفلاة.  
(٤) جبال الألب المشهورة.

(١) الألية: القسم.  
(٢) أسجف الستر: أرسله.

سوى الحق أو يعنو لبأس فيضعف  
وفي الغرب للعاني مراد ومألف  
وأنيأها من شدة البأس تصرف  
على القرر أسمال به يتلقف  
تجلد لا يشكو ولا يتأقف  
وفي مصر يكيه البناء المطفف  
بهم نعتلى هام الفخار ونشرف  
على البأس ماض ذو غرارين مرهف  
بذكرهم تلهو القيان وتعزف  
نمتهم لعلها معد وخندف<sup>(١)</sup>  
مناقبهم ورك من الفخر هتف

\*\*\*

منى قومه والحر للحر ينصف  
من الغرب ناع قام باسمك يهتف  
رسائلهم بالموجعات وأرجفوا  
على فرش البلوى ببرلين مدنف  
وقاموا بأكتاف السرير وطوفوا  
وتبكى له منهم قلوب وترجف  
من الموت مضى داؤه يتجوف  
كؤوسا بالاستسقاء للنفس تخطف  
عليك بنها، والردى ليس يصرف  
بنو مصر غالوا في الفداء وأسرفوا  
بما جمعوا من تاليد أو تطرفوا  
براها الأسى من بعده والتلهف

وهيهات أن يخشى أخو الحق قوة  
ثوى في بلاد الغرب بالنيل عاتبا  
يصرف أحداث الليالى غواشبا  
فطورا تراه في «جنيف» لباسه  
إذا صفرت من ذات دنياه كفه  
ويأوى إلى بيت وطى عماده  
ويكفنه من فتية النيل أنجم  
إذا احتدمت للبأس نار فعملهم<sup>(١)</sup>  
وإن ذكر المجد القديم فإنا  
إذا ما انتمى قوم لدنيا جدوهم  
وإن ذكروا أبناء فرعون رجعت

فيا مُسمع الأحرار من كل أمة  
لقد فجّع «الفسطاط» فيك وأهله  
لقد فجّعونا فيك يوم تتابعت  
فيا ويح يوم قال فيه غريبها  
بروحى إذ جاء الأطباء خشعا  
يعلله بالقول منهم مبشّر  
تجوفه الداء العضال وهل نجا  
قضى الله أن يسقى «فريد» بأرضنا  
يعز على «برلين» أن يغلب الردى  
أطبائه؛ لو يستطيع فداءه  
فليل عليه لو يفديه قومه  
فليت الليالى سالت فيه أمة

(١) العاهم: الضخم العظيم.

(٢) معد وخندف حيان من العرب؛ يريد أن أصولهم عريقة في النسب والشرف.

عرفنا له بِرَّ الوَفَى بعهدِها      إذا خان قومُ عهدَ مصر فلم يُفُوا  
أفاض عليها نفسه بعد ماله      ومالَ بهم عنها متاعٌ وزُخرف  
ولولا رجال مؤمنون نَجَّوْا بها      لراحت بها ريح من الغدر زَفَزَف<sup>(١)</sup>

### يندد بالفرقة والانقسام، ويدعو إلى الوحدة

وحين حدث الانشقاق في الوفد سنة ١٩٢١ وقام الخلاف بين سعد وعدلى وانقسمت الأمة تبعاً لذلك، نظم قصيدة يندد فيها بالفرقة والانقسام، ويدعو إلى توحيد الصفوف قال فيها:

كنا أشقاء الإخاء فيما لنا      صرنا بنى العَلات والأخفاف<sup>(٢)</sup>؟  
بالأُمس كان إخواننا مثلاً      وكنا زينة الخلطاء والألأف  
كنا إمامَ المشرقين، سبيلنا      قَصْدٌ ومُشرعنا مُعيرٌ صافي  
يترسومون على الحياة طريقتنا      للحق في الإيضاع والإيجاف  
فإذا بنا جارت هَوادى رَكبنا      عن منهج الآباء والأسلاف  
عَبَثْتُ بوحدتنا الخطوبُ وأعلمت      في غُرْس أيدينا يدُ الإِتلاف  
والخصم يحجل بيننا للشر في      ثوبين ثوب مُوافق ومنافٍ  
مُتَمَرِّغُ غرى العداوة بيننا      بالكيد والتفريق والإرجاف  
أو ليس فيما قد مضى من عِبرة      لبنى أبى، والأُمُرُ ليس بخافٍ؟  
أو لم يَرَوْا أو يسمعوا نَذَرَ الردى      تَطَوَّى إلينا لُجَّةُ الرَّجَاف<sup>(٣)</sup>  
هذى تُلوِّحُ بالوعيد وتلك تر      مينا به في لهجة الأَجلاف<sup>(٤)</sup>  
جعلوا صحافتهم مظاهرَ كيدهم      فتزاورت جنفاً عن الإنصاف  
صحف يضيع الحق في ألوانها      صوراً يزيد بها على الألأف  
الحق فيها كل ما شاء الهوى      حُكْمٌ تؤيده بلا استئناف  
فليعتبر قومي كفى ما قد جرى      من ذات خلف بيننا وتنافى  
لا تُوجِعُوا تلك القلوبَ فحسبها      جام أصاب من الزمان الجافى

(١) زَفَزَف: شديدة الهبوب في دوام.

(٢) العلات: جمع علة، وهى الضرة. والأخفاف: الذين أهمهم واحدة وآبائهم شتى.

(٣) الرجاف: البحر؛ سمي به لاضطرابه.

(٤) الأَجلاف: جمع جلف؛ وهو الرجل الجافى.

من ذلك الداء المبرح شافي	عشر كوامل في الخلاف فهل بها
من كل مر بالخطوب زُعاف	تسربت من الأيام كل مرتق
وتنبهوا فالدهر ليس بغافي	أبني أبي، ردوا القلوب إلى الهدى
هذا أخو هذا بغير خلاف	الوفد منا والحكومة بعضنا
فالله للشعب المروّع كافي	والشر غايته البوار ومن أبي

\* \* \*

# أحمد زكى أبوشادى

ولد سنة ١٨٩٢



هو الشاعر المجدد، والأديب الحر المفكر، الدكتور أحمد زكى أبو شادى.

ولد سنة ١٨٩٢ بالقاهرة، من أسرة عريقة فى الوطنية، وأبوه المرحوم محمد أبو شادى أحد كبار المحامين الذين نالوا المكانة الرفيعة فى عالم المحاماة ومن جاهدوا فى الحركة الوطنية، ووالدته السيدة أمينة نجيب من السيدات الأدبيات الشاعرات، وكان أخوها المرحوم مصطفى نجيب<sup>(١)</sup> أديباً وطنياً وصديقاً ونصيراً للمرحوم مصطفى كامل.

أتم دراسته الابتدائية ثم الثانوية فى المدارس المصرية، وظهرت مواهبه الشعرية والأدبية فى هذه المرحلة من الدراسة، وكان من تلاميذ مصطفى كامل فى الوطنية، ودخل كلية الطب بالقاهرة، ولم تصرفه الدراسات الطبية والعلمية عن الاستمرار فى دراساته الأدبية، فأحب الشعر وتذوقه، وأقبل على نظمه وهو فى هذه السن المبكرة، وشعره رقيق ممتع، يمجّد الوطنية وينزع إلى الحرية والتجديد والخروج على الأساليب القديمة، واحتفظ بهذا الطابع على تعاقد السنين، وأكمل دراسته الطبية فى إنجلترا، وتعمق فى الآداب الإنجليزية إلى جانب دراسته من قبل للآداب العربية، وازداد تعلقاً بالتجديد فى الأدب والشعر، ولما عاد إلى مصر تنقل فى مناصب الحكومة وصار أستاذاً للبيكولوجيا بكلية الطب بجامعة الإسكندرية ومديراً للمعمل البيكولوجى بالمستشفى الحكومى بها.

كان ولا يزال يصدر فى شعره عن إلهامه وعقيدته وإيمانه، وفى ذلك يقول عن نفسه: وهل كان شعرى غير إيمان مهجتي وعشقى وإحساسى ولحنى المرّدّ وكون مدرسة أدبية تزعمها ترمى إلى الثورة على القديم والدعوة إلى الحرية فى الفكر

(١) والد الأديب الأستاذ سليمان نجيب.

والأدب والفن، وكان لهذه المدرسة مجلة أدبية تسمى مجلة (أبولو) الشعرية الأدبية، أصدرها أبو شادى فى القاهرة سنة ١٩٣٢ وكانت ندوة لأنصار الجديد من الشعراء والأدباء، وتكاد تكون المجلة الشعرية الوحيدة التى ظهرت فى العالم العربى، وقد استمرت نحو ثلاث سنوات ثم احتجبت.

وقد صادف أبو شادى فى حياته الحكومية والأدبية عننا وأذى من رؤسائه وأنداده، واستهدف من أجل نزعتة الحرة لشتى ضروب المناوأة، فاعتزم الهجرة من مصر، وهاجر فعلا إلى نيويورك فى سنة ١٩٤٦، وهناك رحبت به الدوائر الأدبية والعلمية ترحيباً عظيماً، وأخذ ينشر فى الصحف والمجلات العربية والأفريقية فى أمريكا ثمار أدبه وشعره، ونفحات آرائه وأفكاره، كما أخذ يذيع من «صوت أمريكا» مرتين فى الأسبوع، وأسس فى نيويورك (رابطة مينرفا) الشعرية الأدبية على غرار (جمعية أبولو) وقدرته الحكومة الأمريكية والجامعات والمعاهد والمؤسسات الثقافية فى العالم الجديد، وانتخب أستاذاً للأدب العربى بمعهد آسيا بنىورك، وهو يتولاه إلى اليوم<sup>(١)</sup> بجدارة تفخر بها مصر، ويعد أبو شادى رائداً من رواد النهضة الأدبية والفكرية الحديثة، وهو رغم هجرته إلى العالم الجديد دائم الصلة بوطنه بواسطة الصحافة فى أمريكا وفى مصر، وبواسطة مريديه وتلاميذه الممتازين الذين اقتبسوا من روحه التقدمية وتعلقه بالحرية وإيمانه بما يقول ويكتب.

وهو فى أحاديثه ومحاضراته لا يفتأ يذكر مصر ويناضل عنها ويحن إليها ويشيد بها ويعلمائها وأدبائها وكتابها وتاريخها، وهو فى غربته خير سفير أدبى لمصر فى العالم الجديد. وله عدة دواوين من الشعر نحي فيها منحنى التجديد والابتكار. وحلّق فى سماء الفن والخيال والسمو الفكرى.

نذكر منها ديوان «أنداء الفجر» وهو أول دواوينه ومختارات من نظمه سنة ١٩١٠. و«أنين ورنين» وهو صور من شعر الشباب. و«الشفق الباكي» وقد ظهر سنة ١٩٢٤. و«الينبوع». و«أشعة وظلال» وقد نشر سنة ١٩٣١. و«أطياف الربيع». و«فوق العباب» وقد طبع سنة ١٩٣٥. و«عودة الراعى» وقد ظهر سنة ١٩٤٢.

ومن آخر دواوينه «من السماء» وقد ظهر فى بنىورك سنة ١٩٤٩ ويضم معظم شعره من سنة ١٩٤١ إلى سنة ١٩٤٩.

هذا ماعدا ما أخرجه من الكتب والمؤلفات والقصص والمسرحيات.

(١) وقت ظهور الطبعة الأولى من هذا الكتاب سنة ١٩٥٤.

## رثاؤه لمصطفى كامل

قال من قصيدة له في فبراير سنة ١٩٠٨، وكان ما يزال طالباً بالمدرسة الثانوية يرثي مصطفى كامل:

يا مصر حلق طير اليأس في أفق  
مات الرئيس فماتت بعده هم  
داج بأحزان شعب كان ساليها  
قد كان نبراس فكر منه يجليها  
إلى أن قال:

سارت به أمة أحيا مداركها  
ودّت لو أن صروف الدهر تأتيها  
والكلّ يلبس ثوبا للحداد أسي  
أبصارها نكست من فوقها كتبت  
يامصر الفتاة مرور العمر تذكره  
حتى إلى القبر وارت فيه حاميتها  
وتلكم النفس هذا الشعب يفديها  
على الفقيد ومامن ثمت يهديها  
عبارة كان صدق الحس يليها  
لروحه لم تزل تعدو أمانيتها

## مفخرة رشيد

وله في سنة ١٩٢٥ قصيدة وطنية من نيف وستين بيتا، نظمها تمجيداً لذكرى معركة رشيد التي وقعت يوم ٣١ مارس سنة ١٨٠٧ بين المصريين والإنجليز وفاز فيها أبطال رشيد على الجيش البريطاني الذي زحف على مدينتهم يريد احتلالها، فصمدوا له وقابلوه في الشوارع واستبسوا في الدفاع عن مدينتهم حتى صدوه عنها وهزموه وارتد عن المدينة بعد أن فقد في المعركة ١٧٠ قتيلًا و ٢٥٠ جريحاً و ١٢٠ أسيراً<sup>(١)</sup>، وكانت هذه المعركة حقاً مفخرة لرشيد وأشاد أبو شادي أيضاً في قصيدته بالمعركة الثانية التي وقعت في (الحمام) وانتهت كذلك بهزيمة الجيش البريطاني.

قال:

رَوَّحِينَا بِأَحَادِيثِ الْجَلالِ  
وَأَسْمَجِي (يا مصر) أَنْ نُزَجِي لَهُمْ  
مَا عَزَفْنَا قَدَرَنَا إِنْ لَمْ نَحْزُ  
وَبِأَمَالٍ لَاتٍ غَالِبٍ  
وَبَنَفْسٍ مِنْ هَوَاهِمٍ غَيْرِ بِالِ  
مُنْتَهَى فُخْرِ رِجَالٍ بِرِجَالِ  
سِيرَةٍ مِنْهُمْ تُغْدِينَا بِحَالِ  
إِنْ آتَى الْمَجْدُ مِنْ مَاضِي الْخِيَالِ

(١) راجع في تفصيل معركة رشيد كتابنا (تاريخ الحركة القومية الجزء الثالث - عصر محمد علي).



خاطئٌ مَنْ ظَنَّ ماضيه بلا  
مأنسا شعبٌ بلا جهدٍ مضى  
هى أحلامٌ وأعمالٌ بَنَتْ  
هو مهْدٌ وَلِدَتْ فيه العُلَى  
لم تجيء طَفْرَةً جيلٍ لاعِبٍ  
كابرٌ عن كابرٍ قد صانها  
مُرْشِدٌ يَهْدِي إلى غالى المآلِ  
وَتَبَقَّى فيه تَذْكَارُ الفِعالِ  
فى سنينٍ وسنينٍ كلٌّ غالٍ  
بأناءٍ وكفاحٍ ونوالٍ  
إنما جاءت على طُولِ اللَّيالى  
بمراعاةٍ وأخلاقٍ المعالى

إلى أن قال محبياً ذكرى أبطال رشيد الذين صدوا جيش الغزاة المستعمرين :

رَوَّحِينَا (مصر) مِنْ ذَكَرَاهُمُو  
بَلَّغِينَا كَيْفَ أَوْدَى عَزْمُهُمْ  
كَيْفَ هَزُّوا قُوَّةَ أَكْبَرَهَا  
كَيْفَ ضَحُّوا لِلرِّمَالِ دَمَهُمْ  
كَيْفَ أَفْنَوْا مِنْ جُنُودٍ صَوَّبَتْ  
كَيْفَ كَيْفَ اسْتَبَسَلُوا فِي وَاجِبٍ  
تلكَ ذَكَرَى عَنْ بُلُوغٍ لِمُحَالٍ !  
بِصَعَابٍ قُمْنَ أَقْسَى مِنْ جِبَالٍ !  
عَالَمُ الْقُوَّةِ وَالْحَرْبِ الضَّلَالِ !  
فِي دِفَاعِ الْعِزِّ عَنْ تِلْكَ الرِّمَالِ !  
نَحْوَهُمْ أَقْوَى مُعَدَّاتِ الْقِتَالِ !  
وَأَقَامُوا الْمُلْكَ وَضَاءَ الْخِلَالِ ؟ !

\*\*\*

يا (رشيد) الذِّكْرُ حَيٌّ خَالِدٌ  
أَنْتَ تُغَرُّ نَاطِقٌ فِي رَسْمِهِ  
لعظيم الجُهدِ معدومِ المثالِ  
حُرْمَةُ المَاضِي (لِلنَّيْلِ) الزَّلَالِ

إلى أن قال :

مِثْلَ مَا أَذْكَى لَهَا شُبَانَهَا  
كَالْجَرَادِ نَشْرُهُمْ فَيْكَ عَلَى  
فَإِذَا الْعَادُونَ جَاءُوا مَا بِهِمْ  
وَأَتَتْ فِرْقَتَهُمْ فِي نَشْوَةٍ  
بَيْنَ قَتْلَى وَحِيَارَى هَرَبُوا  
ثُمَّ جَاءُوا فِي جَمِيسٍ لِحِبٍ  
فتحدُّوا خَصْمَهُمْ قَبْلَ السُّؤَالِ  
رَبَّوَاتٍ يَرْقُبُونَ وَتِلَالِ  
ثِقَّةٌ إِلَّا وَضَاعَتْ فِي مَلَالِ  
عَنْكَ فَارْتَدَّتْ خِيَالاً فِي خِيَالِ (١)  
وَضَحَايَا لِإِسَارٍ وَعِقَالِ  
وَعَوَادٍ لَمْ يَكُنْ جَالَتْ بِبَالِ (٢)

(١) يقصد معركة رشيد.

(٢) يقصد معركة (الحمام) التي تقع جنوبي رشيد بين النيل وادكو؛ وقد وقعت فيها المعركة الثانية بين الإنجليز والمصريين يوم ٢٦ إبريل سنة ١٨٠٧؛ وكانت أشد وأقوى من معركة رشيد، وهزم فيها الجيش البريطاني أيضاً هزيمة ساحقة، انتهت بفشل الحملة البريطانية وجلاء الإنجليز عن الديار المصرية في سبتمبر سنة ١٨٠٧.

مِنْ مَتَارِسٍ كَفَتْ رُؤَيْتَهَا  
وعديدي بين باغي مدفع  
وأبوا إلا حصاراً هائلاً  
وغنمت كل ما كان لهم  
رحلوا رحلة جان ضائع

لحسابٍ وعقابٍ ونكالٍ !  
أسود الوجهِ وإمدادٍ مُوالٍ !  
فدفعت الحَصْرَ دُفْعاً بالعوالي !  
من سُموخٍ وإبائٍ قبلَ مالٍ  
بئس يومُ الخُسْر من يوم ارتحالٍ

\* \* \*

هكذا بالبأس تحيا أمة  
هكذا بالوحدّة الحسنة لا  
إن شعباً يتحدّى (انجلترا)  
وبنّين ينشدون مثل ما  
إنما الأمة من أفرادها

لا بخوفٍ أو غلٍ أو خبالٍ  
يعدّم الإصباح أبناء الهلال  
في مجال الحقّ شعب لا يُنال  
أحسن الآباء أولى باكتمال  
في ثباتٍ ووفاءٍ ونزالٍ

إلى أن قال :

إيه قومي قمت فيكم ذاكرةً  
وأنا اليوم طروبٌ ذاكر  
فلنا كلتاها عنوان ما  
أى مصرى درى ما لقنا  
أى جمع من خصال خرة  
أى شعب في جلال وسنى  
كلنا فرد له أمته  
لا سبات - هان أم طال بنا -  
في طلاب المجد - أن تمضى بنا  
خاب من ظن الرقاد ميتة

(نافرين) الأمس في مشحى المقال  
درة التاريخ شعت كاللالي  
يحفظ التاريخ من غال وحال  
من عطات ثم أضحى وهو سال ؟  
لم تكرم جمع هاتيك الخصال ؟  
يدعى أنا عبيد وموال ؟  
حظه بل قصده في كل حال  
ما يؤدى يعلننا لانحلال  
فترة للهو أو دور انتقال  
كم أسود رقبت تحت الظلال !

\* \* \*

آن رجّع الجهد قومي فانفضوا  
بسلاح العلم قبل السيف قد

سنة اللهو وهيا للمجال !  
صارت الحرب أعاجيب اشتغال

ربّ خيطٍ من نسيج القطن لا  
عالمٌ فيه الفنونُ قوّةُ  
عملٌ مُستتبّعٌ لا ينقضى  
يبلغُ المدفعُ منه كفعالٍ  
والصناعاتُ، وليستُ للجدالِ  
لاقتصادٍ وانتفاعٍ واشتمالِ

\* \* \*

أُمّي! أحلّي دُعائى دعوّةُ  
لك من قلبى بها أسمى ابتهالى؟

### رثاؤه لفريد

قال سنة ١٩١٩ من قصيدة له فى رثاء محمد فريد:

سلوا (برلين) عن حل فيها  
مضى يستوهب الأيام عمرا  
قلم يذهب بعلمته طبيب  
وخرّ على السرير وحب مصر  
فيا لهفى عليك وأنت كهمل  
تموت فلا ترى مثواك أم  
ولا يروى ثراك أخ شقيق  
يفتت كبده المرض العنيد  
تم به المساعى والجهود  
ولم يكتب له عمر جديد  
على تبريح علمته يزيد  
غريب عن أحبته بعيد  
ولا أخت ولا زوج ودود  
بدمعته ولا طفل وليد

### الحياة كفاح

قال سنة ١٩٢٣ من قصيدة له عن (المجاهد الجريح) يصف الحياة وأنها كفاح وجهاد:

شهدتُ من الدنيا المعارك والمُنَى  
فصرتُ كجندىٍ جريحٍ مضمدٍ  
ويهرب من حكم الحجا فى وثوبه  
توالت جراحاتى وأوذيتُ دائما  
تسوق الفتى نحو المعارك والخطب  
يشن ولكن كم يحنُّ إلى الحرب  
إلى ساحة الهيجاء والموقف الصعب  
وهيهات ألقى من سلاحى ومن دأبى

### يدعو الشعب إلى مجاهدة الفساد

وقال من قصيدة له فى ديوانه (عودة الراعى) سنة ١٩٤٢:

يا شعبُ قمْ وانشد حقو  
كك فالخنوع هو الممات

تشكو الغريب وعلة الشـ      كوى الزعامات الموات

\*\*\*

قد عمت الفوضى وقد      دب الفساد بكل شئ  
فإذا سكنت فلن تُع      مدّ ولن يفى لك أى حى

\*\*\*

ما دمت تقبل أن تكـ      نون من الضحايا كالعبيد  
سيُسومك القُوام والأسـ      ياد ألوان القيود

\*\*\*

يا شعبُ كيف تطالب الغـ      رباء بالبرّ السخى  
وتطبق مُلكك في محـ      باقٍ وفى نهبٍ وغى

\*\*\*

هيهات يُعطى الحقّ من      ألف التهاون فى الحقوق  
هذا هو العدل الصحيح      وغيره عَيْن المروق

\*\*\*

انهض وحاكم بائعيك إلى الهوى وإلى الفساد  
أو مت ذليلاً لا يُقا      س بذلّه حتى الجماد

يودع مصر

وقال يودع مصر ويذكر أسباب هجرته فى قصيدة له عنوانها (لم أرتحلت؟):

سألونى لم ارتحلت؟ كأنى      لم أجبههم بسيرتى نصف قرن  
شادياً بالطليق من شعرى الباكى      أغنى لمجدهم ما أغنى  
وحياتى لعزهم فى كفاح      ككفاح الشعاع فى وسط دجن  
مُثل لن تخد نوعاً وعدا      كنجوم السماء فى كل فن  
وتبلغت بالعذاب وبالبؤس      مرارا وكل حظى التجنى.

وكأني وحدي المسىء بإحسا  
ما كفاهم أني أعاني وجودي  
ما كفاهم أني أواصل ليلي  
ماكفاهم أني أضحي بروحي  
ما كفاهم أني تناسيت نفسي  
ما كفاهم أني لهم ذلك الرا  
ما كفاهم أني ارتضيت شقائي  
ماكفاهم هذا وهذا فنادوا  
ثم حالوا بين المثالية العذ  
فترحلت حيث تحترم الأحرار  
وأظل الوفي رغم اغترابي

في لعصري أو أنه لم يسعني  
في وجود بقاؤه محض غبن  
بنهاري لأجلهم وسط مَنْ  
حينما عز من يضحي ويفني  
فوق نسيانهم حقوقى وأمنى  
تد يشقى كالراح في أسردن  
لى جزاء ويهدمون وأبنى  
بعقوقى وما راعوا حق سنى  
يا لفكرى وبين شعبى وبينى  
وحيث الهواء طلق لذهنى  
لبلادى ما غابت قط عني

### القلب الباكي

ومن قصيدة نظمها في عيد ميلاده عام ١٩٤٨ يناجى فيها الوطن قائلا:

يامصر لولاك ما فارتقت في حرقى  
أهواك في غربي أضعاف ما سمحت  
ما العيد عندي في مباهاجته  
على سلام وفي حرية شملت  
الثلج حولي أحنى في تحرره  
والنفي أسعد أيامي إذا فرضوا  
ياربّ مقترب في حكم مغترب

أزكى الجنان، ولا عوقبت، لولاك  
به المقادير في قربي، وأهواك  
أنا الغريب فعيدى يوم ألقاك  
لا أن أعبد لأغلال وأشارك  
على فؤادى من ضيم بدنياك  
ذل الجباه لألنّون وأفأك  
وضاحك كل ما في قلبه باك

### الحنين إلى الوطن

قال يصف حنينه إلى الوطن وتعلقه به في غربته:

نفّيان: نفي مغرّب عن أمتي  
وحيالي الأفراح شقى ما لها  
قالوا فررت وما فررت وإنما

عان، ونفى معذب في وحدتي  
حدّ، فلا ألقى التعميم بنعمتي  
كافحت في وطنٍ به حريتي

وضربت بالحرمان أمثال الهدى  
لم أعن بالأشكال قدر عنايتي  
حرق البخور لمن أذلّ بلاده  
وجعلت ما عانيت قربانا لها  
وطني! رضىتك منصفًا في قدره  
للعاملين وكم شقيت لأمتي  
بتمسكي بمبادئى في ثورقي  
وحرقت في إعزارها من مهجتي  
وأظلل في سقمى وفي شيخوختي  
جهدى وإخلاصى وغاية غيرتى

### يتشوق إلى مصر

ومن قصيدة له في حفلة أقيمت لتكريمه في نيويورك سنة ١٩٥٠:

تركت مصر وقلبي لوعة ولظى  
فدى لها - لو أباحت - كل ما ملكت  
تركتها وبودى غير ما حكمت  
وقلت على بُعد أشارفها  
أثنان خلدت الدنيا لأجلها  
لجنة ضيّعت في نوم جنان  
نفسى وما وهبت في حبها الجاني  
به المقادير في أشجان لهفان  
وأنفخ الصور إن فاتته نيرانى  
الحب والتيل مذكانا بإنسان

### الوطن بأبنائه

قال في اعتراف المواطنين بأقدار الرجال وأنه من مظاهر الوطنية السليمة:

إذا عرف الرجال حقوق بعض  
فتنتظم البلاد بهم وتسمو  
لبعض نزهوا عن كل ضعف  
ويغدو الفرد معدودا بألف

### تأملات

ومن قوله في قصيدة له بعنوان (أقصى الظنون):

ما الخلق، ما هذه الدنيا ومنشؤها؟  
مسائل هى للأحقاب باقية  
أجل فرض لها وهم وأيسره  
ما الفكر ما الجوهر الباقي وما العدم؟  
كنا سيقى الردى والشك والألم  
وهم وقد يستوى الدهماء والعلم

### الوطنية والعروبة

ومن قصيدة له يعبر فيها عن وطنيته وعروبه:

إن العروبة والكنانة ملقى  
فلموطنى روحى وكل جوارحى  
يكفى لنا النسب العتيد مجمعا  
دين يوحدہ الوقتی العابد  
ولکم حنینى والشعور المساجد  
فجميعنا صيد رماه الصائد

### نداء الحرية

ومن قصيدة له سنة ١٩٥١ يناجى الشعب ويمجد جهاده ضد الاحتلال فى معركة القتال:

بوركت يا شعب الكنانة ثائرا  
أزجى إليك تحيتى من خاطر  
يا أبى النفاق ولا يبرح بغير ما  
ليس الصديق هو المقرب وحده  
إن كان غيبى العتاة فمهجى  
أبى مساومة الطفاة وإن أذق  
إن كان يُعوزنا السلاح فربا  
حرأ وياوطن البطولة قاهرا  
دام ومن قلب يذوب مشاعرا  
جعل الحياة نفائسا وذخائرا  
ولرب مهجور يُظن الهاجرا  
لك أين كنت مكافحا ومناصرا  
شر الأداة، مواليا لك ذاكرا  
خلق الإباء بنا السلاح الباترا

\*\*\*

وحش للاستعمار يعمن شره  
وكأئما حسب العقول نفاية  
هل يصلح المذيع من آثامه  
حين الفظائع قد خطبُن بألسن  
حين الأساطير التى يدلى بها  
حين الخرائب صارخات حوله  
باسم الحضارة والتقدم ساخرا  
للناس، أو بعض الهواجس دائرا  
حين الرصاص بصيح أروع كافرا  
للنار واعتلت الجراح منابرا  
سبت بصائر للورى وسرائرا  
مثل اليتامى لا تمثل عامرا

\*\*\*

إن كان حسن الظن ذنبا أولا  
هو غاية الإجرام للوطن الذى  
لن ينسج الوطن المفدى صفحة  
ويرى بالاستعمار بعض خلاصه  
فيه، فكيف يعد ذنبا آخر؟  
عانى وعانى من أذاه خسائرا  
لفق يخادع أو يخادع صابرا  
هل كان الاستعمار إلا جائرا

قَرْنُ من التَّغْرِيرِ عَلمَ نَشَانَا  
حَذراً بَنَى وَطَنِي! فَذَاكَ عَدُوَّكُمْ  
لَا تَمْنَحُوهُ سِوَى الْقَطِيعَةِ وَحْدَهَا  
أَوْ مَا يَكُونُ بِهِ الْخِلَاصَ لِيَوْمِكُمْ  
حَذراً بَنَى وَطَنِي وَكَوْنُوا وَحْدَةً  
لَيْسَتْ سَلَامَتُكُمْ بِمَجَالَا هَيْئَنَا  
لَا تَأْسَفُوا - مَهْمَا حَزَنْتُمْ - لِلْأَلَى  
حَمَلِ الْأَدِيمِ مِنَ النَّجِيعِ وَصِيَّةَ  
خَلُّوا التَّغْنَى بِالْجُدُودِ وَفَضْلِهِمْ  
فَهُوَ الْغَنَى بِذَاتِهِ عَنْ ذِكْرِهِ  
وَخُذُوا بِأَسْبَابِ لِنْعَةِ حَاضِرِ  
كَوْنُوا مِنَ الشَّهْدَاءِ فِي إِعْجَازِكُمْ  
لَا عُثْرَ بَعْدَ الْيَوْمِ عِنْدَ تَهَاوُنِ

أَنْ يَحْذَرُوهُ مَفَاوِضًا وَمَشَاوِرًا  
مَهْمَا تَقَلَّبَ فِي الْمَظَاهِرِ مَا كَرَا  
فَمَنْ الْقَطِيعَةُ مَا يَكُونُ الزَّاجِرَا  
وَعَدَ تَوَمَّلْ فِيهِ بَعْثًا بِأَهْرَا!  
فَعَّالَةٌ، لَا ضُجَّةَ وَحَنَاجِرَا!  
إِنْ السَّلَامَةُ قَدْ تَكُونُ مَخَاطِرَا  
ذَهَبُوا الضَّحَايَا فِي (الْقَنَاءِ) حَرَائِرَا  
تَبْقَى لِأَحْقَابِ تَدُومِ ذَوَاكِرَا  
مَهْمَا تَلَأَّ رُوعَةً وَمَفَاخِرَا  
إِلَّا لِيُلْهِمَ غَافِيًّا أَوْ شَاعِرَا  
إِنْ الْحَقِيقَةُ مَا تَقْتُلُ حَاضِرَا  
بِثِيَاتِكُمْ، لَا تَجْعَلُوهُ الْعَابِرَا  
إِنْ التَّفُوقُ لَا يَطِيقُ مَعَاذِرَا!

### يهاجم فاروقاً قبل خلعهِ

ومن قصيدة له نشرها في مجلة (الشهداء) التي تصدر في حلب - عدد ابريل سنة ١٩٥١،  
يهاجم فيها فاروقاً قبل خلعهِ بعام، ويشبهه بالكركدن، وهي من بليغ شعرهِ الوطني، قال:

مِنْ دَمْعَةِ الشَّعْبِ وَمِنْ كَدِّهِ  
مَمْلُوكُ الْحَدِّ عَلَى صَفْوِهَا  
كَمْ يَجْعَلُ الدِّينَ حَبَالَاتِهِ  
قَدْ عَضَّهَا النُّحْسُ، وَمَا عَضَهُ  
يَمْرِغُ الْأُمَّةَ فِي رَجْسِهِ  
عَانَتْ بِهِ وَبِأَوْشَابِهِ  
مُتَنَفِّخًا، يَمْرِغُ مُسْتَفْرِقًا  
كَالْكَرْكَدَنِ الَّذِي يَزْدَهِي  
لَمْ تَعْطِهِ غَانِيَةً قَبْلَهُ  
أَوْ بَادَلْتَهُ نَكْتَةً حُلُوةً

وَمِنْ دَمِ الْأُمَّةِ فِي نَرْدِهِ  
يَالَيْتَهَا تَمْلِكُ مِنْ حَدِّهِ  
لِيَحْنُقَ الْمَصْلِحُ فِي مَهْدِهِ  
إِلَّا فَمَ يَرْشِفُ فِي وَجْدِهِ  
وَيَسْرِقُ الْأُمَّةَ فِي رَنْدِهِ  
فِي قُرْبِهِ الْجَانِي وَفِي بَعْدِهِ  
فِي، اللَّهُوَ كَالصَّائِدِ فِي صَيْدِهِ  
فِي قَبْحِهِ يَسْخَرُ مِنْ قَدِّهِ  
إِلَّا كَمَنْ تَهْزَأُ مِنْ رَشْدِهِ  
إِلَّا وَمَغْزَاهَا مَدَى نَقْدِهِ



حتام يا قوم ضلالتكم  
 كنا نرجيّه مثال الهدى  
 كنا نغنيه أغاني العلى  
 كنا نفديه بأرواجنا  
 ما باله أضحي فتى ماجناً  
 حتام يستهزى من مجدكم؟  
 حتام يسترسل في غيّه؟  
 حتام أعلاكم له صاغراً؟  
 أعقلكم دون دفين الثرى

تَكُن الفاجرَ من قصده؟  
 فأصبح الغاشم في حقه  
 فأصبح المبدل من حمده  
 في روحه العالى وفي زهده  
 الشارد الخادع في وعده؟  
 حتام؟ والخسة من مجده  
 حتام؟ والسوقة من جنده  
 حتام؟ بل أهون من عبده  
 لو يعقل الميّت في لحده

### يحيى ثورة ٢٣ يولية سنة ١٩٥٢

وقال سنة ١٩٥٢ من قصيدة له يحيى ثورة ٢٣ يولية سنة ١٩٥٢:

بوركت يا وطنى العزيز محرراً  
 لو أستطيع كتبت شعري من دمي  
 لو أستطيع سألت كل خيلة  
 لو أستطيع زفت ما أنا عاشق  
 لو أستطيع بعثت من ضحك الضحى  
 لو أستطيع وهبت كل مكافح  
 لو أستطيع أعدت أعواماً مضت  
 لو أستطيع بذلت أضعاف الذى  
 لو أستطيع غسلت ساحة دوركم  
 لو أستطيع هربت من شيخوختى

سَمَحًا، وفي كل القلوب حبيبا  
 حتى أزيد بشعري الترحيبا  
 وبعثت بالشعر المنور طيبا  
 ليكون قربانا أعز قريبا  
 كنزا، ومن لطف الغروب نسيبا  
 عمراً تكرر في الخلود عجيبا  
 لتقص أحلاما رأت ووجيبا  
 مُحلت في إشارى التعذيبا  
 بدماعى، ورششتها تطيبا  
 ورجعت أرفل في الشباب قشيبا

### ينادى بإلغاء الملكية

من قصيدة له في أكتوبر سنة ١٩٥٢ يدعو إلى إلغاء الملكية:

اقطعوها وانبذوا من دعاها  
 قد خدعنا في الذى قالوا لنا

نعمة، إنا شعبنا من أذاها  
 عن جناها، بش ما يجنى جناها

أَثَرُ أَحْيَا قَرُونَا سَلَفَتْ  
قَلْتُ «أَحْيَا» لَيْتَهُ الْحُلُمُ الَّذِي  
إِنَّمَا أَحْيَا شُرُورَا سَلَفَتْ  
خَدَعُونَا حَقْبَةً وَاسْتَسْهَلُوا  
كَمْ تَغْتَنِينَا بِحُبِّ صَادِقِ  
سُلْطَةِ الشَّعْبِ هِيَ الْأُمُّ الَّتِي  
وَأَمَاتِ الْعَصْرَ<sup>(١)</sup> فِي بَغْيٍ تَنَاهَى  
كَانَ أَحْيَا الْأَمْسَ إِصْلَاحًا وَجَاهًا  
زَوَّقُوهَا كَيْ يَعْدُوهُ إِلَهًا  
أَنْ يُضَلُّوا الشَّعْبُ فِي الذِّلِّ فَتَاهَا<sup>(٢)</sup>  
فَرَأَيْنَا مَنْ هَوَىٰ فِيمَنْ تَبَاهَىٰ  
أَنْتِ الْأَحْرَارُ لَا دَعْوَىٰ سِوَاهَا

### يَحْيَى الْجُمْهُورِيَّةِ الْمِصْرِيَّةِ

وقال من قصيدة له في ١٩ يونيه سنة ١٩٥٣ يحيى الجمهورية المصرية بعد إعلانها<sup>(٣)</sup>:

إِذَا الْحُكْمُ لِلْجُمْهُورِ أَصْبَحَ رَائِدًا  
فِيهِ أُمَّةٌ (النَّيْلُ) الْمُبَارَكُ حَاذِرِي  
وَلَا تَقْبَلِي التَّفْرِيقَ فِي أَى مَظْهَرٍ  
أَبَى الْحَقُّ أَنْ يَلْقَى بِهِ الْعَارَ وَالظُّلْمًا  
- وَقَدْ نَلْتِ مَا تَهْوِينَ - أَنْ تَخْلُقِي الضُّيَا  
فَمَنْ يَقْبَلِ التَّفْرِيقَ يَسْتَأْهِلُ الرَّجَا

\* \* \*

أَعِيدْكَ مِنْ وَهْمٍ يَصِيرُ عَقِيدَةً  
أَعِيدْ (جَمَالًا)<sup>(٤)</sup> وَالزَّعِيمَ (مُحَمَّدًا)<sup>(٥)</sup>  
قَدْ انْتَزَعَا مِنْ قِيلِ حَظِّكَ عُنُوءَةً  
تَجَبَّرُ وَاسْتَعْلَى فَرْدَاهُ صَاغِرًا  
وَهَا أَنْتِ بِالْعَهْدِ الْجَدِيدِ طَلِيقَةٌ  
فَفِي كُلِّ شَبْرٍ مِنْ ثَرَاكِ خَمِيلَةٍ  
وَفِي كُلِّ رَكْنٍ مِنْ رِبْوَكَ مَلْجَأٌ  
فَكَمْ أُمَّةٌ هَانَتْ بِإِعْزَازِهَا الْوَهْمَا  
يَحْذُقُوهَا مِنْ حَادِّ مَطْلَبِكَ الْأَسْمَى  
وَمَا بَرَحَا وَالذَّهْرَ كَالطَّائِشِ الْأَعْمَى  
وَقَدْ كَانَ كَالْمَحْمُومِ سَكَرَانَ بِالْحُمَى  
وَمُنْجِبَةً أَعْلَامَ نَهْضَتِكَ الشُّبَّامَا  
وَقَدْ كَانَتْ الْوِيْلَاتُ تَغْتَالُهُ قَضَا  
تَلَوْدُ بِهِ خَيْرُ الْمَوَاهِبِ أَوْ تُحْمَى

\* \* \*

(١) أى العصر الحاضر.

(٢) فتاة، أى فضل.

(٣) أعلنت الجمهورية في مصر يوم ١٨ يونيه سنة ١٩٥٣.

(٤) جمال عبد الناصر

(٥) محمد نجيب.

على ما كسبتِ اليومَ واغتنمي اليوما  
تبزُّ بإعجازها كلَّ ما تَمَّا  
وفنَّا تهزُّ الغافلين أو الصُّمَّا  
أزلتِ بهذا النُّصر من دَمِك اليُتَمَّا  
وها هو قد أضحي لكل الورى غنما  
وما خصَّ شعبا يستفيق ولا قوما

فيا (مصر) عَضِي بالنواجذ حُرَّةً  
وهيَّا أعدى للغد المرتجى عُبْلَى  
إخاء وتنظيما وعِلما وهمة  
ولا تشتكى من لاعج اليُتَم بعدما  
ألا في سبيل المجد ما قد غنمته  
فإنك للأقوام أمثلة الهدى

\*\*\*

تعافُ ذليلَ العيش واليأس والنُّوما  
منائرُك الزهراء تستقبل السَّلما  
وحسبى - على رغمى - مفارقتى الأُمَّا  
فمن قلب محروم تهلل إذ يُدَمى  
تعيشُ على الأضداد مهما تكن غُرما

تبارك ربِّي حين يُنصف أمةً  
عزيزُ على مثلى العبادُ وقد زَهَتْ  
عزيز وفي قلبى حنان مؤرق  
إذا جئت هذا اليوم أزجى تهانئى  
ولكنَّ نفس الحر نفسٌ عجيبَةٌ

### يذكر مصر ويحن إليها

وقال من قصيدة أخرى يذكر مصر ويحن إليها:

دُمعى الذى تأبون بعض مودعها  
وأظُلُّ أحياء في صميم ربوعها  
ونوافح الغدران حول ربيعها  
والذكريات وهو بها كمنوعها

لا تنهروا روحى لفرط ولوعها  
أَلَقْتُ بى الأحداثُ دون ربوعها  
تثب الرؤى حولى بأنفاس الربى  
وتهزنى الذكرى فأشرق بالأسى

\*\*\*

معنى السلو وحرقتى لجموعها  
كبكائه لسماؤها وزروعها  
بحنائها، وتراقصت بولوعها  
شتان بين عبادتى وخضوعها

كم واهم أنى سلوت وما درى  
إن الفتى الوافى بكى حصاءها  
دنيا الصباحة والجمال تلألأت  
أجد الخضوع لها أحبَّ عبادة

\*\*\*

غير الندى والشمس غب طلوعها

لو أستطيع طردت عن أزهارها

وجعلت أضلاعى أبرّ دروعها  
في عزمها كالشمس بعد هجوعها  
سيان بين وضيعها ورفيعها

وحيتها مما أغار تجنيًا  
وبعثتها من نومها، وجعلتها  
وأثرتها لعظائم ومفاخر

\*\*\*

منها الخير، فخيرها بجميعها  
بحياتها وتصورت بصنيعها  
فلقد أفاء على حلم بديعها  
فلقد جنت عيني طيوف نزوعها  
والنفس حيرتها أشد صدوعها  
وتبتلت في حبها وركوعها  
والدمع والتقبيل يوم رجوعها؛  
دمعى الذى تأبون بعض دموعها

مصر الحبيبة جنة لا أشتهى  
أهوى لها الإعزاز كيف تمثلت  
إن كان عاقبى الزمان بغربى  
أو لم تنل عيني شعاع سنائها  
وتركننى في حيرة لا تنتهى  
ركعت بحراب الجمال بوهيها  
وأذابت الأحلام في ألحانها  
لا تنهروا روى لفرط ولوعها

### ذكرى الشهداء

وقال في (ذكرى الشهداء):

ألق الشموس لها من الأفواف  
عمر البطولة بآل كل شغاف  
من يحجمون إلى الخلود الصافي  
واليوم نقرؤها الحنان الوافي  
عبقت بحر شعورها الرفاف  
شهم، وليس على الأبيّ بخاف

ذكرى يرددها الزمان الوافي  
شعت على مرّ السنين، وعمرها  
متغلغلا بنهى الفوارس، دافعا  
اليوم يوم صلاتنا لجلالها  
وعلى الثرى نجثو، تقبل ترربة  
ما كان بالخافى على مستلهم

\*\*\*

ونشيمها في النور والأطياف  
وبكل نبع للحقيقة صاف  
سمحا على رغم الردى المتلاف

إنا بنى الأحرار نعرف قدرها  
وبكل معنى للعظائم شامخ  
لا يجد غير الحق يبقى ناصعا

\*\*\*

هذى مقابرهم وتلك دماؤهم  
هيهات يدركها الطغاة وربما  
سيجيء يوم للحساب، قضاتهم  
مثل النجوم ونورها الشفاف  
سجدوا لها رغبا عن الآناف  
تلك العظام، بغضبة الإنصاف!

\* \* \*

يا أمة الأحرار دومي حرة  
وبحسبك الشهداء ضمخ ذكرهم  
يوم كهذا اليوم تهتف عنده  
وتعزه الدنيا التي حلمت به  
والتضحيات لك الجلال الكافي  
هذا الأثير، وشاع في الألفاف  
مهج الشعوب العانيات هتافي  
حلمي، وتزأر وثبة الآلاف!

### يهاجم الإستعمار وينادى بالثورة عليه

ومن قصيدة له يهاجم فيها الاستعمار وينادى بالثورة عليه، نظمها سنة ١٩٥٢ بمناسبة  
الصراع بين الحرية والاستعمار في تونس، قال في مطلعها:

نوروا على الظلم العتيّ جهارا  
النار لم تخلق لغير مجاهد  
لا بد من صهر اليقين بشعلة  
خلو الرصاص مدويًا من حولكم  
هذى البداية للنهاية، لم يدم  
مُراكش ثارت عليه، وفي غد  
لا ترهبوه وإن يكن جبارا!  
طلب العظام حين خاض النارا  
حتى يخلص رائعا قهارا  
لا بد أن يهوى وأن يتواري  
حكم أسف به الدخيل فبارا  
سنرى الجزائر تصفع الجبارا

\* \* \*

أُمم العروبة نخوة وأرومة  
خسئوا وضلوا، والخسيس بطبعه  
ياويلهم، ومن الضحايا حولهم  
وثقافة، أتقدس استعمارا؟  
يلقى الكرامة والمكارم عارا  
لُسُن تحدث في البصوت مرارا

\* \* \*

«فرحات»<sup>(١)</sup> ليس بأول أو آخر . لجرائم روعننا تكرارا

(١) الزعيم العمالي التونسي الذي اغتاله الفرنسيون.

ما كان الاستعمار إلا سُبَّة  
يلهو به المستعمرون كأن نسوا  
قالوا: «هو النعم الجزيلة فيضه»  
فتضاحكت منهم، وفاضت عبرة  
ودما، وآلما حوت، وشرارا  
عقبى الذين يلاعبون النارا  
واستنطقوا الأدهار والآثارا

إلى أن قال:

إن قدر المستعمرون خضوعها  
ومن الشعوب الساكنات ثوائر  
لن يستطع الذلُّ من تجرى بهم  
أبدا فقد فقدوا لهم أعمارا  
في حين يسمع غيرها هدارا  
تلك الدماء وتخلق الأحرارا

\* \* \*

# عبد الحكيم المصري

١٨٨٧ - ١٩٢٢



من الشعراء الضباط. ولد في مايو سنة ١٨٨٧، وبعد أن أتم دراسته الابتدائية دخل المدرسة الحربية وتخرج منها سنة ١٩٠٦ في التاسعة عشرة من عمره، وألحق ضابطاً بالأورطة السادسة عشرة من المشاة في كسلا.

تعشق الشعر والحرية منذ صباه، فغاد بقصائد رقيقة في التغنى بالوطنية والحرية.

وظل يغرد بالشعر ويتغنى به إلى أن وفي في يولييه سنة ١٩٢٢، وكان حين وفاته في ريعان الشباب، فكان لوفاته وقع أليم في النفوس.

كانت له في الشعر مكانة ممتازة، عبر عنها حافظ إبراهيم بقوله في رثائه:

لَكَ اللهُ قَدْ أَسْرَعَتْ فِي السَّيْرِ قَبْلُنَا  
وَقَدْ كُنْتَ فِينَا يَا فَتَى الشَّعْرِ زَهْرَةً  
فَلَهْفَى عَلَى تِلْكَ الْأَنَامِلِ فِي الْبِلَى  
وَيَا وَبِحَ الْأَشْعَارِ قَبْلَ نَجِيَّهَا  
تَزُوْدَتْ مِنْ دُنْيَاكَ ذِكْرًا مَحْلَدًا  
وَلِلْمَصْرِيِّ دِيْوَانُ شَعْرٍ مِنْ ثَلَاثَةِ أَجْزَاءِ

## فجر الأمل

من قصيدة له نظمها سنة ١٩٠٩:

تَرَعْرَعُ عَهْدُ الْيَمَنِ وَاخْضَلُ جَانِبُهُ  
مَضَى زَمَنٌ كُنَّا فَرِيْسَةَ حَرْبِهِ  
وَرَدَّ عَلَيْنَا اللَّهُ مَا الدَّهْرُ سَالِبُهُ  
وَجَاءَ زَمَانٌ مَا نَزَالُ نَحَارِبُهُ

من الشرق إلا قام ألف يغالبه  
فعدّ لها بالله ما أنت طالبه  
وإما تمشت للقضاء تطلبه  
وإما محونا اليوم ما أنت كاتبه  
ورواك من ماء المجرة ساكبه  
على فوزها أبدى لها الفوز حاجبه

عن البأس حتى أن ترن نوابه  
عن الجحد حتى نظم الدر ثاقبه  
فقالوا أبو حفص بدا وكتابه  
وأكتب ما يملئ الرسول وكتابه  
وضارب به من لا نطق نضاربه  
وفرت من الجفن الحريص سواربه

أطلّ على واد نمتك جوانبه  
بلابله تشدو وتصفو مشاربه  
ترامى نواحيه وينهال كتبه  
فألفى رجالا كالأسود تجاوبه  
إلى رغبة إلا وقمت رغائبه

فلم يغلب الدهر العصي مجاهدا  
فيا شرق قد جاشت بنفسك أنفس  
فإما أصابت من منها طليبة  
تقول له إما احتسبت جزاءنا  
جزاكن عني الله يا خير أنفس  
إذا ما النفوس الطاهرات تضامنت

إلى أن قال مخاطبا الزعيم محمد فريد:  
(محمد) لا يلو الكرى لك عزيمة  
نهزت بأنباء البلاد ولم تمل  
طلعت بهم في باسم الصبح عابسا  
كأنى وأنت اليوم تدعو إلى الهدى  
فجرد شبا تلك اليراعة صارما  
لقد روعت منا الهموم جوانحا  
ثم قال مخاطبا الكتابة:

فيا غادة في الشرق قد غار نجمها  
لقد كان روضا وارفا الظل في العلى  
فأصبح تذروه الرياح عواصفا  
إلى أن دعا داعي الصلاح حياله  
دعوت أناسا ليس يدعوه هو امرؤ

### يصف قصر أنس الوجود ويشيد بعظمة مصر

عيني إليك وقلبي للأولى رحلوا  
وفي الطلول البوالى ترسل المقل  
عيوننا أين كانت دورنا الأول  
أدناهم الشوق أو أقصاني الأجل  
غير البكاء فقد ضاقت به الخيل

وقف عليك دموعي أيها الطلل  
أرسلت بالعين في سقياك هامية  
لولا بقية أطلال لما عرفت  
ليت الأحبة حين البعد طاح بهم  
يا عالما بالهوى أرشد فتاك إلى



تَبْكِي عَلَى دَوْرِهِمْ مِثْلِي وَتَعْزِلْنِي  
يَا أَيُّهَا الطَّلَلُ الْمَزُورَ جَانِبِهِ  
وَقِفْتِ بِالْيَمِ رَسْمًا لِأَحْرَاكِ بِهِ  
رَيَّاكَ مِنْ جَنَّةِ الْفَرْدُوسِ سَارِيَةِ  
الْدَّهْرِ مَلٍّ وَأَيَّ الدَّهْرِ كَامِنَةِ  
قَرَأْتُ فِيهِنَّ سِرَّ الْعَالَمِينَ فِيَا

وختمها بقوله :

فَمِنْ يَجَارِيكِ فِيَا شَدْتُ يَا (أَنْسَ) الْمَرْءَ مَرْتَحِلَ وَالذِّكْرَ مُقْتَبِلَ

### يكرم الشيخ عبد العزيز جاويز بعد خروجه من السجن

ومن قصيدة له سنة ١٩٠٩ في حفلة تكريم الشيخ عبد العزيز جاويز لمناسبة خروجه من السجن بعد استيفائه مدة الحبس (ثلاثة أشهر) التي حكم بها عليه في أغسطس سنة ١٩٠٩ عن مقالة له في (ذكرى دنشواي):

تَصِفُ السَّجُونَ وَمَا بِهَا  
أَيَّامَ كُنْتُ تَخَالُ نَفْسَ  
مُتَقَلِّبًا فَوْقَ الْفِرَا  
وَتَوَدُّ رُؤْيَا زَائِرَ  
مَا خَفَتْ مِنْ سَجْنِ الْخِيَا  
فِي جَانِبِ الْوَطَنِ الْعَزِيزِ  
مِنْ جَائِرٍ لِلْمُسْتَجِيرِ  
كَ بَيْنَ سَكَانِ الْقُبُورِ  
شَ تَقَلُّبُ الْعَانِي الْأَسِيرِ  
يَحْنُو عَلَى ذَاكَ الْمَزُورِ  
لِ وَخَفَتْ مِنْ سَجْنِ الضَّمِيرِ  
زُ تَهْوَنُ هَائِلَةُ الْأُمُورِ

### أسود النيل

من قصيدة قالها سنة ١٩٠٩ في الاحتفال برأس السنة الهجرية سنة ١٣٢٧:

مَالِي أَرَى السُّودَانَ طَعْمَةً أَكَلِ  
أَنْسَوْا أَسُودَ النَّيْلِ يَوْمَ تَضَرَّجُوا  
مُتَسَابِقِينَ إِلَى الْحَصُونِ كَأَنَّهَا  
مُتَقَاسِمِينَ الْعَادِيَاتِ كَأَنَّهُمْ  
هَلْ أَطْمَعْتَهُمْ مِصْرَ فِي السُّودَانِ؟  
بَدَمَ الْعَدَى حِينَ التَّقَى الْجِيْشَانِ  
أَوْكَارَهُمْ شِيدَتْ عَلَى الْأَفْنَانِ  
فِي الْحَرْبِ مُشْتَرِكَانِ مُخْتَصِمَانِ

## صوت الشعب

من قصيدة له يخاطب الخديو عباس الثاني ويطلبه بالدستور:

رَدَّ الودیعة لا مالا ولا شانا      لم نرجُ في جانب الدستور إحسانا  
لولا ولاؤك لم نبسط إليك یدا      من الرجاء ولم نسألك غفرانا

## يناجي الحرية

من قصيدة له في مناجاة الحرية سنة ١٩١٠:

حَلَّاهَا البینُ فانجابت عن المقل      ولم تودع قبيل السير من رجل  
كأنما لم يصفها القوم في بلد      ولم يؤهل بها في منزل حفل  
إلى أن قال.

عودی أطلُّ علينا إننا نفر      إن جَلَّتْ عنا فإننا عنك لم نحل  
الدهر غيّرنا حتى إذا بصرت      بنا الديار غدت منا على دخل  
رُدِّي علينا عهدًا منك ناضرة      ياربُّ عهد تولى ثم لم يؤل  
كنا وكنتِ وكان الدهر، فانقرضت      أيامنا وتولينا على عجل  
أصبحتِ في غير وادی النيل ثاويةً      والشمس في الحوت غير الشمس في الحمل  
أيسجنون يراعاً لم يُثر فتناً      ويعقلون لساناً غير منعقل<sup>(١)</sup>

وختمها بقوله مخاطباً المواطنين:

أتى زمان نهوضٍ وانقضى زمنٌ      كان البكاء يُرى فيه من الحيل  
فراقبوا الله يومًا في كنائنه      إن الكنانة أضحت مطمح الدول

(١) يشير إلى تقييد حرية الصحافة.

# عزیز فہمی

شاعر الحرية والشباب  
١٩٥٢ - ١٩٠٩



هو الدكتور عزيز فهمي، من أعلام الحرية والأدب،  
وأبطال الوطنية والجهاد.

ولد سنة ١٩٠٩ بطنطا، وهو نجل الأستاذ عبد السلام  
فهمي جمعه رئيس مجلس النواب السابق ومن المجاهدين  
في الحركة الوطنية.

تلقى علومه الابتدائية والثانوية في المدرسة الابتدائية  
ثم في المدرسة الثانوية بطنطا، ثم انتقل إلى مدرسة الجيزة  
الثانوية حيث نال منها شهادة البكالوريا.

وبدت عليه منذ أن كان يتلقى التعليم الثانوي ميوله  
نحو الحرية والأدب والشعر وأنشأ وهو في مدرسة الجيزة  
الثانوية مجلة أدبية كان ينشر فيها آراءه وأشعاره.

وانتقل إلى التعليم العالي بالقاهرة، وجمع بين دراسة الحقوق في كلية الحقوق ودراسة الأدب  
بالانتساب إلى كلية الآداب، فنال ليسانس الآداب سنة ١٩٣٢، والحقوق في سنة ١٩٣٣،  
وكانت رسالته التي قدمها إلى كلية الآداب في المقارنة في الشعر العربي بين العصر الأموي  
والعصر العباسي.

وكان طموحاً إلى الاستزادة من العلوم والآداب، فسافر إلى باريس سنة ١٩٣٣، والتحق  
بجامعتها وحصل منها سنة ١٩٣٨ على الدكتوراه في القانون وكان موضوع رسالته (الامتيازات  
الأجنبية في مصر ومعاهدة مونثرو)، وكانت أول رسالة من مصرى عن هذه المعاهدة، والتحق في  
الوقت نفسه بالسوربون للحصول على الدكتوراه في الأدب.

وقد شبت الحرب العالمية الثانية وهو في باريس، فعاد إلى مصر سنة ١٩٤٢ مملوءاً وطنية  
وتضحية، مستكملاً دراساته العلمية والأدبية.

وشغل منصب وكيل نيابة بالمحاكم المختلطة وقتاً قصيراً، ثم ضاق صدراً بالقيود الحكومية، فاستقال مؤثراً العمل الحر والجهاد الحر، واشتغل بالمحاماة والصحافة، ووقف قلمه ولسانه، وقلبه وجنانه، على الجهاد في سبيل الحرية، ومكافحة الاستعمار والطغيان والفساد.

كان أديباً شاعراً، وخطيباً مفوهاً، يجمع بين بلاغة العبارة وسلاسة الأسلوب، وقوة التفكير، وغزارة المادة، والشجاعة الأدبية، كان يدافع عن الحرية بقلمه ولسانه على صفحات الجرائد، وبلسانه فوق المنابر، وفي ساحات القضاء، وتحت قبة البرلمان.

وقد اعتقل وحقق معه غير مرة بتهمة العيب في الذات الملكية، أو التحريض على الإخلال بالنظام، وكان في المحاماة يدافع عن الحرية وعن المتهمين في جرائم الرأى، ويهاجم الطغيان والقلم السياسى والإجراءات التعسفية.

دخل البرلمان سنة ١٩٥٠ نائباً عن دائرة الجمالية بالقاهرة فكانت صفحته في دار النيابة أقوى صفحات حياته التي قضاه في الكفاح الوطنى، وعلى أنه انتخب مرشحاً من الوفد، فإنه لم يتقيد بسياسة الحكومة الوفدية، وعارضها فيما يستحق المعارضة من تصرفاتها، وله في ذلك المواقف المشرفة، وظهرت مواهبه البرلمانية كخطيب ومناضل برلمانى من الطراز الرفيع، كان يناضل عن الحرية في كل مناسبة، وله المواقف المشهودة في معارضة نظام الاشتباه السياسى، ومعارضة القانون المعدل لنظام مجلس الدولة وهو القانون الذى قدمته الحكومة الوفدية إلى البرلمان للانتقاص من سلطات المجلس واستقلاله، ودوى صوته مجلجلاً معارضاً مشروعات تقييد حرية الصحافة سنة ١٩٥١، وكان لمعارضته لهذه المشروعات دوى كبير وصدى استحسان عظيم في الرأى العام، وبلغت مكانته الوطنية والبرلمانية ذروتها في معارضته هذه المشروعات حتى انتهت يسحبها من البرلمان، فكانت هذه النتيجة أعظم انتصار للفقيد في حياته السياسية والوطنية.

ولما شبت معركة القتال بين الفدائيين والإنجليز عقب إلغاء معاهدة سنة ١٩٣٦ في أكتوبر سنة ١٩٥١، سافر إلى منطقة القتال، وساهم في حركات المقاومة ضد القوات البريطانية، واستهدف للقتل غير مرة، فكان ذلك منه غاية البذل والتضحية.

وكانت وفاته يوم أول مايو سنة ١٩٥٢ في حادثة فاجعة، بل مأساة أليمة، إذ كان يعتزم السفر إلى الفشن في صبيحة ذلك اليوم ليرافع أمام محكمتها في إحدى القضايا، وكان يتوى السفر بالقطار، ولكن مواعيد السفر كانت قد تغيرت ابتداء من أول مايو لحلول الصيف، وقد فاته أن يعرف الموعد الجديد للسفر، فلم يدرك قطار الصباح، فاستأجر سيارة ركبها قاصداً الفشن، وفيما هى تسير في الطريق الزراعى وقع لها قبل العياط ببضعة كيلو مترات حادث فجائى، قلبها رأساً على عقب وهوى بها في التربة المحاذية للطريق، فمات الفقيد غريقاً.

وكانت وفاته فجيرة للوطن وبنيه، إذ فقدوا بوفاته مجاهداً صادقاً بين المجاهدين الأحرار. كانت وطنيته فوق حزبيته، وعقيدته أساس شخصيته، كان يرى في الحياة السياسية رسالة يؤديها، لا يبتغي منها لنفسه مغنياً ولا نفعاً، ولا يقصد إلا وجه الله والوطن، فلا غرو أن حزنت الأمة لوفاته حزناً عظيماً.

### اسلمى مصر

. قال رحمه الله من قصيدة له سنة ١٩٣١ بعنوان (اسلمى مصر):

اسلمى مصرُ على مرِّ القرونِ . حُسْبِكَ اللَّهُ نصيراً ومعيناً  
لن تُضَامَى أنت يا مهد الخلو د وهذا بعض أشبال العرين  
من تكن ليلاه مصر لا يهن ساعة البذل ولو ذاق المنون

إلى أن قال:

لا رعاكَ الله يا عهداً مضى عهد بغى وافتئات وأفون  
محنة لا عهد للناس بها جزع الصبر لها، والصابرون  
عصفت بالحرث والتسل معا وأعادت عهد كسرى ونرون  
ونضت سيفاً بتوكا كلما هب، ذُقنا حذية المنون  
دولة الحجاج أن قيست بها مثل في الرفق عند المنصفين

### وهوى الأوطان للأحرار دين

إلى أن قال في تمجيد التضحية:

في يمين الله ما ضحيتمو لا يُضيع الله أجرَ المخلصين  
في هوى مصر يضحي عن حجباً ورضاء كل مُستَبَقٍ ضنين  
لن يُضيع العرفُ عند الله إن ضيَّع الخير أصيل وهجين  
هو عند الناس جودٌ ووفاء وهو عند الله إيمان ودين  
ولبانات الهوى شتى كنا ر، سلر التاريخ عنها والمنون  
فهوى ليلي قيس متعة وهوى الأوطان للأحرار دين

هى ليلانا جميعا فانظروا  
هل جمعنا من أفانين المني  
ليتنى أحيا إلى يوم أرى  
لا أبالي أعظامى بعده  
لا سقاك النيل يا مصر إذا  
ونُعِدْ مجدًا سليبا غابرا  
هل قسطنا ما علينا من ديون؟  
ما تمنتته على مرّ السنين؟  
فجرّ مصر فيه وضاء الجبين  
في سهوب<sup>(١)</sup> من تراها أم حزون  
لم نقرب من أمانيك الشطون  
ونُعيرِ بِلِوَالِكِ العالمين

### لا يخشى الموت

كان رحمه الله يتنبأ بأن لا يطول به العمر وأنه سيموت في ربيع الحياة، فكان يستعد للقاء الموت، ولا يهابه ولا يخشاه، وينشد الخلود.

قال في هذا المعنى من قصيدة له سنة ١٩٣٣ بعنوان (الحن الموت):

أيها العرّاف هل عند النجوم  
كاذبٌ عِلْمُكَ ما لم تُنبِئِ  
جَهْلَ السرِّ أناسٌ قبلنا  
حملوا العبء وقد ناءت به  
ولكم ساءلتُ نفسى حائرًا  
ما وجودى؟ ما سبيلى؟ من أنا  
سرُّ هذا الكون أو عند المنون؟  
جرّتُ والله ولجّتُ بى الظنون  
وجهلنا فوق جهل الأولين  
أُمٌّ من قبلِ عادٍ و(أُمون)  
حيرة السارى بليل ذى دجون:  
ما جهادى؟ ما مصيرى بعد حين؟

\*\*\*

يا بنى أُمى لقد جَدَّ نوى  
لا تقولوا مات فى شرخ الصبا  
ليس مَنى مَن بكافى فارعوًا  
وغدا يجمعنى واد شطون<sup>(٣)</sup>  
ذلك الحق تجلّى واليقين  
لن يردّ الدمعُ محتومَ المنون

\*\*\*

(١) السهوب، كالسهول: الأراضى المستوية؛ والحزون: جمع حزن وهى الأرض الصلبة.

(٢) الشطون: البعيد.

(٣) الشطون: البعيد.

لا تقولوا ليته عاشا فقد فارق الأصفاد عصفور سجين  
شاقني الخلد كما شاق القطا سلسيل في عقاب وقرون<sup>(١)</sup>

### يا قارئ الكف

وقال في هذا المعنى سنة ١٩٤٤ من قصيدة له بعنوان (يا قارئ الكف):  
يا قارئ الكف ماذا أضمر القدر؟ ولا عليك إذا لم يصدق الخبر  
وما اهتمامك باسمي؟ هب عنترة وهبه زيدا.. وجدى عمرو أو عمر  
عليك بالكف فاقرا بين أسطرها ماذا يدل عليه الخط والأثر؟

\*\*\*

أطالع اليمن أن الخط متصل وآية النحاس أن الحد منبر؟  
وما الشيات<sup>(٢)</sup> على جنبى ثمانية تبدو كوشم وتخفى حولها غرر؟  
خبر عن الفأل لا تجفل فسانحة عندى كبارحة والشر ينتظر  
هل أنسا الله في عمرى إلى أجل يلح فيه على الهمة والكبر؟  
وهل أبلغ آمالي؟ وأبعد لها عندى كأقربها ناءً ومحتضر  
هبنى ظفرت بآمالى على ظمأ إذا ارتويت فماذا يعقب الظفر؟  
وهل أوسد حزننا حرّة وحصى فى جوف هاربة أغوارها حجر  
أم هو جلا<sup>(٣)</sup> قذفا<sup>(٤)</sup> تنبو براكيها لا البيد عبدها يوما ولا الحضر  
قفراء جرداء لم تكلأ حشائشها إلا السواقى ولم يعلق بها مطر  
أم تقذح النار من حولى فتطمعنى حيا وأشوى بها أيان تستعر  
أم أن فى مسبح الحيتان منقلبي يوم الرحيل إذا نادانى السفر<sup>(٥)</sup>

\*\*\*

(١) جمع منه: طريق فى الجبل وعمر، وقرون؛ جمع قرن؛ القطعة من الجبل.

(٢) السيات، جمع شية؛ العلامة.

(٣) الهوجل: المازة البعيدة لا علم بها.

(٤) القذف: البعيدة.

(٥) كأنه فى هذا البيت كان يتنبأ بموته غرقا، وقد نوى رحمه الله غرقا سنة ١٩٥٢.

قل ما بدا لك واهرف غير مبدع  
 اللحد كاللحد والأكفان واحدة  
 والمال كالعُثم لولا أنه أمل  
 والسعد حال على الإنسان طارئة  
 لولا التشابه في الأقدار ما صدقت  
 فالرجم بالغيب - لو تدرى - هو الهذر  
 ولا خيار لميت حين يدثر  
 إن الغنى إلى الأموال مفتقر  
 (وعند صفو الليالي يحدث الكدر)  
 عرافة الحى من تُوفى لها النذر

### الشورى

قال من قصيدة له سنة ١٩٤٣:

بنى مصر هذا الحق أبلغ واضح  
 إذا شتم الشورى فذلك حكمها  
تولى زمان الحاكمين بأمرهم  
تولى زمان الفرد لا عاد عهده  
 وهذا صراط يستوى عنده القصد  
 وإن شتم الفوضى فليس لها حد  
ولم يبق في الدنيا مسود ولا عيّد  
وبدل بالدستور سلطانه الفرد

### الضمير

وقال يصف الضمير من قصيدة له سنة ١٩٤٤:

صاحب وسان من طول السهر  
 كلما غافلته في سكرة  
 فإذا كُفرت عن وزر عفا  
 ليس ملموساً فتدرى كنهه  
 وتواريه فيغضى ساعة  
 ليس عقلا أو شعوراً خالصاً  
 فهو عقل باطن أو ملهم  
 كم جرعت الصاب من ترياقه  
 أنتما الدهر طريد أبق  
 أينما وليت أحصى مُرجئاً  
 إن تتم ناداك أو تنس أدكر  
 من أمانيك تجنى أو عذر  
 وإذا عدت إلى إثم ثأر  
 وهو ما كُتبت يدري ما تسر  
 ثم يستيقظ في لمح البصر  
 بل تُراثاً من شعور وفكر  
 وهو إحساس قديم مدخر  
 واستسغت الشهد مما قد هصر  
 وغريم طارد أو منتصر  
 موعداً حتماً فأيان المفتر؟

\*\*\*



يترامى شاحياً أو إمّعا	فهو كالظل إذا الظل انتشر
وهو جبارٌ عنيف تارةً	وهو أحياناً ضعيف يَأْتَمِرُ
وهو إعصار وريح صرصر	وهو كالسيل إذا السيل انهمر
وهو كالبحر إذا البحر طغى	وهو كاللّج إذا الموج انحسر
وهو كالسهم إذا السهم رمى	وهو كالسيف إذا السيف بتر
أمرٌ ناهٍ وعاصٍ طيغ	وهو الأمر وهو المزدجر
لا ينال العمر إلاّ ساعة	فتربها وبالغ في الحذر
ساعة إن ثمت عنها غافلا	عدت كالخمور أو كالاحتضر
أيها الساهر نم أو لا تتم	وترفّق وتجلد واستبعر
إن جئنا فعلينا وزرنا	وإذا نحن أثّنا فاعتذر

### ومصر تناديهم وصوتى يردد

وقال في يونيه سنة ١٩٤٦ وهو معتقل في سجن الأجانب:

كفاك عزاء أنك اليوم أوحـد	وقد يسكن القعد الحسام المجرّد
يهون عذاب: السجن والليل موحش	ويذهب عنك الحزن فيه تجلّد
وقد يؤسر الليث المتيع عرينه	ويرهب منه الصوت وهو مصفد
أهبت بقومى أن يذودوا عن الحمى	ومازلت أدعوهم ومازلت أشهد
أهبت بقومى والخطوب زواحف	تلم بهم طورا وطورا تهدد
وأنذرت حتى بح صوتى ولم أزل	ومصر تناديهم وصوتى يردد

### نذرت نفسى قرباناً لفاديتها

ومن قصيدة أخرى نظمها وهو في سجن الأجانب سنة ١٩٤٦:

شكت إلى الله من عدوان أهليها	وعاث غاصبها في أرض راعيها
واحرّ قلباه من يأس يصارعها	يكاد لولا بقايا الصبر يردىها
فزعت من غدها علما بحاضرها	ورضت نفسى على نسيان ماضيها
وقفت قلبى عليها في شبيبته	فشاب منها ومن عدوان ساليها

لما أفقت من الماضى بلا أمل نذرت نفسى قربانا لفاديها

\*\*\*

ذكرت مصر فهاجتنى مواجهها  
يا لائى وأنا الجانى على كبدى  
كل يغنى ليشجى سامرا وهوى  
وليس لى سامر فيها ولا وطر  
وإنما هى آلامى أكتمها  
وَعزنى الدمع حتى كدت أبكيها  
دع عنك لومى فإن اللوم يغريها  
وقد يغنى لأوطار يرجيها  
ولا زعمت. جوادى من مذاكيها  
حتى يضيق بها صدرى فأحكيها

\*\*\*

نزحت عنها فلم أعدل بها وطنا  
وصنت شعرى إلا عن مفاتنها  
ورق شعرى كما رقت جداولها  
وما رأيت كناسا فيه جؤذره  
وبات قلبى أسيرا في مغانيتها  
وهمت في الأرض مسحورا بواديها  
وراق وصفى كما راقق بحاليها  
إلا ذكرت غزالا في مراعيها

\*\*\*

لما رُدِدْتُ إليها رد لى أملى  
وقد طويت إليها اليم واقتربت  
فكاد يظفر قلبى من توثبه  
وحال قلبى دموعا عند ما اتادت  
سجدت لله عرفانا لنعمته  
فكيف حالت حياقي عندها سقرا  
عند اللقاء وأحيانى تدانيها  
بى السفينة من أولى موانيتها  
وقد تنسم ريحا من نواحيها  
فرحت أنثر دمعى. فى ضواحيها  
لما حلت رفيقا من روابيها  
وكيف أصليت نارا من سواقيها

\*\*\*

جارت عليها صروف الدهر واختلفت  
راشوا لها السهم مسموما فشتتها  
واثخنوها جراحا فى مقاتلتها  
إلى أن قال:

فزعت من شرك يلقيه غاصبها  
قبل الجلاء لعل (الوعد) يغريها

وما الجلاء إذا شدت<sup>(١)</sup> بسلسلة من القيود و(شرط الحلف) عليها  
تشعب الرؤى والأحزاب سادرة ومصر صابرة والصبر يضنيها  
وكيف تنهض من أسر يكبلها والقيد آمرها والقيد ناهيها

### بنى وطنى أهبت بكم زماناً

وقال في نوفمبر سنة ١٩٤٦ يندد بالإنجليز على أثر الاعتداءات الدامية التي وقعت منهم في القاهرة والإسكندرية، ويدعو المواطنين إلى البذل والتضحية:

سلوا من سامها <sup>(٢)</sup> هذا العذابا	ومن شرع الأسنة والحرابا
سلوا جلادها تبّت يدها	بأى شريعة فرض العقابا
أما ينهأ عقل أو ضمير	يرد له المحجة والصوابا
ضلال أن يعاتب مستبداً	و أولى بالمسود أن يعابا
وجهل أن يخاطب غير أهل	فلا تحزن عليه إذا تغابا
يصعّر خده صلفاً وحمقاً	ويوردها على ظمأ سرابا
وكم أسدت إليه وكم تجنى	ولم يحسب لعاقبة حسابا
بأى جريرة وبأى عدل	تجرع مصر كأس النصر صابا؟
ولولا مصر ماغنموا فلاة	ولو مصر ما غلبوا ذبابا

\* \* \*

سلوا (دنكرك) هل نهضوا بعبء	وقد غنموا السلامة والإيابا
سلوا (الصحراء) عنهم كيف طاروا	وهل تخذوا النعام لهم ركابا
سلوا (العلمين) هل نبتوا بأرض	وقد سبقوا مع العدو السحابا
فكيف تعاضموا بعد انكسار	وكيف تبدلوا أسداً غضابا
سلوا (الميثاق) <sup>(٣)</sup> هل وأدوه صبحاً	وهل نسجوا من الكفن الإهابا
وكيف جرى على فمهم كذابا	وسال على سواعدهم خضابا

(١) الإشارة هنا إلى مصر.

(٢) يقصد الإنجليز

(٣) ميثاق الأمم المتحدة.

وكيف استبدلوا شرعاً بشرع  
كذلك تلذع الأفعى كريماً  
وبين الناس رقط وابن آوى  
إلى أن قال:

ويا وطنى فديتك من جراح  
وهل يأسو الجريح سوى جريح  
وكم من قسور ورد المنايا  
إذا كرت عليه الخيل فرّت  
روى دمه ثراك ففاح مسكاً  
وأخر فى (الجنوب) ثوى شهيداً  
لحاً الله الخوارج والمطايا  
ولا كان الجلاء إذا أحلوا  
وطوبى للأولى ذهبوا فداء  
إذا نكأت حملناها عذاباً  
يشاطره الفجيعة والمصابا  
يروع يبطشه السبع السغابا  
وإن سام الجياد حمى العربا  
وأينع روضة وزكا ترابا  
فضج النيل واجتاح الرحابا  
ومن أضحت نفوسهم خرابا  
مع الحلف المرافق والرقابا  
إلى الرضوان واستبقوا الثوابا

\*\*\*

بنى وطنى أهبت بكم زمانا  
ولو نطق الجماد كما نطقنا  
فلما بح صوقى قيل هابا  
لأسمعه الصدى عنكم جوابا

\*\*\*

## على الغايات



من شعراء الوطنية ومن المجاهدين القدامى، اعتنق مبادئ مصطفى كامل منذ أن استمع إلى خطبته الكبرى التي ألقاها بالإسكندرية في ٢٢ أكتوبر سنة ١٩٠٧، وصار من تلاميذه وأنصاره الأوفياء الحافظين لعهد طوال السنين.

انضم إلى أسرة الصحافة منذ صباه. وعمل في صحف الحزب الوطنى المتعاقبة. واتجهت نفسه إلى الشعر، فنظم قصائد تفيض وطنية وإخلاصا. وقد جمعها في ديوان أصدره سنة ١٩١٠ بعنوان «وطنيتى» وله مقدمتان، إحداها بقلم محمد فريد، والثانية بقلم عبد العزيز جاويز. وكان لهذا

الديوان قضية أنرت في مجرى حياة الشاعر. فقد أقيمت عليه الدعوى العمومية وحوكم على قصائد من هذا الديوان عدتها الحكومة وقتئذ عيبا في ذات ولى الأمر (الحديو عباس الثانى) وتحريضا على كراهية الحكومة والإزدراء بها، وتحييذا للجرائم (السياسية)، وحكم عليه من محكمة جنايات القاهرة في أغسطس سنة ١٩١٠ بالحبس سنة. وقد صدر الحكم عليه في غيبته، إذ كان قبل محاكمته قد ارتحل إلى الاستانة، ثم إلى سويسرا حيث أقام في (جنيف)، وأصدر بها سنة ١٩٢٢ جريدة (منبر الشرق) بالفرنسية، وجعلها وقفا على الدفاع عن قضية مصر وقضايا الشرق عامة. وظل في منفاه حتى عاد إلى مصر سنة ١٩٣٧ واستأنف فيها إصدار صحيفته (منبر الشرق) بالعربية حتى اليوم<sup>(١)</sup> - مد الله في حياته - وهى صحيفة وطنية شرقية إسلامية أخلاقية، تدافع عن القضية الوطنية وقضايا العروبة، وتناضل عن الحرية والاستقلال للشعوب الشرقية جمعا.

### إلى مصطفى فى حياته

من أول شعره الوطنى قصيدة نظمها سنة ١٩٠٧ وقدمها إلى مصطفى كامل عقب خطبته بالإسكندرية، قال مخاطبا الفقيد:

(١) أى حتى وقت ظهور الطبعة الأولى من الكتاب سنة ١٩٥٤.

اصدع بقولك إن أردت مقالا  
لم تدر مصر سوى حماك تؤمه  
أقبل على الوطن العزيز بصارم  
وختمها بقوله  
فادأب على إنهاض أمتك التي  
ترجو وراء خطاك الاستقلال

### وطن يناجي ربه

قال من قصيدة له بهذا العنوان:

رب. أن البلاد أرقها الظلم وحاقت بأهلها البأساء  
رب إلى الصدور أخرجها الوجد وأودت بحلمها الأرزاء  
فتدارك بلطفك النيل حتى لا تجارى حياة مصر دماء

### قصائد حوكم من أجلها سنة ١٩١٠

من قصيدة بعنوان (طيف الوطنية):

وعداة ملكوا الأمر ولم  
وولاة أقسموا أن يسجدوا  
رب ماذا يصنع المصري إن  
طال يوم الظلم في مصر ولم  
هل يرى المحتل أنا أمة  
أو يرى الظالم فينا أننا  
زعموا زورا، فما من أمة  
كتب النصر لشعب ناهض  
يحفظوا للشعب في حق ذماما  
كلما رام العدا منهم مراما  
جاوز الصبر مدى الصدر فقاما  
نذر بعد اليوم للعدل مقاما  
مذ عرفنا السلم لاندري الخصاما  
نحمل الخسف ولا نبغى انتقاما  
سامها العسف ظلوم ثم داما  
في سبيل المجد لا يخشى الحماما

ومن قصيدة له يندد بالخديو عباس الثاني:

أعباس هذا آخر العهد بيننا  
أيرضيك فينا أن نكون أذلة  
ونبأس من آمالنا فيك كلما  
وأرضيت أعداء البلاد وأهلها  
رويدك يا عباس لا تبلغ المدى  
فلا تخش منا بعد ذاك عتابا  
ننال إذا رمنا الحياة عقابا  
قضيت علينا أن نكون غضاها  
وأصليتنا بعد (الوفاق) عذابا  
ولا تستمع للظالمين خطابا

فما يبتغى (جورست) إلا مكيدة      تحول أقلام السلام حرابا  
وها قد رمى حرية القول رمية      بسهمك تجنى للبلاد خرابا

### يهاجم الوزارة

وقال في هذه القصيدة يهاجم وزارة بطرس غالى التي كانت تتولى الحكم وقتئذ:

ألا أمطر الله الوزارة نقمة      ولا بلغت مما تروم مراما  
تحاول أن تقضى علينا بإثمها      ولكن ستلقى دون ذلك أناما  
وزارة خدّاع أقامته بيننا      يد الحاكمين الآثمين فقاما

ومن قصيدة أخرى له يندد بهذه الوزارة على أثر امتناعها عن حضور جلسات مجلس شورى القوانين فرارا من مناقشات الأعضاء:

يا أيها الوزراء ماذا نابكم      حتى هجرتم صورة النواب  
إلى أن قال:

فتزلزلت أقدامكم من هولها      وهرعتمو فزعاً إلى الأبواب  
ورضيتمو الهرب المعيب لأنه      خير من الإفلاس عند حساب  
عارٌ عليكم أن يقال وزارة      لم تدرك إن سئلت بيان جواب

ومن قصيدة أخرى له سنة ١٩١٠:

طال ليل البلاد والشعب سار      لا يرى غير هذه الظلمات  
ظلمات من المظالم أودت      بضياء الحياة بعد الحياة  
يشتكى الشعب والقضاة خصوم      فلمن يشتكى خصام القضاة

ومن قصيدة له يخاطب الشيخ عبد العزيز جاويز عندما حكم عليه لأول مرة سنة ١٩٠٩ ونشرها في ديوانه (وطنيتي):

يا ساكن السجن الكريم وأنت نعم الأكرم  
ما السجن للشرفاء إلا رفعة وتنعم  
أنت البريء ومن يخام لك مجرما هو مجرم

هذا ما وعته الذاكرة وما وسعنى الجهد فى استقصاء الشعر الوطنى، ولعلنى بإخراج هذا الكتاب أحقق أمنية كانت تجول فى خاطرى منذ عدة سنوات. ولا زلت أكرر اعتذارى عما عسى أن يكون قد فاتنى تدوينه من الشعر الوطنى. وإنى لمتدارك هذا النقص فى المستقبل القريب إن شاء الله<sup>(١)</sup>.

\* \* \*

## راجع هذا الكتاب

الأستاذ حلمى السباعى شاهين

المستشار بإدارة قضايا الحكومة

---

(١) لم أستطع تدارك هذا النقص كما وعدت القارئ فى الطبعة الأولى من هذا الكتاب بسبب ما ألم بى من مرض مازلت أعانيه، أدعو الله الشفاء.



## وفاة المؤلف

وعقب الانتهاء من مراجعتي هذا الكتاب بأيام معدودة كان يوم مصر الحزين، يوم ٣ ديسمبر سنة ١٩٦٦. حيث فقدت مؤرخها الوطني المحقق. فروع الشرق لوفاته. وخرجت جموع الشعب ظهر ٤ ديسمبر سنة ١٩٦٦ تودعه إلى مقره الأخير. إلى ضريح زميله في الكفاح المرحومين مصطفى كامل ومحمد فريد بميدان القلعة بعد أن أدى الفقيد الكريم رسالته في جميع الميادين التي خاضها - محامياً صادقاً ونقيباً للمحامين وأباً روحياً لهم، وبرلمانياً جريئاً، ووطنياً مخلصاً ثابتاً على مبادئه. ومؤرخاً حراً محققاً - جمع لمصر تاريخها القومي في مؤلفاته العديدة، في مختلف عصورها، فإليك أيها الفقيد العظيم بكائي، بل دعائي، وما أنت في حاجة إليه، بل نحن أحوج ما نكون إلى تسجيل تاريخك وكفاحك، ليكون هادياً ونبراساً للجميع، وهو دين في عنقي لعلني أوفيه لهذه الأمة العظيمة، أما أنت فمشواك الجنة مع النبيين والصديقين والشهداء والأبرار...!

ابنك الروحي  
حلمي السباعي شاهين

١٩٦٦/١٢/٢٥



## فهرست الكتاب

الموضوع	الصفحة
مقدمة الطبعة الثانية	٣
مقدمة الطبعة الأولى	٥
رفاعة رافع الطهطاوى	٩
عبد الله نديم	١٥
محمود سامى البارودى	٢٠
إسماعيل صبرى	٣١
أحمد شوقى	٤٢
حافظ إبراهيم	٩٣
خليل مطران	١٤٨
أحمد محرم	١٧٥
أحمد نسيم	١٩٦
أحمد الكاشف	٢١٣
محمد عبد المطلب	٢٢٨
أحمد زكى أبو شادى	٢٤٦
عبد الحليم المصرى	٢٦٣
عزيز فهمى	٢٦٧
على الغاياتى	٢٧٧
وفاة المؤلف	٣٨١

## للمؤلف

### حقوق الشعب :

يتضمن شرح المبادئ والنظريات والقواعد الدستورية وحقوق الإنسان . طبع سنة ١٩١٢ .

### نقابات التعاون الزراعية :

يتضمن تاريخ التعاون الزراعي ومنشآته في أوروبا ، ونشأة التعاون في مصر وتاريخه ونظامه ، وعلاقته بالنهضة الاقتصادية والاجتماعية . طبع سنة ١٩١٤ .

### الجمعيات الوطنية :

صحيفة من تاريخ النهضة القومية يتضمن تاريخ الانقلابات السياسية والنهضات القومية في طائفة من البلدان مع شرح أصول الدساتير ، والنظم البرلمانية فيها والمقارنة بينها . طبع سنة ١٩٢٢ .

### تاريخ الحركة القومية ( في جزأين ) :

الجزء الأول : يتضمن ظهور الحركة القومية في تاريخ مصر الحديث وبيان الدور الأول من أدوارها وهو عصر المقاومة الأهلية التي اعترضت الحملة الفرنسية في مصر . وتاريخ مصر القومي في هذا العهد ( الطبعة الأولى سنة ١٩٢٩ )

الجزء الثاني : من إعادة الديوان في عهد نابليون إلى عهد ولاية محمد علي ( الطبعة الأولى سنة ١٩٢٩ ) .

### عصر محمد علي :

يتناول تاريخ مصر القومي في عهد محمد علي ( الطبعة الأولى سنة ١٩٣٠ )

### عصر إسماعيل ( في جزأين ) :

الجزء الأول : يشتمل على عهد عباس وسعيد وأوائل عهد إسماعيل ( الطبعة الأولى سنة ١٩٣٢ )

الجزء الثاني : وفيه ختام الكلام عن عهد إسماعيل ( الطبعة الأولى سنة ١٩٣٢ ) .

الثورة العربية والاحتلال الإنجليزي ( الطبعة الأولى سنة ١٩٣٧ ) .

### مصر والسودان في أوائل عهد الاحتلال :

تاريخ مصر القومي من سنة ١٨٨٢ إلى سنة ١٨٩٢ ( الطبعة الأولى سنة ١٩٤٢ ) .

### مصطفى كامل : باعث الحركة الوطنية

تاريخ مصر القومي من سنة ١٨٩٢ إلى سنة ١٩٠٨ ( الطبعة الأولى سنة ١٩٣٩ ) .

محمد فريد : رمز الإخلاص والتضحية

تاريخ مصر القومى من سنة ١٩٠٨ إلى سنة ١٩١٩ ( الطبعة الأولى سنة ١٩٤١ ).

ثورة سنة ١٩١٩ فى جزأين :

تاريخ مصر القومى من سنة ١٩١٤ إلى سنة ١٩٢١ ( فى جزأين ) الطبعة الأولى سنة ١٩٤٦ .  
الجزء الأول : يشتمل على شرح حالة مصر وحوادثها التاريخية أثناء الحرب العالمية الأولى ( ١٩١٤ - ١٩١٨ ) وبيان الأسباب السياسية والاقتصادية والاجتماعية للثورة . وتطور الحوادث من بعد انتهاء الحرب إلى شوب الثورة فى مارس سنة ١٩١٩ ثم وقائع الثورة فى القاهرة والأقاليم .  
الجزء الثانى : وفيه الكلام عن مهادنة الثورة واستمرارها ومحاکمات الثورة ولجنة ملز . والحوادث التى لا يستها ومفاوضات ملز واستشارة الأمة فى مشروع ملز . والتبليغ البريطانى بأن الحماية علاقة غير مرضية . ونتائج الثورة فى حياة مصر القومية .

فى أعقاب الثورة المصرية ( ثورة سنة ١٩١٩ ) : فى ثلاثة أجزاء :

الجزء الأول : تاريخ مصر القومى من أبريل سنة ١٩٢١ إلى وفاة سعد زغلول فى ٢٣ أغسطس سنة ١٩٢٧ ( الطبعة الأولى سنة ١٩٤٧ )  
الجزء الثانى : تاريخ مصر القومى من وفاة سعد زغلول سنة ١٩٢٧ إلى وفاة للملك فؤاد سنة ١٩٣٦ ( الطبعة الأولى سنة ١٩٤٨ - سنة ١٩٤٩ ) .  
الجزء الثالث : تاريخ مصر القومى من ولاية فاروق عرش مصر فى ٦ مايو سنة ١٩٣٦ إلى سنة ١٩٥١ ( الطبعة الأولى سنة ١٩٥١ ) .

مقدمات ثورة ٢٣ يولية سنة ١٩٥٢ :

( الطبعة الأولى سنة ١٩٥٢ )

الكفاح فى القتال سنة ١٩٥١ - حريق القاهرة سنة ١٩٥٢ .  
وزارات الموظفين - أسباب الثورة - فاروق يمهّد للثورة .

ثورة ٢٣ يوليو سنة ١٩٥٢ :

تاريخنا القومى فى سبع سنوات ١٩٥٢ - ١٩٥٩ ( طبع سنة ١٩٥٩ )

تاريخ الحركة القومية فى مصر القديمة :

من فجر التاريخ إلى الفتح العربى ( طبع سنة ١٩٦٣ )

تاريخ مصر القومى .

من الفتح العربى حتى عصر المقاومة والحملة الفرنسية طبع بعد وفاة المؤلف

مذكراتى ( ١٨٨٩ - ١٩٥١ ) :

خواطرى ومشاهداتى فى الحياة .

شعراء الوطنية في مصر :  
تراجمهم . وشعرهم الوطني . والمناسبات التي نظموا فيها قصائدهم الطبعة الأولى سنة ١٩٥٤

أربعة عشر عامًا في البرلمان :

مجموعة أقوال وأعمال في البرلمان :

في مجلس النواب سنة ١٩٢٤ - ١٩٢٥

وفي مجلس الشيوخ من سنة ١٩٣٩ إلى سنة ١٩٥١ ( طبع سنة ١٩٥٥ ) .

### كتب مختصرة

مصطفى كامل :

باعت النهضة الوطنية ( طبع سنة ١٩٥٢ )

بطل الكفاح . الشهيد محمد فريد : ( طبع سنة ١٩٥١ )

الزعيم الناصر أحمد عرابي :

( الطبعة الأولى - يناير سنة ١٩٥٢ )

جمال الدين الأفغانى : ( طبع سنة ١٩٦٦ )

بحث وتحليل معاهدة سنة ١٩٣٦ :

استقلال أم حاية ( طبع سنة ١٩٣٦ )

كتب لطلبة المدارس الثانوية :

( طبعت سنة ١٩٥٨ - ١٩٥٩ )

مصر المجاهدة في العصر الحديث :

في ست حلقات تشتمل على كفاح الشعب في عهد الحملة الفرنسية ثم كفاحه في العهود التالية إلى بداية

ثورة ٢٣ يولية ١٩٥٢ .

( تحت الطبع )

مختارات من دواوين الشعراء في الجاهلية والإسلام .

١٩٩٢ / ٩٠٤٢	رقم الإيداع
ISBN 977-02-3873-4	الترقيم الدولى

١ / ٩٠ / ٧٩

طبع بمطابع دار المعارف (ج.م.ع.)



## هذه الأعمال الكاملة

بظرواى عبد الرحمن الرافعى على أنه جرنى مصر الحديث .  
فقد عكف طوال عمره على كتابة التاريخ المصرى فبداه بتاريخ  
الحركة القومية فى عصر المماليك والحملة الفرنسية . حتى ثورة  
٢٣ يوليو فى سبع سنوات . وإلى جانب هذه الحقبة التاريخية  
نجدته يكتب أيضا مؤلفات اخرى هامة  
وكتابات الرافعى تنسم بالصدق والدقة والخبرة فهو يبدأ  
بذكر اسباب الحادث ثم سرده ثم رايه فيه . ومن ثم فإن فكر  
الرافعى يسود هذه المؤلفات ويعبر عن كفاح الشعب المصرى فى  
مواجهة القوى المختلفة والملايسات التى احاطته  
ودار المعارف تقدم هذه الأعمال الكاملة للقارئ العربى  
حتى يقف على تاريخ وطنه العظيم وكفاحه المشرف  
ومطالبته الدائمة بالحرية والحق والديمقراطية

